



صدّر القرآن

مجلة قرآنية . ثقافية . اجتماعية . فصلية

تصدر عن

دار القرآن الكريم في المكتبة الحسينية المقدسة





العدد الخاص ببحوث المؤتمر العلمي
القرآنی الاول المنعقد بتاريخ ١٦ ربيع
الاول ١٤٤٠ هـ / ٢٤ / ١١ م
وتحت شعار «لن يفترقا»



الإشراف العام

الشيخ حسن المنصوري (م. دار القرآن الكريم)

رئيس التحرير

أ.م. د. ضرغام كريم كاظم الموسوي (جامعة كربلاء)

مدير التحرير

د. مجتبى سعد أبو كطيفة (جامعة كربلاء)

سكرتير التحرير

الشيخ علاء حسين النعmani (دار القرآن الكريم)

هيئة التحرير

* السيد د. مرتضى جمال الدين (دار القرآن الكريم)

* أ.د بلاسم عزيز شبيب (جامعة كربلاء)

* د. الشيخ عماد الكاظمي (الجامعة العالمية)

* د. زينب عبد الله كاظم (جامعة الكوفة)

التدقيق اللغوي

م. د. أحمد حسن منصور (جامعة كربلاء)

التنسيق والعلاقات العامة

أ. م. د. حميد جاسم الغرابي (جامعة كربلاء)

الحافظ متظر حسن المنصوري (م. مركز التبليغ القرآني الدولي)

التصميم والإخراج الفني

أسامه جبار

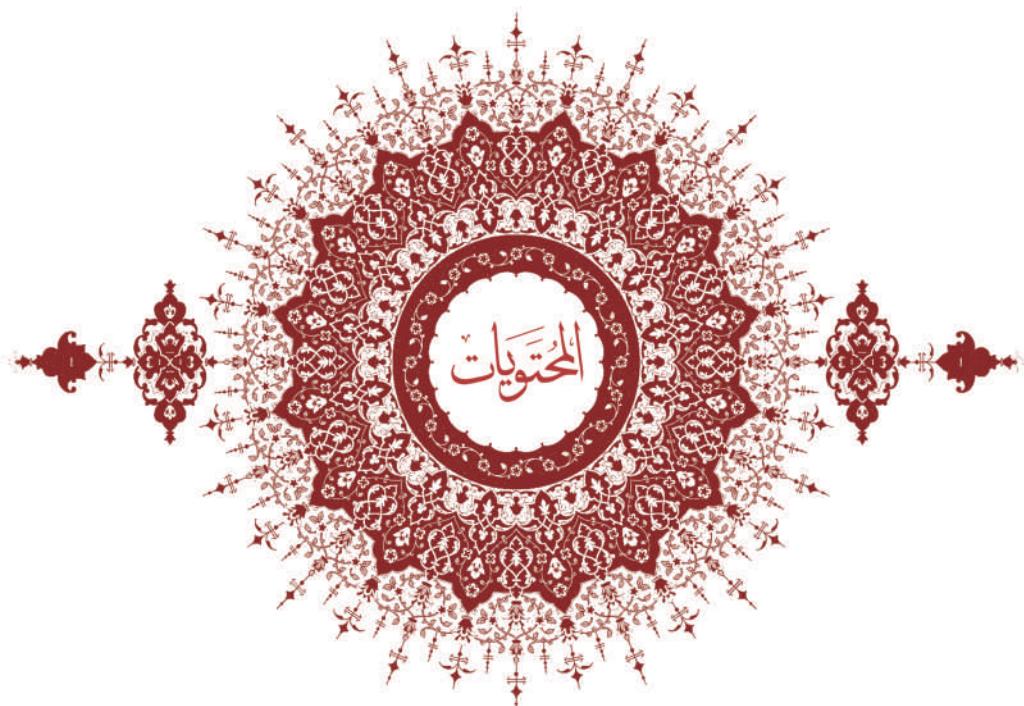


رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٨٢٧ لسنة ٢٠١٣ م



ضوابط النشر

- ١- تنشر المجلة الأبحاث العلمية التي تعنى بالشأن القرآني، والملزمة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها علمياً.
- ٢- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (٢٠) صفحة A4، وأن لا يقل عن (١٥) صفحة.
- ٣- تقديم ملخص للبحث في صفحة مستقلة، على أن يحتوي كل ملخص على عنوان البحث واسم الباحث، ورقم الهاتف، والبريد الإلكتروني.
- ٤- تكون هومايش البحث في أسفل كل صفحة بالطريقة الآتية: (اسم الكتاب، المؤلف، اللقب: ج....، ص...)، ويزوّد البحث بقائمة المصادر مستوفاة التفاصيل في آخره.
- ٥- أن لا يكون البحث قد نُشر في أي كتابٍ أو مجلةٍ أو موقعٍ الكتروني.
- ٦- الأفكار التي ترد في الأبحاث تعبر عن رأي كاتبها.
- ٧- تُرسل الأبحاث على البريد الإلكتروني أدناه، أو تُسلّم إلى أسرة المجلة.
sadaalqurandq@gmail.com
im.hu.qu@gmail.com قم المشرفة



بحوث المؤتمر العلمي القرآني الأول
المنعقد بتاريخ ١٦ ربيع الأول ١٤٤٠ هـ - ٢٤/١١/٢٠١٨ م

الافتتاحية

١

ترتيب القرآن (منهج تأويلي في تفسير القرآن الكريم)

أ.د. المتمرس حاكم حبيب الكريطي / الجامعة الإسلامية / النجف الأشرف

٢

موقف التلوسي من فرويّات الإمامين الباقر والصادق

أ.د. عصام كاظم الغالبي / جامعة الكوفة - كلية التربية الأساسية

٣

الإيقاع المعنوي في القرآن الكريم

أ.م.د. خالد كاظم حميدي / كلية الشيخ الطوسي الجامعية - النجف الأشرف

٤

مظاهر التلازم المعرفي بين القرآن الكريم والصحيفة السجادية

| م.د. حميد يوسف إبراهيم / كلية العلوم الإسلامية - جامعة ذي قار |

٥

الإمام علي بن أبي طالب<ص> مفسراً للقرآن

| د. أحمد راسم التفيس - جمهورية مصر العربية |

٦

البعد القرآني في كلمات الإمام الهادي<ع>

| أ.م.د خولة مهدي شاكر الجراح / كلية الفقه - جامعة الكوفة |

٧

دور آيات الأحكام في فهم الأحكام الشرعية

| أ.م.د طارق حسن كسار / جامعة ذي قار - كلية العلوم الإسلامية |

٨

فهم القرآن بين التأصيل والتتجديد على مستوى القراءة القرآنية

| أ. د. جبار كاظم الملا / كلية العلوم الإسلامية - جامعة بابل |

٩

منهج أهل البيت<ع> في بيان أساس التعامل مع النص الديني

| م. صلاح عودة عبد الأمير - م. زين العابدين عودة عبد الأمير / تربية الهندية |

١٠

مراجعة أهل البيت في تأسيس قواعد فهم النص القرآني

| م.م ساجد صباح العسكري / تربية ذي قار |

١١

الافتتاحية

الحمدُ لله الذي خَلَقَ الإِنْسَانَ وَعَلَمَهُ النَّطْقَ وَاللِّسَانَ، وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ، وَتَكَفَّلَ
بِالْبَيَانَ، وَالصَّلَاةُ عَلَى سِيدِ الْإِنْسَانِ وَالجَانِبِ مُحَمَّدٌ الَّذِي شَرَفَ الْعَرَبَ عَلَى الْاَقْرَانِ.
وَالصَّلَاةُ عَلَى هَدَاةِ الْأَنَامِ، وَأَمْرَاءِ الْكَلَامِ .. وَبَعْدِ:

إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ رَمَزَ بَيْنَ الْحَبِيبِ وَالْمَحْبُوبِ، لَا يُعْرَفُ بِحَقِيقَةِ مَرَادِهِ سُواهُمَا؛ وَذَلِكُ
لِأَنَّ اللَّهَ سَبَحَنَهُ جَعَلَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا إِلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ. وَقَدْ دَلَّتِ الْآيَاتُ وَالرَّوَايَاتُ
عَلَى أَنَّ لِلْقُرْآنِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَتَأْوِيلًا، وَلِلظَّاهِرِ ظَاهِرٌ، وَظَاهِرُ ظَاهِرٍ إِلَى السَّبْعَةِ، وَلِلْبَاطِنِ
بَاطِنٌ، وَبَاطِنُ بَاطِنٍ، وَبَاطِنُ بَاطِنٍ بَاطِنٍ إِلَى السَّبْعَةِ، وَلِلتَّأْوِيلِ تَأْوِيلٌ، وَتَأْوِيلٌ
تَأْوِيلٌ إِلَى السَّبْعَةِ، وَلِبَاطِنِ التَّأْوِيلِ بَاطِنٌ، وَبَاطِنُ بَاطِنٍ إِلَى السَّبْعَةِ.

وَالْقُولُ فِي مَعْرِفَةِ جَمِيعِ الْمَرَادِبِ عَلَى التَّفَصِيلِ لَا يَسْعُ الْمَقَامُ لِذِكْرِهَا، فَلَوْ
مَرَرْنَا بِعِجَالَةٍ عَلَى الْمَرَادِ مِنْ «الظَّاهِرِ» وَ«الْتَّأْوِيلِ» نَجَدَ أَنَّ الظَّاهِرَ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّهُ
التَّفَسِيرُ عَلَى وَضْعِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ مَلَاحِظَةِ جَمِيعِ تَرْكِيَاتِهِ النَّحْوِيَّةِ مِنْ تَقْدِيمِ
الْعَالَمِ عَلَى الْمَعْمُولِ وَبِالْعَكْسِ فِي مَوَاضِعِ عَدِيدَةِ.

أَمَّا التَّأْوِيلُ فَهُوَ أَنْ لَا تَلَاحِظَ هَذِهِ الْأَمْوَالُ بَلْ تَأْخُذُ بَعْضَ الْكَلَامِ مَجْرِيًّا عَنْ مَلَاحِظَةِ
اِرْتِبَاطِهِ بِمَا قَبْلَهُ أَوْ بِمَا بَعْدَهُ مُثِلُ قَوْلِهِ تَعَالَى يُغْنِي اللَّهُ كُلُّا مِنْ سَعْتِهِ النَّسَاءُ / ١٣٠،
فَتَأْوِيلُهَا بِحَسْبِ مَا وَرَدَ عَنْ آلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْنِي إِذَا خَرَجَ الْقَائِمُ عَجَلَ اللَّهُ فَرْجَهُ
يُمْتَازُ بِالْأَخْيَارِ مِنَ الْأَشْرَارِ وَيُعَزِّزُ الْأَخْيَارَ وَيُذَلِّلُ الْأَشْرَارَ عِنْهُ تَبَسُّطُ الْعِلُومِ وَتَنَشَّرُ
الْمَعَارِفُ بِحِيثُ لَا يَحْتَاجُ أَحَدٌ إِلَى أَنْ يَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَالْمَعْرِفَةَ، فَيَكُونُ الْعَالَمُ
وَالْمَتَعَلِّمُ بِمِنْزِلَةِ سَوَاءٍ عِنْدَ ذَلِكِ يَعْنِي اللَّهُ كُلُّا مِنْ سَعْتِهِ، هَذَا إِذَا قَطَعَتِ النَّظَرُ عَنِ
أُولَئِكَ وَآخِرَهُمَا؛ لِأَنَّكَ إِذَا لَاحَظَتِهَا مَعَ أُولَئِكَ وَآخِرَهُمَا لَا يَفِي بِالْمَعْنَى الَّذِي قَلَنَا
آنَفًا فَالْمَعْنَى فِي الْجَانِبِ التَّأْوِيليِّ يَكُونُ بَاطِنِيَا خَلَافَ مَا يَعْرَفُهُ أَهْلُ الظَّاهِرِ.

أما الكلام عن الباطن، وباطن الباطن، وباطن باطن الباطن، وباطن التأويل
فليس هنا محل التفصيل فيه.

ومن ثمَّ فالذى يدرك هذه الحقائق وما يحيط بها من رموز هو الذى
خوطِب بهذا الكلام وهو النبي ﷺ وأهل بيته علية السلام فهم أركانُ البلاد، وأمناءُ
الرحمن، وأبوابُ الإيمان. قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتابَ الله، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيفُ الخيرُ أخبرني أنَّهما لن يفترقا حتى يردا
علىَ الحوض فانظروا بماذا تخلفوني فيهما».

من هذا المنطلق بادرت إدارة دار القرآن الكريم التابعة للعتبة الحسينية المقدسة
بإقامة المؤتمر العلمي القرآني الأول متخدًا من شعار «لن يفترقا» أساساً في محاوره
وأهدافه وشعاره الذي جاء بعنوان «اللازم المعرفي بين القرآن الكريم والعترة
الطاهرة» الذي انعقد بتاريخ ١٦ / ربى الأول / ١٤٤٠ هـ الموافق ٢٤ / ١١ / ٢٠١٨ م.

وقد نتج عن هذا المؤتمر مجموعة من البحوث القرآنية التي نهلت من علوم
آل البيت علية السلام في استكناه دلالة الآيات القرآنية. ولأهمية هذه البحوث قررت
إدارة دار القرآن الكريم أن تفرد لها أعداداً خاصة من مجلة صدى القرآن
التابعة للدار فجاء العدد الخامس عشر من أعداد المجلة ليكون عدداً خاصاً
ببحوث المؤتمر.

ومن الله التوفيق.

مدير التحرير

١

ترتيب القرآن
منهج تأويلي
في تفسير القرآن الكريم

أ. د. المتمرس حاكم حبيب الكريطي
الجامعة الإسلامية / النجف الأشرف

نظر في محاولة تدبر معاني الآيات القرآنية.

واستناداً إلى ما تقدم سبقُ أوّلاً عند دلالات الجذر (رتل) في المعجم العربي، لتتَكَبَّرَ عليها في الوصول إلى ما نريده بشأن الترتيل. (رتل) في الاستعمال الاجتماعي:

جاء في لسان العرب^(١):

١- الرتل: حسن تناسق الشيء.

٢- ثغر رتل: حسن التنضيد، وقيل: المفلج، وقيل: بين أسنانه فروج لا يركب بعضها.

٣- الرتل: بياض الأسنان وكثرة مائتها.

٤- كلام رتل: مرتل حسن على تؤدة.

٥- ورتل الكلام: أحسن تأليفه وتمهل فيه.

٦- الترتيل في القراءة: الترسل والتبيين فيها من غير بغي.

٧- الترتيل في القرآن: التحقيق والتبيين والتمكين.

٨- ترتيل القراءة: الثاني فيها وتبين الحروف والحركات تشبيهاً بالثغر المرتل.

مدخل

يسعى هذا البحث إلى النظر في (ترتيل القرآن) على وفق رؤية جديدة، تستمد جدّتها من الاستعانة بالتأويل المأمور به في القرآن الكريم. وعني بالتأويل هنا، استثمار دلالات الجذر (رتل) من خلال العودة إلى المعجم العربي، وموازنة تلك الدلالات بما جاء في القرآن الكريم من استعمال للجذر نفسه، ومن هنا سيتعمّل ظهر التأويل الذي نريده لبيان مفهوم (الترتيل) الذي نحسبه جديداً هنا - إن شاء الله تعالى -. وسيتحقق لنا هذا الأمر طريقاً آخر لإدراك المعنى القرآني، يقترب مرة ويبتعد مرات عما قال به المفسرون، الذين اهتموا - في الغالب - بعلوم القرآن أكثر من عنايّتهم بالمعنى الذي تؤديه اللغة، ولعلنا لا نبتعد عن جادة الحق إذا قلنا: إن الإشارات القرآنية الكثيرة إلى عربية النص القرآني، تدعونا إلى تمثيل اللغة تمثلاً تماماً في أي

للجذر (رتل) كلّها، مع ملاحظة أنّ الذي يجسد هذه المعاني هو الإنسان، فلا تتحقق هذه الدلالات إلّا بجهده، وتفكيره، كي يحصل لها الاتساق والانتظام حتى تكون كلاماً مرتلاً على حسن تؤدة (المعنى ٤).

الترتيل في الاصطلاح القرآني: ورد الجذر (رتل) ومصدره ترتيلًا في آيتين سnder جهما على وفق ترتيب نزولهما:

١- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نُصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ المزمّل

.٤.

٢- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لُشِّبَتْ بِهِ فُؤَادُكَ وَرَتَّلَنَا تَرْتِيلًا﴾ الفرقان .٣٢.

نلاحظ ابتداءً أن آية سورة المزمّل تتضمن أمراً من الله تعالى للنبي ﷺ بترتيل القرآن، وتشديد أمر الترتيل بالمعنى المطلق الذي جاء لتوكيده فعله. وإذا استحضرنا معاني الاستعمال الاجتماعي لـ(رتل) بغية الوصول إلى

إن النظر المتأني في المعاني السابقة، يعطينا ثلاثة معانٍ كبيرة تستوعب المعاني الثمانية كلّها، وهذه المعاني:
 ١- المعنى الأول: التنظيم وحسن التنسيق والتضييد بحيث لا تركب الأشياء المنضدة على بعضها، وإنما تكون متسلقة منتظمة كانتظام الأسنان. وهذا المعنى تجسده المعاني ١، ٢، ٣، فضلاً عن الجمال المتمثل بالبياض وكثرة الماء الذي يشكل معلماً جماليًّا للأستان.
 ٢- المعنى الثاني: يستوعب هذا المعنى تنظيم الكلام وحسن التأليف والترسل والتبيين والتحقيق والتمكين.

وهذه معانٍ تحتاج إلى جهد معرفي كبير كي ينالها الإنسان ويتمثلها بعد إدراكها.

٣- أما المعنى الثالث: فيخص القراءة، إذ يكون الثاني سبيلاً إليها، حتى يتحقق تبيين الحروف والحركات، والملاحظ أنَّ المعاني الثلاثة، تتوحد في التنظيم والتحقيق والتنسيق، فتكون هذه المعاني هي الدائرة التي تحضن معاني الاستعمال الاجتماعي

عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿العلق ٤-١﴾ فالأمر بهذه القراءة جاء مقروراً بالتدبر والتفكير في خلق الله تعالى بشكل مطلق، والنظر في أسرار الخلق يحتاج إلى هذا كله.

هذا فضلاً عن أن القراءة المأمور بها في القرآن، هي من الله تعالى علم بها النبي ﷺ إِفَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿القيامة ١٨﴾، فإذاً، ثمة ضرب من القراءة علّمها الله تعالى للنبي ﷺ وأمره باتباعها. واستناداً إلى هذا فلا يمكن أن يكون الترتيل ضرباً من القراءة؛ لأن القراءة صارت معلومة عند النبي ﷺ فأمره عزّ وجلّ بترتيل القرآن يعني أمراً آخر.

إذاً، يبقى من معاني الترتيل المأمور به في هذه الآية معنى يتصل اتصالاً وثيقاً بالآية التي بعدها، فقد رتل الله القرآن الكريم ترتيلًا بينًا في سورة الفرقان/٣٢. وبغية ملامسة المقصود بالترتيل تأويلاً، نعود إلى ما ورد في المعينين الأول والثاني من معاني المعجم، فالمعنى الأول هو تنظيم القرآن الكريم

دلالة الترتيل في الآية، نقول: إن الدلالة هنا لا تنصرف إلى ضرب من القراءة، كما جاء في (المعنى ٨)، أي الثاني فيها وتبيين الحروف والحركات، فمعلوم أنَّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب بعد أن وصلت إلى ذروة الإتقان، ووصل أهلها إلى ذروة الإفصاح عن معانيهم من خلال الثاني وتبيين الحروف والحركات، والنبي ﷺ سيد العرب وأفصحهم؛ لقوله: ((أنا أفصح العرب بيد أنني من قريش))^(٢)، فلا يبقى مسوغ لأن يصرف معنى الآية إلى هذا؛ لأنَّ عدم الإفصاح يعدّ ضرباً من العيّ لمن يكون على هذا النحو^(٣)، فلا يصح هنا أن يكون النبي ﷺ غير مبين - وحاشاه - وهو يقرأ القرآن، حتى يقول عنه المشركون هو عيّ في كلامه.

وثمة ملاحظة أخرى، وهي أن نمط قراءة القرآن، أمر الله تعالى به في أول آية نزلت منه ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علقم * اقرأ وربك الأكرم * الذي علّم بالقلم *

الاجتماعي الذي مرّ بنا، بل أخذت منه تماماً، ووقفت عنده، وإذا سلّمنا بأن ترتيل النبي ﷺ للقرآن الكريم هو ضرب من القراءة، فماذا نقول في قوله تعالى ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾؟

إن المعقول تماماً أن الترتيل في سورة الفرقان/٣٢ يعني بيان القرآن تبييناً واضحاً، ولا يكون التبيين - بحق - تبييناً إلا إذا نظرنا إلى معاني الآيات القرآنية المتشابهة بعد جمعها في نسق واحد (بعضها في أثر بعض) وترسيمه ترسيلاً على النحو المشار إليه.

واستناداً إلى ما تقدم، نقول: إن الوصول إلى معنى القرآن الكريم يستدعي أمرين:

الأول: ترتيب الآيات القرآنية (آيات الأحكام مثلاً) على رتل واحد بحسب ترتيب نزولها، ثم ملاحظة أية زيادة في المعنى في الآية اللاحقة عما جاء في السابقة.

وهذا يعين الباحث عن المعنى القرآني على تمثيله تماماً، ويمكن أن يضاف هذا إلى علوم القرآن بوصفه

وتنسيقه وتنضيده، وهذا يعني أن الله تعالى أمر النبي ﷺ بهذا من الأيام الأولى لنزول القرآن الكريم؛ لأن سورة المزمل من أوائل ما نزل منه. وسنرى القول في بيان التنظيم في موضع لاحق.

أما المعنى الثاني فيعني أن الله أمر النبي ﷺ بتبيين القرآن وتحقيقه وتمكينه بعد أن بسط له بيان ذلك - كما جاء في الفرقان/٣١ فيما بعد. ولكي نستكمل دلالة الترتيل، لابد من العودة إلى ما قرره المفسرون في هذا الشأن.

الترتيب في الاصطلاح:
يمكن أن نصنف أقوال المفسرين إلى صفين في فهمهم للترتيل:
١- الصنف الأول: يتعلق بضرب من القراءة - كما مرّ - في الاستعمال الاجتماعي^(٤).

٢- الصنف الثاني: يتعلق ببيان القرآن تبييناً، وترسيل بعضه في أثر بعض^(٥). ويلاحظ هنا أنّ أقوال المفسرين في الترتيل اصطلاحياً، لم تبتعد عن الاستعمال

وبين الموضوع المراد البحث فيه بغية الوصول إلى المعنى؛ لأن تلك العلوم لم توضع إلا لتفسير النص القرآني وتأويله ولا علاقة لها بماهيته حقاً، فهي كعلوم اللغة التي يستعان بها في التفسير وليس منه^(٧).

ومن أجل تطبيق هذا المنهج لابد من أنْ نطبقه على بعض الآيات القرآنية لنرى إلى أي حد يمكن أن يكون هادياً لنا في الوصول إلى بعض وجوه المعنى القرآني.

تحريم الخمرة:

قال أغلب المفسرين: إن تحريم الخمرة نزل تدريجياً في الآيات الآتية:
 ١- **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرٌ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنِفِّقُونَ قُلِ الْعَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾** البقرة: ٢١٩.

٢- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرِبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ**

علمًا مستقلًا ينهض بمهمة تتجلى في محاولة الوقوف على المعنى القرآني على وفق منهج جديد قديم في آن معاً؛ لأن القدماء لم يغفلوه تماماً، ولكنهم لم يهتموا به، وجاء النظر فيه مفرقاً على علوم القرآن الأخرى وخاصة علم الناسخ والمنسوخ.

الثاني: ترتيب الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد على رتل واحد أيضاً، ولكن ليس شرطاً أن ترتب على زمان نزولها. ومن اجتماع هذه الآيات تكشف المعاني التي تحملها، وهنا يحضر قولهم «الآيات القرآنية يُفسّر بعضها بعضاً، ويتم بعضها بعضاً من حيث الدلالة على المعنى العام أو الخاص على السواء»^(٨).

إن هذا الفهم للترتيب المأخوذ من الاستعمال الاجتماعي القرآني والاصطلاحي للجذر (رتل) يفتح أمامنا باباً جديداً يمكن أن يضاف إلى أبواب تلمس المعنى القرآني، مع ملاحظة إن هذا التوجيه يتطلب إقامة صلة معرفية متينة بين علوم القرآن

المقامرة، يقول ثعلب في هذا الشأن: «كانوا إذا قامروا فقامروا أطعموا منه وتصدقوا بالإطعام والصدقة منفعة»^(٩). فالإثم مرتبط بالخمرة، والمنافع المشار إليها مرتبطة بالميسّر؛ لأنّ المقامرة تكون به، فهو وسيلة على وفق سياق الآية. ولكننا لا نستبعد أنّ في الخمرة منافع - كما تنصّ الآية - من وجهة نظر من يقترب شربها؛ لأنّه يرى فيها ذلك.

أما الواقع، وهو ضرر الخمرة، فهذا تجليّه الحرمة التي أمر بها الله تعالى. وهكذا تلغي لنا هذه القراءة التأويلية ما عده بعض المفسرين حقيقة معرفية، تتمثل في التحرير التدريجي للخمرة في القرآن الكريم.

هذا ما تقوله اللغة، وهو المعول عليه في الوقوف على معاني القرآن، أما ما ذهب إليه بعض المفسرين من أنّ الإثم في الآية هو الضرر، فهو توسيع لمن اجتهد من الصحابة وبقي يعاشر الخمرة بحجة أنّ تحريمها ليس صريحاً في آية سورة البقرة^(١٠).

أو جاء أحدُّ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَا مَسْتُمْ النَّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءَ فَتَيَمِّمُوا صَعِيداً طَيْبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوا غَفُوراً》 النساء٤٣.

-٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَبِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة٩٠.

ومن أجل الوقوف على دقة ما نتبناه من قضية (ترتيب القرآن) في قضية (تحريم الخمرة) نقول: إنّ آية سورة البقرة ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، صريحة في حرمة الخمرة؛ لأنّ الإثم على وفق هذا المنهج محظوظ بحسب آية سبقت هذه الآية في التزول. وهي قوله تعالى في سورة الأعراف ٣٣/ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، فالإثم حرام، والخمرة فيها إثم كبير^(٨).

ومن هنا تتجلى حرمتها، مما لا يُبقي حجة بيد من يريد أن يقول غير هذا. أما المنافع فهي منافع معنوية تأتي من

آخر يستند إلى اللغة، وعودة إلى المعجم ستعطينا ما قد يعيننا على تصور تأويلي لما نريد. جاء في لسان العرب:

- ١- السكران: خلاف الصاحي.
- ٢- السكر: نقىض الصحو.

٣- السكر ثلاثة: سكر الشباب، وسكر المال، وسكر السلطان.
فإذا استبعدنا سكر الخمر في الآية لأنها حُرّمت في سورة البقرة - كما مرّ - يكون معنى السكر هنا واحداً من المعاني الثلاثة المشار إليها: سكر الشباب أو سكر المال أو سكر السلطان.

وهكذا فلا مسوغ - إذًا - لأن تعد هذه الآية من آيات تحريم الخمرة. وقد ذهب ثعلب إلى القول عن الآية: «إنما قيل هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر»^(١٤) ظنًا منه أن المراد بالسكر هنا سكر الشراب، بيد أن ابن منظور أضاف معنى آخر للسكر هنا ونسبة إلى غير ثعلب، إذ قال: «إنما عنى هنا سكر النوم»^(١٥).

وهذه المعاني الثلاثة مما يشغل فكر المسلم ويجعله لا يعي ما يقول في

يقول ابن حزم: «فلما نزلت هذه الآية امتنع قوم من شربها وبقي قوم»^(١١).
هذا فضلاً عن أنَّ (الضرر) ليس من معاني الإثم، فكيف يُفسر (الإثم) على هذا النحو؟.

بيد أن بعض العلماء جعل هذه الآية حرمة للخمرة، فقال «قال قوم من أهل النظر، حُرِّمت الخمرة بهذه الآية»^(١٢)، واستند إلى تحريم الإثم الذي سبقت الإشارة إليه.

وإلى هذا أيضًا ذهب السيد الطباطبائي في الميزان حينما قال: «ومن هنا يظهر فساد ما ذكره بعض المفسرين: أن آية البقرة ما كانت صريحة في الحرمة»^(١٣).

والآن ما الذي يمكن أن يقال في آية سورة النساء ﴿لَا تَقْرَبُوا الْمَسَاجِدَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾، وهي تلي آية سورة البقرة في التزول، إذ كيف يت reconciles هذا مع منهج الترتيل في آيات الأحكام كما مرّ بنا؟.

إن التمسك بترتيب التزول يُغرينا، بل يُحتم علينا أنْ نفكّر بتوجيه تأويلي

الخمر. فعن زراة عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ قال: «لا تقم إلى الصلاة متکاسلاً ولا متقاسماً ولا متماثلاً؛ فإنها من خلال النفاق، فإن الله نهى المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة وهم سكارى يعني من النوم»^(١٧).

ولو تأنى بعض المفسرين ومن اهتم بدراسة القرآن الكريم ونظر في هذه الآية والروايات الصحيحة، ل كانت التبيجة توجيههاً للمعنى القرآني على وفق ما تقرّره اللغة التي نزل القرآن الكريم بها، مع عطف النظر على الروايات في الحدود التي لا تخالف فيها المعطيات اللغوية، فإن خالفتها فعلينا التدقّيق في الدلالات الخفية في الرواية بشيء من النظر التأويلي الذي يهيء لنا مناخاً معرفياً يفتح أمامنا سبل الوصول إلى شيء معقول من المعنى القرآني.

ومن هنا لا تُعد آية «لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى» من آيات تحريم الخمرة.

واستناداً إلى هذا لا يبقى مسوغ للقول: إن «سياق الآية الشريفة يأبى أن

صلاته، ومن هنا جاء هذا النهي عن الاقتراب من الصلاة في حالة الذهول وشروع الذهن والانشغال الحقيقي بشؤون الدنيا؛ لأن المعاني الثلاثة الأولى تظهر تمسك الإنسان بحب الدنيا وهذا ما لا يستقيم مع ما يريده الله تعالى من الإنسان حينما يأتي إلى الصلاة. أما المعنى الرابع وهو سكر النوم، فهذا وإن اختلف عن المعاني الأولى، إلا أنه يُبقي الإنسان في نصف وعي إن لم يكن قد انتبه حقاً، فنهى الله تعالى عن الاقتراب من الصلاة في هذه الحال.

ورواية أخرى تؤيد ما أوردناه هنا، فقد رُوِيَ أنَّ الإمام أبا الحسن عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ فسر السُّكُر هنا بسكر النوم، يقول عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ في تفسير الآية: {لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى} يعني سكر النوم، يقول وبكم نعاس يمنعكم أن تعلموا ما تقولون في ركوعكم وسجودكم وتكبيركم^(١٨).

وثمة روايات تستكمل لنا هذه الدلالات التي برزها الترتيل لآيات

ويكشف لنا ترتيل الآيات المتضمنة لهذا المعنى هذا التأرجح على النحو الآتي: في سورة طه ١٠٢-١٠٣، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَافَّوْنَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾.

فهؤلاء المجرمون يكلّم بعضهم بعضاً بصوت خفيض عن مدة بقائهم في البرزخ، فخمنوا حدساً ووهماً وظنّاً أنهم لم يلبثوا قبل الحشر إلا عشرة أيام، وكأنّهم يشيرون إلى قلة هذه المدة بعد تيقنهم بالخلود في العذاب، لما رأوا من أهوال يوم القيمة، فضلاً عما رأوه بأنفسهم من زرقة أبدانهم بفعل النصب والعطش^(١٩).

ولعلهم كانوا يتظرون من بعضهم من يكشف لهم مدة لبثهم في القبور. قال الله - عز وجل - في الآية اللاحقة: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْلَاهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ طه / ١٠٤، وهو أصلح المجرمين طريقة «وأوفرهم عقلاً ... وأكثرهم سداداً»^(٢٠) رأى على وفق أيام الدنيا - أن الأيام

تنزل بعد آية البقرة وآية المائدة، فإنّهما تدلان على النهي المطلق»^(١٨).

على الرغم من أننا لم نعثر في حدود ما اطلعنا عليه على روایة تقول بنزول آية سورة النساء قبل آية سورة البقرة وآية سورة المائدة.

أما آية سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَبِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فقد جاءت بياناً واضحاً لأولئك الذين قالوا بأنّ التحرير لم يكن بياناً في آية سورة البقرة - كما مرّ - فهو هنا نهاية مطلقاً عن الاقتراب من الخمرة.

زمن البرزخ:

يصف القرآن الكريم حال الكافرين في لحظة النشور، إذ يتخيّلون أنّهم ليثروا في قبورهم وقتاً قصيراً قبل أن يداهمهم الحشر، ولفرط هلعهم من أهوال هذا اليوم لم يقدروا على بيان المدة التي لبثوها في البرزخ من يوم موتهم إلى قيام الساعة، فراحوا يتّأرجحون في تخمين ذلك الزمان،

سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ》， لقد جاء قسم هؤلاء بأنهم لم يلبثوا إلا ساعة في قبورهم لتوكيدهم كذبهم في هذا اليوم، أيضاً بعد أن كانوا يأفكون في الدنيا.

إن هذا الترتيب القرآني في بسط وجه من وجوه حياة البرزخ لا يتبيّن إلا بوضع الآيات مرتبة على وفق نزولها (ترتيلها)، وبهذا يبدو لنا التردد والحيرة التي عليها أصحاب النار، فكان الزمن من عشرة أيام إلى ساعة على وفق ما ورد - كافياً لبيان اضطراب المجرمين يوم الجمع بحيث لم يتوقفوا على زمن واحد مروا به جميعاً.

خلق الإنسان:

شاء الله تعالى أن يفتح نزول القرآن الكريم بذكر خلق الكون وخلق الإنسان في آن معاً في قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق﴾ العلق ٢-١.

وذكر خلق الإنسان جاء بصيغة الجمع (العلق)؛ لأن الكلام هنا عن

العشرة كثيرة لسرعة قيام الساعة، إذا قوبلت بأهواه يوم القيمة وما لهم من الأيام في النار فتراءى له اليوم الواحد زماناً لبقاءه وصحبه في القبر.

ويستكثر هؤلاء المجرمون مدة اليوم التي أخبر بها الأمثل في الآية السابقة، فظلوا في الحيرة نفسها، وحينما سُئلوا عن عدد سنين لبثهم في قوله تعالى: ﴿قالَ كُمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ المؤمنون ١١٢/٧٣، جاء جوابهم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَبَثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلُ الْعَادِيْنَ﴾ المؤمنون ١١٣، فهم الآن استقلوا لبثهم في الأرض حينما وازنوه بالبقاء الأبدى الذي يلوح لهم يوم القيمة ويعاينونه^(٢١)، فنزلوا باليوم إلى بعضه، إذ لم يستقروا عليه، وكانوا حائرين بعد أن التبس عليهم الزمان، فلم يعرفوا حقيقته.

وفي الآية ٥٥ في سورة الروم ٨٣ يشعر هؤلاء بانعدام الزمن بين موتهم والنشور، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ

* الطور الثاني: وهو طور تطور النطفة إلى علقة في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًّا * أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوْيٍ﴾ القيامة ٣٦-٣٨ ت ٣٠، وبعد أن صار الإنسان علقة في الرحم، أوجز القرآن الإشارة إلى بقية الأطوار بإيجاز غني، فذكر أن الله تعالى عدل وأكمل خلق الإنسان وسواء.

* الطور الثالث: وهنا يذكر الله عز وجل - نعمه على عباده في إتمام خلقهم في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طَفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّا وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
غافر ٦٧ ت ٥٩

فذكر الله تعالى هنا أنه يخرج الناس من بطون أمهاتهم صغاراً ضعافاً حتى يبلغوا أشدتهم وتكامل قواهم، ثم يبلغوا مرحلة الشيخوخة، ومنهم من يموت قبل ذلك، حتى يبلغوا الأجل الذي كتب لهم لا يتجاوزونه، ولعلهم في هذا كله يعقلوا

خلق جنس الإنسان وهي دعوة منه -جل شأنه- للرسول وللمسلمين إلى التدبر في خلق الله تعالى قاطبة مع التركيز على خلق الإنسان؛ لأنّه الأصل الذي من أجله شاء الله أن يخلق موجوداته، واستناداً إلى هذا لم ندرج هذه الآية مع آيات أطوار خلق الإنسان؛ لأنّها تمثل الدعوة الأولى إلى التدبر في الخلق.^(٢٢)

بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَطْوَارُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ،
مِنْ بَدَايَةِ خَلْقِهِ مِنْ تَرَابٍ إِلَى مَوْتِهِ،
وَإِذَا عُدْنَا إِلَى الْآيَاتِ الْمَبَارِكَاتِ الَّتِي
تَضَمِّنُ هَذَا الْمَعْنَى، وَأَجْلَنَا فِيهَا النَّظَرَ
عَلَى وَقْفِ مَنْهَجِنَا الْمُقْتَرَحِ فِي التَّرْتِيلِ،
تَتَكَشَّفُ لَنَا الْأَطْوَارُ الْأَتَيَةُ:

* الطور الأول: ويتمثل في أنّ خلق الإنسان يبدأ من النطفة، وهي ماء الرجل القليل، والإشارة إلى هذا وردت أول مرة في سورة النجم في قوله: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ النجم ٤٥-٤٦ ت ٢٣، ثم تكرر ذكرها في سور أخرى، وهذه البداية الحقيقة لخلق الإنسان.

إلى طفل ثم الذهاب إلى الشيخوخة حتى تنتهي الحياة بالموت.

* الطور الخامس: وهذا آخر المشاهد التي صورها القرآن الكريم لخلق الإنسان، ويتمثل في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخْلَقَةً وَغَيْرُ مُخْلَقَةٍ لَنَّبِينَ لَكُمْ وَقْرُرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجْلٍ مُسَمٍّ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طَفْلًا ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَسْدَكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكِيلًا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمِ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾الحج ١٨٥ ت ١٨ مدنية.

تمثل الإضافة في هذا المشهد في وصول بعض بنى الإنسان إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علمه أي شيء.

وهذا التوصيف يخص مرحلة الشيخوخة الشديدة التي تختلف عن الشيخوخة المذكورة في آية سورة الحج.

حجج الله تعالى، وهذا التوصيف لمراحل خلق الإنسان واستمراره في الحياة، خلقاً بعد خلق، يتلمسه الإنسان العاقل في نفسه وفي غيره ممن يراهم في الحياة.

* الطور الرابع: يضيف القرآن تفصيلاً آخر لمراحل حياة الإنسان في قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا مِّنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عَظَاماً فَكَسَوْنَا الْعَظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾**

المؤمنون ١٢-١٤ ت ١١٢.

وهذه المراحل تصف حالة الإنسان في رحم أمه، إذ تحولت العلقة التي أشير إليها إلى مضغة، ثم حول - عزوجل - المضغة إلى عظام وكسا العظام لحاماً، فتكامل خلق الإنسان، ثم أنشأه الله تعالى خلقاً آخر، والخلق الآخر هو صيروة هذه الأطوار المادية إنساناً ذا شعور^(٣٣)، وقد يشمل الخلق الآخر ما ذكر في الآية السابقة من انتقال العلقة

المتباعدة في آنٍ معاً.
وهذا شيء، وترتيب القرآن الذي
كشف عنه البحث شيء آخر.
وقد يقال أيضاً إنَّ (الترتيب) يصنف
ضمن «الأشباه والنظائر» التي صنفت
فيها مؤلفات كثيرة أيضاً.
ويرد على هذا بالقول: إنَّ الأشباه
والنظائر تعني بيان معنى اللفظ في
الآيات التي يرد فيها، ثم بيان الفرق في
تلك الموضعين المشار إليها.
ولكن الذي كشفه البحث أظهر أنَّ
ترتيب القرآن هو نمط من تفسير
القرآن بالقرآن، ولكنَّ هذا النمط لا
يسير على وفق ما ألفه القدماء في هذا
الضرب من التفسير؛ لأنَّهم إنما كانوا
يفسرون الآية بالأية بصرف النظر عن
ترتيب نزولها.
وهذا قد يتنافي مع الروايات التي
حفظت هذه التفاسير، ولنأخذ مثلاً
واحداً لبيان ذلك. فقد روى أنَّ عبد الله
بن مسعود قال: لما نزلت **﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَبْلُسوْ اِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ اُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُون﴾** الأنعام٤٨ تـ٥٤،

إنَّ هذه الأطوار الخمسة^(٢٤) تكشف
لنا عن حقيقة أهمية الترتيل في بيان
المعنى القرآني لأطوار خلق الإنسان،
إذ تكشف لنا هذه الحركة انتقال
المعنى من دلالة إلى أخرى في الآيات
المشار إليها وفي داخل الآية الواحدة،
وهذا الذي جعل نصوص الآيات
المباركة منفتحة في هذا التدرج
الرباني في خلق الإنسان، إذ تجلّى
الانسجام داخل الآية الواحدة وبين
الآيات بما يجعل الدلالات الجزئية
تناسب بانتظام معجز مشكلة المعنى
الكلي للآيات مجتمعة، فصارت
صورة خلق الإنسان بهذا الاعجاز
الجمالي والعلمي^(٢٥).

والآن ربَّ معرض يقول: إنَّ
البحث يمكن أن يصنف ضمن
(متشابه القرآن)، الذي ألف فيها
القدماء والمحدثون كتباً كثيرة. وهنا
نجيب: إنَّ المتتشابه يوازن بين الآيات
القرآنية المتتشابهة في الظاهر، ثم يظهر
الفارق بينها، ليصل إلى دقة استعمال
القرآن للألفاظ في سياقه المتتشابه

في المعنى القرآني يُبعدهنا عن وجهِهِ من
وجوه التفسير بالرأي المنهيّ عنه،
وَيُهْيِءُ لَنَا مِيدانًا معرفيًّا يكون معيناً لَنَا
في تدبّر معاني القرآن الذي لا تنقضي
عجائبه.

شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ،
وقالوا: أَيْنَا لَا يظلم نفسه، فقال رسول
الله ﷺ: ليس هو كما تظنون، إنما هو
كما قال لقمان لأبنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لِقَمَانَ
لَابْنِهِ وَهُوَ يَعْظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشَرِّكُ بِاللهِ إِنَّ
الشَّرُكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٦).

وهنا نقول: إن سورة الأنعام سبقت
سورة لقمان في النزول، فكيف تصحّ
الرواية على هذا النحو؟ وقول ابن
مسعود نصّ على القول: «لَمَّا نَزَّلْتَ»،
ومنهج (الترتيل) يُبعد لنا ما وقع في
الرواية مما نراه على وفق هذا المنهج،
ويسوّغ لنا القول: إن ما جاء في سورة
لقمان يمكن أنْ يُفسّر به ما جاء في
سورة الأنعام فيما بعد.

وفي الختام نقول: لقد أظهر هذا
البحث فاعلية منهج (ترتيب القرآن)
في الوصول إلى بعض وجوه المعنى
القرآني المتلاحمة التي تُظہر تماسك
الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد
بتدرج معجز يجمع مقاصد المعنى.
واستناداً إلى هذا سيكون هذا المنهج
إن شاء الله تعالى سبيلاً جديداً للبحثِ

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

- ٦- تفسير العيashi، النصر محمد بن محمود السمرقندi، تحقيق: الحاج السيد هاشم المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.
- ٧- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٨- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، بيروت.
- ٩- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، طبعة بالأوّل كست عن طبعة دار الطباعة العامرة باسطنبول، ١٤٠١هـ.
- ١٠- فقه القرآن، القطب الرواوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة المرعushi النجفي، مطبعة الولاية، قم، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- ١١- مجمع الفائدة والبرهان، المحقق الأردبili (ت ٩٩٣هـ)، تحقيق: اشتهراري، جماعة المدرسين، قم، ط١، ١٤١٢هـ.
- ١- البيان والتبيين، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، الناشر: مؤسسة الخانجي بالقاهرة.
- ٢- البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) تحقيق: أحمد حبيب العاملی، ط١، ١٤٠٩هـ مكتب الإعلام الإسلامي.
- ٣- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- ٤- تفسير الصافي، الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، ط٢، ١٤١٦هـ مؤسسة الهادي، قم، مكتبة الصدر، طهران.
- ٥- تفسير الطبری (جامع البيان في تأویل آی القرآن)، محمد بن جریر الطبری (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: صدقی جمیل العطار، مطبعة دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

- الهوامش:**
- (١) لسان العرب، (رتل).
 - (٢) سر الفصاحة .٥٩/١
 - (٣) ينظر البيان والتبيين .٣٥/١
 - (٤) التبيان ١٦٢/١، تفسير الطبرسي
 - (٥) تفسير القمي ٢٩٢/٢، مجمع البيان ١٦٢/١٠، التفسير الصافي ٢٤/٥
 - (٦) تفسير الرازى .٢٤٠/١٧
 - (٧) المعنى القرآني بين التفسير والتأويل .٥٧
 - (٨) فقه القرآن ٢٧٦/٢، التفسير الصافي ٢٤٨/١، تفسير الميزان ١٥٨/٤.
 - (٩) لسان العرب (أثم).
 - (١٠) تفسير الطبرى .٣٣٠/٤
 - (١١) الناسخ والمنسوخ .٢٨
 - (١٢) تفسير القرطبي .٦٠/٣
 - (١٣) الميزان .١٩٤/٢
 - (١٤) لسان العرب (سكر).
 - (١٥) المصدر نفسه.
 - (١٦) تفسير العياشي .٢٤٢/١
 - (١٧) مجمع الفائدة .١٠٤/٢
- ١٢- مراحل خلق الإنسان على ضوء الكتاب والسنة، شبكة المعلومات العالمية، موقع طريق اليمان.
- ١٣- مصادر تفسير القرآن بالقرآن، شبكة المعلومات العالمية، موقع الدكتور مساعد الطيار.
- ١٤- المعنى القرآني بين التفسير والتأويل / دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني، عباس أمير معارز، اطروحة دكتوراه، كلية التربية - جامعة بابل، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ١٥- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرسين، قم، إيران.
- ١٦- الناسخ والمنسوخ، قتادة السدوسي (ت ١١٧هـ)، تحقيق: د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، جامعة بغداد، ط ٣، ١٤٠٩هـ.



(١٨) الميزان ٢/١٩٤.

(١٩) الميزان ١٤/٢٠٩.

(٢٠) ينظر البيان ٧/٢٠٨.

(٢١) الميزان ١٥/٧٢..

(٢٢) أخذنا هذا المصطلح (الاطوار)

من قوله تعالى ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا﴾.

(٢٣) الميزان ١٩/٣٦٣.

(٢٤) ثمة بحث على شبكة المعلومات

العالمية عنوانه «مراحل خلق الإنسان على

ضوء الكتاب والسنة» موقع طريق

الإيمان.

(٢٥) ينظر مصادر تفسير القرآن

بالقرآن في شبكة المعلومات العالمية

(الإنترنت) في موقع كثيرة، تحت

هذا العنوان

(٢٦) صحيح البخاري ٨ / ٥٤

٢

فَوْقَ التَّلُوْسِيِّ
مِنْ مَرْوِيَّاتِ الْإِمَامَيْنِ
الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

أ.د. عصام كاظم شناوة الغالبي

جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه الطيبـين الطاهـرين وبعد...

فقد زخرت تفاسير الإمامية قدـماً وحدـياً بـآلاف الأـحادـيث المـروـيـة عنـ أـهـلـ الـبـيـتـ ولاـ سـيـماـ الإمامـانـ الـبـاـقـرـ وـالـصـادـقـ عـلـىـهـمـ السـلـامـ فـيـ تـفـاسـيرـ آـيـاتـ الـقـرـآنـ وـبـيـانـ مـعـانـيـ كـلـمـاتـهـ، كـيـفـ لـاـ وـهـ عـدـلـ الـقـرـآنـ وـفـيـ بـيـوـتـهـمـ نـزـلـ؟ـ!ـ، فـهـمـ «ـمـعـ الـقـرـآنـ، وـالـقـرـآنـ مـعـهـمـ، لـاـ يـفـارـقـونـهـ حـتـىـ يـرـدـواـ عـلـىـ الـحـوـضـ»ـ، وـقـدـ نـهـيـ عـلـىـهـمـ عـنـ تـقـدـمـهـمـ قـائـلاـ: «ـوـلـاـ تـقـدـمـوـهـمـاـ فـتـهـلـكـواـ، وـلـاـ تـلـمـوـهـمـاـ إـنـهـمـاـ أـعـلـمـ مـنـكـمـ»ـ.

أـمـاـ تـفـاسـيرـ الـعـاـمـةـ فـلـمـ يـخـلـ أـغـلـبـهـاـ مـنـ الرـجـوعـ إـلـىـ أـقـوـالـ أـهـلـ الـبـيـتـ وـالـنـهـلـ مـنـ مـعـيـنـهـمـ، وـلـكـنـ استـشـهـادـهـاـ كـانـ قـلـيلاـ جـداـ إـذـاـ ماـ قـيـسـتـ بـتـفـاسـيرـ الـإـمامـيـةـ، وـهـيـ مـتـفـاوـتـةـ فـيـ مـاـ بـيـنـهـاـ فـيـ الـاستـشـهـادـ بـأـقـوـالـ الـإـمامـيـنـ الـبـاـقـرـ وـالـصـادـقـ عـلـىـهـمـ السـلـامـ، فـمـنـ التـفـاسـيرـ مـاـ

كان رجوعها إليـهـماـ وـاـسـتـشـهـادـهـاـ
بـأـقـوـالـهـمـاـ أـكـثـرـ مـنـ غـيرـهـاـ، وـمـنـهـاـ مـاـ
كانـ اـسـتـشـهـادـهـاـ بـأـقـوـالـهـمـاـ قـلـيلاـ جـداـ،
وـمـنـهـاـ مـاـ يـكـادـ يـنـدـعـمـ اـسـتـشـهـادـهـاـ.

وـيـعـدـ تـفـاسـيرـ رـوـحـ الـمـعـانـيـ لـالـأـلوـسـيـ
أـكـثـرـ تـفـاسـيرـ الـعـاـمـةـ رـجـوعـاـ لـلـإـمـامـيـةـ
الـبـاـقـرـ وـالـصـادـقـ وـاـسـتـشـهـادـاـ بـأـقـوـالـهـمـاـ؛
إـذـ بـلـغـ ذـكـرـ الـإـمـامـ الـبـاـقـرـ عـلـىـهـ السـلـامـ فـيـ
هـذـاـ تـفـاسـيرـ أـكـثـرـ مـنـ خـمـسـيـنـ مـرـةـ،
وـرـبـاـ ذـكـرـ الـإـمـامـ الـصـادـقـ فـيـهـ عـلـىـ
الـثـمـانـيـنـ مـرـةـ، فـيـ مـوـاطـنـ مـتـفـرـقـةـ.

وـقـدـ نـوـعـ الـأـلوـسـيـ فـيـ تـفـاسـيرـهـ
الـأـخـذـ مـنـ الـإـمـامـيـنـ الـبـاـقـرـ وـالـصـادـقـ عـلـىـهـمـ السـلـامـ،
فـتـارـةـ يـنـقـلـ عـنـهـمـ تـفـاسـيرـ آـيـةـ كـامـلـةـ
وـتـارـةـ تـفـاسـيرـ كـلـمـةـ وـبـيـانـ مـعـانـهـاـ،
وـتـارـةـ يـرـوـيـ عـنـهـمـاـ عـنـ رـسـولـ
الـلـهـ عـلـىـهـ السـلـامـ، وـتـارـةـ يـنـقـلـ عـنـهـمـاـ فـيـ مـنـ
نـزـلـتـ آـيـةـ الـقـرـآنـيـةـ، وـتـارـةـ يـرـوـيـ
قـرـاءـتـهـمـاـ إـذـ كـانـ الـلـفـظـةـ الـقـرـآنـيـةـ
قـدـ قـرـئـتـ بـأـكـثـرـ مـنـ قـرـاءـةـ، وـأـحـيـاناـ
يـنـقـلـ مـاـ رـوـيـ عـنـهـمـاـ فـيـكـذـبـ رـاوـيـهـمـاـ
أـوـ يـنـفيـ صـدـورـهـ عـنـ الـإـمـامـيـنـ؛ـ لـذـكـرـ
كـانـ هـذـاـ الـبـحـثـ لـتـسـلـيـطـ الضـوءـ عـلـىـ مـوـقـعـهـ

المبحث الأول مرويات الإمامين الباقي والصادق عليهما السلام في تفاسير العامة

أولاً: مرويات الإمام الباقي عليهما السلام في تفاسير العامة:

لم تكن تفاسير العامة على مستوى واحد من ناحية الاستشهاد بأقوال الإمام الباقي عليهما السلام، واستشهادها بأقواله قليل جداً إذا ما قيست بتفاسير الإمامية أو باستشهاد هذه التفاسير بأقوال الصحابة والتابعين من غير الإمامية.

فمن التفاسير ما لم تستشهد بأقوال الإمام، ولم ترو عنه أي شيء يتعلق بتفسير كلمات القرآن أو آياته نحو تفاسير: الوجيز للواحدي والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزري وتذكرة الأريب وتفسير ابن عرفة وتفسير ابن عبد السلام وتفسير التستري وتفسير الصناعي وتفسير الجلالين وتفسير دقائق التفسير وغيرها.

ومن التفاسير ما يكاد ينعدم استشهادها بأقوال الإمام؛ إذ لم تذكر الإمام سوى مرة واحدة أو مرتين،

من مرويات الإمامين عليهما السلام، واقتضت طبيعته أن يقسم على ثلاثة مباحث تسبقها مقدمة وتتبعها خاتمة.

استقرت في المبحث الأول أهم تفاسير العامة مصنفاً إياها إلى أصناف بحسب استشهادها بأقوال الإمام عليهما السلام أو عدم استشهادها، وتناولت في المبحث الثاني موقف الآلوسي من مرويات الإمام الباقي، وفي المبحث الثالث موقف الآلوسي من مرويات الإمام الصادق عليهما السلام، وسيحاول البحث تفصيل ما تقدم ذكره مُعززاً بالأيات القرآنية والمرجعيات المنسوبة إليهما عليهما السلام.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُوا بِاللُّغُو﴾، فقد روى عن الإمام الباقي قوله: إذا ذكروا الفروج كنوا عنها، وهو لا يختلف عن البحر المديد إلا في الفعل في البحر المديد (كفوا) وفي النسفي (كنوا)^(٤).

ومثله تفسير أصوات البيان في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسلخَ الْأَشْهُرُ الْحَرَمُ﴾ التوبة^(٥)، فقد روى عن الإمام الباقي أن هذه الأشهر هي المقصودة في قوله تعالى: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكُ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ التوبة^(٦).

و قريب منها تفسير التحرير والتنوير الذي لم يرو عن الإمام سوى مرتين، منها ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ الدخان^(٧)، قائلاً: «و اختلف في الليلة التي ابتدئ فيها نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم من ليالي رمضان، فقيل: هي ليلة سبع عشرة منه ذكره ابن إسحاق عن الباقي^{عليه السلام} أخذًا من قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمِنْتُمْ بِاللَّهِ﴾

وعلى سبيل المثال لا الحصر تفسير الكشاف الذي لم يذكر الإمام الباقي سوى مرة واحدة، وذلك في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصُنَّ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغُنَّ أَجَاهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ البقرة (٢٣٤)؛ إذ روى عن الإمام الباقي رواية تتعلق بموضوع الآية^(٨).

وكذلك تفسير البحر المديد الذي نقل عن الإمام مرة واحدة، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُوا بِاللُّغُو مَرُوا كِرَاماً﴾ الفرقان (٧٢)، فقد روى عن الإمام الباقي^{عليه السلام} قوله: إذا ذكروا الفروج كفوا عنها^(٩).

ومنها أيضاً تفسير أبي السعود الذي روى قراءة عن الإمام، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الأنفال^(١)، فذكر أن الإمام الباقي وغيره قرؤوا (يسألونك الأنفال) بحذف (عن)^(٣).

وكذلك تفسير النسفي، وذلك في

وبعد استقراء ما ورد عن الإمام الباقي عليهما السلام في هذه التفاسير وجد الباحث أن أكثر تفاسير العامة استشهاداً بأقوال الإمام هو تفسير روح المعاني للآلوي؛ إذ بلغت الروايات المنسوبة إلى الإمام الباقي عليهما السلام في هذا التفسير أكثر من خمسين رواية، ولعل السبب في ذلك هو تأخر الآلوسي ونقله أغلب ما أورده المفسرون عن الإمام في تفاسيرهم.

ثانياً: مرويات الإمام الصادق عليهما السلام في تفاسير العامة:

لم تختلف تفاسير العامة في نقلها عن الإمام الصادق عن نقلها عن أبيه الباقي عليهما السلام، فلم تكن كذلك على مستوى واحد من ناحية الاستشهاد بأقوال الإمام الصادق عليهما السلام، واستشهادها بأقواله قليل جداً إذا ما قياسه بتفاسير الإمامية أو باستشهاد هذه التفاسير بأقوال الصحابة والتابعين من غير الإمامية.

فمن التفاسير ما يكاد ينعدم استشهادها بأقوال الإمام؛ إذ لم تذكر الإمام سوى مرة واحدة نحو تفسير القشيري الذي

وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان》 الأنفال (٤١)، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون بيدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة ليلة من رمضان أهـ. أي تأول قوله: **«وما أنزلنا على عبدنا الأنفال (٤١) أنه ابتداء نزول القرآن»**^(٦). وكذلك تفسير زاد المسير في تفسير قوله تعالى: **«فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحِرْ** الكوثر^(٧)؛ إذ روى عن الإمام أن النحر رفع اليدين بالتكبير إلى النحر^(٨). و قريب منها تفسير النكت والعيون؛ إذ لم يستشهد بأقوال الإمام سوى نحو خمس مرات منها في معنى الكلمة (طه)، فقد روى عن الباقي أن معناها طوبي لمن اهتدى، قائلاً: «وهذا قول محمد الباقي بن علي زين العابدين رحمهما الله»^(٩). ومن التفاسير ما وصل استشهادها بأقوال الإمام إلى نحو عشر مرات أو أكثر، نحو تفاسير المحرر الوجيز والبغوي والسراج المنير والطبراني والرازي والنيسابوري والكشف والبيان وابن كثير والقرطبي واللباب وغيرها.

الربا؛ ليتقارض الناس^(١)، وكذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿سَنَفِرُّ لَكُمْ أَيُّهَا الشَّقَان﴾ الرحمن^(٣١)، روى عن الإمام في سبب تسمية الإنسان والجن بالثقلين أنه قال: سمي الإنسان والجن ثقلين؛ لأنهما ثقلان بالذنوب^(٤).

وقريب منه تفسير النسفي، ومما رواه ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ آل عمران^(١٩٣)، إذ روى عن جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَام أنه قال: من حزبه أمر فقال خمس مرات: «ربنا»، أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد^(٥). ومثلهما تفسير زاد المسير، ومما رواه عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿طَسْمٌ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِين﴾ الشعراء^(٢١)، إذ ذكر عدداً من الآراء التي قيلت في معنى (طسم) ومنها ما نسبه إلى الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام وهو أن الطاء شجرة طوبى، والسين: سدرة المنتهى، والميم: محمد عَلَيْهِ السَّلَام^(٦).

ومن التفاسير ما وصل استشهادها بأقوال الإمام إلى عشرات المرات،

لم يذكر الإمام الصادق سوى مرة واحدة، وذلك في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الْضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين﴾ الأنبياء^(٨٣)، إذ روى عن الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَام أنه قال: حَسِّسَ عَنْهُ الْوَحْيُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَقَالَ: ﴿مَسَّنِي الْضُّرُّ﴾ لِمَا لَحِقَهُ مِنْ الضعف بِقِيامِ الطَّاعَةِ فَاسْتَجَابَ إِلَيْهِ بِأَنَّ رَدَّ عَلَيْهِ قُوَّتَهُ لِيَقُومَ بِحَقِّ الطَّاعَةِ^(٧).

وممن روى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام مرة واحدة أيضاً تفسيرقطان، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف^(١٩٩)، إذ ذكر أنه رُوي عن الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَام أنه قال: «ليس في القرآن آيةً أجمعَ لمكارم الأخلاق من هذه»^(٨).

وزاد عليهما قليلاً تفسير العالبي، إذ روى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام ثلاث مرات، منها ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَمَ الرَّبَا﴾ البقرة^(٢٧٥)، إذ روى عن الإمام في تفسير الآية الكريمة أنه: وحرم الله

المبحث الثاني موقف الآلوسي من مرويات الإمام الباقي عليهما السلام

لم يتعامل الآلوسي بتحايدٍ تام مع ما ينقله عن الإمام الباقي عليهما السلام من أقوال، فهو معها ما دامت توافق عقيدته ولا تخالف ما يذهب إليه ويتمذهب عليه، أما ما يخالف عقيدته من هذه الروايات فهي مكذوبة على الإمام الباقي وضعها الشيعة (عاملهم الله بما يستحقون) على حدّ تعبيره.

ومما رواه عن إمامنا الباقي لأنّه موافق لعقيدته ما جاء في تفسير قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقْبِلُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» المائدة (55)، فقد حاول الآلوسي جاهداً ألا تكون الآية قد نزلت في الإمام علي عليهما السلام، قال: «... والثاني: أنا لا نسلم الإجماع على نزولها في الأمير كرم الله تعالى وجهه، فقد اختلف علماء التفسير في ذلك، فروى أبو بكر النقاش صاحب «التفسير المشهور» عن محمد الباقي عليهما السلام

نحو تفسير الكشف والبيان للتلubi وتفسير القرطبي وتفسير البحر المحيط لأبي حيان وغيرها.

وبعد استقراء ما ورد عن الإمام الصادق عليهما السلام في هذه التفاسير وجد الباحث أن أكثر تفاسير العامة استشهاداً بأقوال الإمام هو تفسير روح المعاني للألوسي؛ إذ بلغت الروايات المنسوبة إلى الإمام الصادق عليهما السلام في هذا التفسير أكثر من ثمانين رواية؛ ولعل السبب في ذلك هو تأخر الآلوسي ونقله أغلب ما أورده المفسرون عن الإمام في تفاسيرهم.

أخبر أنه يملك من بعده أبو بكر. وعمر فعرفها بعض ما أفشت من الخبر وأعرض عن بعض أن أبو بكر وعمر يملكان من بعدي، و قريب من ذلك ما رواه العياشي بالإسناد عن عبد الله بن عطاء المكي عن أبي جعفر الباقر عليهما السلام إلا أنه زاد في ذلك أن كل واحدة منهما حدثت أباها بذلك فاعتبرهما في أمر مارية وما أفشت عليه من ذلك، وأعرض أن يعتبرهما في الأمر الآخر»^(١٦)، ثم قال: «وإذا سلم الشيعة صحة هذا لزمهم أن يقولوا بصحة خلافة الشيختين لظهوره فيها كما لا يخفى»^(١٧).

ومما ورد مخالفًا لعقيدته فحاول تكذيبه أو رده ما جاء في تفسير قوله تعالى: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أُولَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتَمَّ الرَّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالَّدَّةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودُ لَهُ بِوَلَدِهِ» البقرة (٢٣٣)، قال: والمضاربة مفاجعة من الضرر، والمفاجعة إما مقصودة والمفعول محذوف أي

أنها نزلت في المهاجرين والأنصار، وقال قائل: نحن سمعنا أنها نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه، فقال: هو منهم يعني أنه كرم الله تعالى وجهه داخل أيضًا في المهاجرين والأنصار ومن جملتهم. وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن عبد الملك بن أبي سليمان وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الباقر رضي الله تعالى عنه أيضاً نحو ذلك، وهذه الرواية أوفق بصيغ الجمع في الآية، وروى جمع من المفسرين عن عكرمة أنها نزلت في شأن أبي بكر رضي الله تعالى عنه»^(١٨).

وكذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: «وَإِذْ أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضِ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ» التحرير (٣)، قال: «وفي (مجامع البيان) للطبرسي من أجل الشيعة عن الزجاج قال: لما حرم عليه الصلاة والسلام مارية القبطية

والصادق عليهما السلام الإقدام على ما زعمه هذا الرواوى الكاذب»^(١٩).

ولا أعرف كيف توصل الآلوسي إلى أن راوي هذه الرواية كاذب أم هو التعصب الأعمى الذي لا يجعله يسلم بكل ما يخالفه حتى لو ورد عن إمامين عظيمين كالباقي والصادق عليهما السلام.

وأختلف المفسرون في تفسير (ثم اهتدى) في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ طه(٨٢) على آراء كثيرة نقلها الآلوسي في تفسيره، ومنها ما رواه الإمامية من عدة طرق عن أبي جعفر الباقي عليهما السلام أنه قال: «ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت فوالله لو أن رجلاً عبد الله تعالى عمره بين الركن والمقام ثم مات ولا يجيء بولايتنا لأكبه الله تعالى في النار على وجهه»^(٢٠).

ثم علق قائلًا: «وأنت تعلم أن ولايتهم وحبهم مما لا كلام عندنا في وجوبه لكن حمل الاهتداء في الآية على ذلك مع كونها حكاية لما خاطب الله تعالى بهبني إسرائيل في زمان

تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفكير في شأن الولد وأن تقول بعد أن ألفها الصبي أطلب له ظرراً مثلاً ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئاً مما وجب عليه من رزقها وكسوتها، أو يأخذ الصبي منها وهي تريد إرضاعه أو يكرهها على الإرضاع وإما غير مقصودة، والمعنى: لا يضر واحداً منهم الآخر بسبب الولد»^(١٨).

ولما وجد رواية عن الأئمة تخالف ما ذهب قال: «ومن غريب التفسير ما رواه الإمامية عن السيدتين الصادق والباقي رضي الله تعالى عنهما أن المعنى لا تضار والدة بتترك جماعها خوف الحمل لأجل ولدها الرضيع ولا يضار مولود له بمنعه عن الجماع كذلك لأجل ولده، وحينئذٍ تعيين الباء للسببية، ويجب أن يكون الفعلان مبنيين للمفعول ولا يظهر وجه لطيف للتعبير بالولد في الموضعين، وترجع الآية عمما يقتضيه السياق، وبعيد عن الباقي

أيضاً أنه رأى في كتاب ألفه سليمان بن عبد الله البحرياني في مثالب جمع من الصحابة روایات كثيرة قريبة مما ذكر، ومنها ما رواه الطبرسي أيضاً في «الاحتجاج» عن الباقر أنه قال: لما كان يوم الجمل وقد رشق هودج عائشة بالنبيل قال عليٌّ كرم الله تعالى وجهه: والله ما أراني إلا مطلقاً فأنشد الله تعالى رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يا عليٌّ أمر نسائي يدك من بعدي لما قام فشهد فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا بذلك الحديث، وكذلك قول البحرياني: رأيت في بعض الأخبار التي لا تحضرني الآن ما هو صريح في وقوع الطلاق^(٢٢).

ومعلوم أن ما ذكر لا يوافق عقيدة
الآلوي لذلك قال: «وهذا لعمري من
السفاهة والوقاحة والجسارة على الله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم بمكان وبطانته
أظهر من أن يخفى ور كاكة الفاظه تنادي
على كذبه بأعلى صوت ولا أظنه قولًا
مرضيًّا عند من له أدنى عقل منهم فلعن الله
تعالى من اختلفه وكذا من يعتقده» (٢٣).

موسى عليه السلام مما يستدعي القول بأنه عز وجل أعلم بنى إسرائيل بأهل البيت وأوجب عليهم ولاتهم إذ ذاك ولم يثبت ذلك في «صحيحة الأخبار».
نعم روى الإمامية من خبر جارود بن المنذر العبدى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «يا جارود ليلة أسرى بي إلى السماء أوحى الله عز وجل إلى أن سل من أرسلنا قبلك من رسلنا علام بعثوا؟ قلت: علام بعثوا؟ قال: على نبوتكم وولاية علي بن أبي طالب والأئمة منكما ثم عرفني الله تعالى بهم بأسمائهم ثم ذكر صلى الله عليه وسلم أسماءهم واحداً بعد واحداً إلى المهدى وهو خبر طويل يتفجر الكذب منه ولهم أخبار في هذا المطلب كلها من هذا القبيل فلافائدة في ذكرها إلا التطويل»^(٢١).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ
بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزَوْجُهُمْ﴾
الأحزاب (٦) نقل كثيرا من روايات
الإمامية التي تنص على أن أمير المؤمنين
عليها قد طلق عائشة يوم الجمل، وذكر

قال فيها: أخرج ابن عساكر عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عليهما السلام أن عقيل بن أبي طالب دخل على معاوية فقال معاوية له: أين ترى عمك أبي لهب من النار، فقال له عقيل: إذا دخلتها فهو على يسارك مفترش عتمك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب»^(٢٦). ولم تعجب الألوسي هذه الرواية؛ لأن فيها ذمًا لمعاوية فعلق عليها قائلا: «ولا أظن صحة هذا الخبر عن الصادق لأن فيه ما فيه»^(٢٧).

وذكر الالوسي أن المفسرين اختلفوا في معنى (النعم) الوارد في قوله تعالى: **﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيم﴾** التكاثر (٨) على أقوال «فأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن ابن مسعود مرفوعاً هو الأمان والصحة وأخرج البيهقي عن الأمير علي كرم الله تعالى وجهه قال النعم العافية وأخرج ابن مردويه عن أبي الدرداء مرفوعاً أكل خنزير والنوم في الظل وشرب ماء الفرات مبرداً وأخرج ابن جرير عن ثابت البناني مرفوعاً النعم المسؤول عنه يوم

وفسر الألوسي قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَاهِمْ جَهَنَّمُ وَبَشِّرَ الْمَصِيرَ» التحرير (٩) قائلاً: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدُ الْكُفَّارَ بِالسِيفِ وَالْمُنَافِقِينَ بِالْحِجَةِ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ» واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهد هم به إذا بلغ الرفق مداه»^(٢٤)، ثم روى عن الطبرسي أنه حكى عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قرأ جاهد الكفار بالمنافقين، ولم يعجبه ما حكاه الطبرسي فقال: «وأظن ذلك من كذب الإمامية عاملهم الله تعالى بعدله»^(٢٥).

وقد اتهم الألوسيُّ الطبرسيَّ بالكذب
في هذه الرواية، ولقد قال في موضع
سابق: إن الطبرسي من أجل علماء
الشيعة، فما حدا مما بدا؟! لأن ما
رواه الطبرسي سابقاً يوافق عقيدته،
وهنا يخالفه أم ماذا؟!

وفي معرفة حمالة الحطب في قوله تعالى: ﴿وَامْرَأُهُ حَمَالَةُ الْحَاطِب﴾ المسدّ (٤) قال: «... وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان ثم روی رواية

ونقل أيضاً ما رواه العياشي من الإمامية أيضاً أن أبا عبد الله الصادق ع عليه «قال لأبي حنيفة في الآية: ما لنعم عندك يا نعمان؟، فقال: القوت من الطعام والماء البارد، فقال أبو عبد الله: لئن أوقفك الله تعالى بين يديه حتى يسألوك عن كل أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولن وقوفك بين يديه فقال أبو حنيفة: فما النعيم؟، قال: نحن أهل البيت النعيم أنعم الله تعالى بنا على العباد وبنا اختلفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا ألف الله تعالى بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداء وبنا هداهم إلى الإسلام وهو النعمة التي لا تنتهي والله تعالى سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم سبحانه به عليهم وهو محمد وعترته عليه وعليهم الصلاة والسلام»^(٢٩).

والروايتان تخالفان عقيدة الألوسي لذلك ردّهما قائلاً: «وكلما الخبرين لا أرى لهما صحة وفيهما ما ينادي عن عدم صحتهما كما لا يخفى على من ألقى السمع وهو شهيد والحق عموم الخطاب والنعيم بيد أن المؤمن لا يشرب

القيامة كسرة تقوته وماء يرويه وثوب يواريه وأخرج الخطيب عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسره قال الخصاف والماء وفلق الكسر وروي عنه وعن جابر أنه ملاذ المأكول والمشروب وقال الحسين بن الفضل هو تخفيف الشرائع وتيسير القرآن»^(٢٨).

ثم نقل ما رواه جابر الجعفي من الإمامية قال: دخلت على الباقي ع عليه قال: ما يقول أرباب التأويل في قوله تعالى لتسئلن يومئذ عن النعيم؟، فقلت: يقولون: الظل والماء البارد فقال: لو أنك أدخلت بيتك أحداً وأقعدته في ظل وسقيته أتمن عليه؟، قلت: لا، قال: فالله تعالى أكرم من أن يطعم عبده ويُسقيه ثم يسأله عنه، قلت: ما تأويله؟، قال: النعيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أنعم الله تعالى به على أهل العالم فاستنقذهم به من الضلال، أما سمعت قوله تعالى: «لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً»^{٣٠}؟ آل عمران (١٦٤).

عليه في شيء ناله منه في الدنيا بل يسأل غير مشرب وإنما يثرب على الكافر كما ورد ذلك في حديث رواه الطبراني عن ابن مسعود^(٣٠)، ثم أتى بأحاديث استدل من خلالها على عموم الخطاب^(٣١).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ التوبة (٧٤) ذكر التامر الذي قام به عدد من المنافقين لقتل رسول الله، وذكر أنهم اثنا عشر رجلاً وكانوا كلهم كما أخرج ابن سعد عن نافع بن جبير من الأنصار أو من حلفائهم ليس فيهم قريش. ثم ذكر ما نقله الطبرسي عن الباقي عليهما السلام أن ثمانية منهم من قريش وأربعة من العرب^(٣٢)، وهذا النقل لا يعول عليه برأي الآلوسي؛ لأن فيه طعناً لبعض الصحابة الذين هم من قريش، وإن كان الناقل الطبرسي الذي هو من أجل الشيعة بحسب رأيه.

المبحث الثالث
موقف الآلوسي من مرويات الإمام الصادق عليهما السلام
 لم يختلف موقف الآلوسي من مرويات الإمام الصادق عليهما السلام عن موقفه من مرويات أبيه الباقي عليهما السلام، فلم يتعامل الآلوسي بتحايدٍ تامٍ مع ما ينقله عن الإمام الصادق عليهما السلام من أقوال، فهو معها ما دامت توافق عقيدته ولا تخالف ما يذهب إليه ويتمذهب عليه، أما ما يخالف عقيدته من هذه الروايات فهي مكذوبة على الإمام الصادق وضعها الشيعة (عاملهم الله بما يستحقون)، على حد تعبيره، أو أن غيرها أقرب إليه منها. ومما رواه الآلوسي مؤيداً لما يعتقد به ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَرَثَ سُلَيْمَانُ دَاؤُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ النمل (١٦)، فحاول أن يصرف الوراثة عن معناها الحقيقي إلى المعنوي قائلاً: ﴿وَوَرَثَ سَلِيمَانَ دَاؤُودَ﴾ أي قام مقامه في النبوة والملك وصارنبياً ملكاً بعد

توفي عن تسعه عشر ابناً فالإخبار بها عن سليمان ليس فيه كثير نفع وإن كان المراد الأخبار بما يلزمها من بقاء سليمان بعد داود^{عليهم السلام} فما الداعي للعدول عما يفيده من غير خفاء مثل وقال سليمان بعد موت أبيه داود (يا أيها الناس) الخ»^(٣٤).

و كذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ...﴾ البقرة(١٣٦)، تكلم على معنى الأسباط الواردة في الآية، ثم قال: «واختلف الناس في الأسباط أولاد يعقوب هل كانوا كلهم أنبياء أم لا؟، والذي صح عندي الثاني وهو المروي عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه وإليه ذهب الإمام السيوطي وألف فيه؛ لأن ما وقع منهم مع يوسف عليه الصلاة والسلام ينافي النبوة قطعاً وكونه قبل البلوغ غير مسلم؛ لأن فيه أفعالاً لا يقدر عليها إلا البالغون، وعلى تقدير التسلیم لا يجدي نفعاً على ما هو القول الصحيح في شأن

موت أبيه داود^{عليهم السلام} فوراثته إياه مجاز عن قيامه مقامه فيما ذكر بعد موته، وقيل: المراد وراثة النبوة فقط، وقيل: وراثة الملك فقط، وعن الحسن ونسبه الطبرسي إلى أئمة أهل البيت أنها وراثة المال، وتعقب بأنه قد صح «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»^(٣٣).

ثم روى حديثاً أخرجه أبو داود والترمذمي عن أبي الدرداء قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»، وروى محمد بن يعقوب الرazi في (الكافي) عن أبي البحتري عن أبي عبد الله جعفر الصادق^{عليه السلام} أنه قال ذلك أيضاً، ومما يدل على أن هذه الوراثة ليست وراثة المال ما روى الكليني عن أبي عبد الله أن سليمان ورث داود وأن محمداً ورث سليمان صلى الله عليه وسلم، وأيضاً وراثة المال لا تختص بسليمان^{عليه السلام} فإنه كان لداود عدة أولاد غيره كما رواه الكليني عنه أيضاً، وذكر غيره أنه^{عليه السلام}

وإلا كانت محسوبة في الأربع، وبالجملة الاستدلال بهذه الآية على حل المتعة ليس بشيء كما لا يخفى»^(٣٧).

ومنه أيضاً ما ورد في تفسير قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾** فاطر (٣٢)، فقد ذكر الآلوسي عدداً من الآراء في المراد بالمصطفين في الآية الكريمة منها أن المراد بالمصطفين علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم ومن يسير بسيرتهم وإيراثهم القرآن جعلهم فاهمين معناه واقفين على حقائقه و دقائقه أمناء على أسراره، ثم ذكر أن الإمامية رروا عن الصادق والباقي عليهما السلام قالاً: هي لنا خاصة وإيانا عنى أراداً أن أهل البيت أو الأئمة منهم هم المصطفون الذين أورثوا الكتاب، واختار هذا الطبرسي الإمامي قال في تفسيره (مجمع البيان): وهذا أقرب الأقوال لأنهم أحق الناس بوصف الاصطفاء والاجتباء وإيراث علم الأنبياء عليهما السلام^(٣٨). وقد علق الآلوسي قائلاً: «وربما يستأنس له بقوله عليه الصلاة والسلام:

الأنبياء وكم كبيرة تضمن ذلك الفعل وليس في القرآن ما يدل على نبوتهم»^(٣٩).

وكذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: **﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مَنِ النَّاسُ مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرُقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنِ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** البقرة (١٤٢)، فقد ذكر الآلوسي أنَّ الناس اختلفوا في مدة بقاءه عليه السلام مستقبلاً بيت المقدس ففي «رواية مالك بن أنس تسعة أشهر أو عشرة أشهر، وعن معاذ ثلاثة عشر شهراً، وعن الصادق عليهما السلام سبعة أشهر، وهل استقبل غيره قبل بمكة أم لا؟ قولان: أشهرهما الثاني وهو المروي أيضاً عن الصادق رضي الله تعالى عنه»^(٤٠).

وفي تفسير قوله تعالى: **﴿وَالْمُحْسَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾** النساء (٢٤) نقاش الآلوسي رأى الشيعة في زواج المتعة ذاكراً أنَّ أبا نصير من الشيعة روى في صحيحه «عن الصادق عليهما السلام» أنه سُئل عن امرأة المتعة أهي من الأربع؟ قال: لا ولا من السبعين»، فعلى قائلها: «وهو صريح في أنها ليست زوجة

والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وأن تقول بعد أن ألفها الصبي أطلب له ظئراً مثلاً ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئاً مما وجب عليه من رزقها وكسوتها، أو يأخذ الصبي منها وهي ت يريد إرضاعه أو يكرهها على الإرضاع وإنما غير مقصودة، والمعنى: لا يضر واحد منهم الآخر بسبب الولد»^(٤٠).

ولما وجد رواية عن الأئمة تختلف ما ذهب قال: «ومن غريب التفسير ما رواه الإمامية عن السيدين الصادق والباقر رضي الله تعالى عنهم أن المعنى لا تضار والدة بتترك جماعها خوف الحمل لأجل ولدتها الرضيع ولا يضار مولود له بمنعه عن الجماع كذلك لأجل ولدته، وحيثئذ تعيين الباء للسببية، ويجب أن يكون الفعلان مبنيين للمفعول ولا يظهر وجه لطيف للتعبير بالولد في الموصعين، وترجع الآية بما يقتضيه السياق، وبعيد عن الباقر

إنني تارك فيكم الثقلين كتاب الله تعالى وعترتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض... وحملهم على علماء الأمة أولى من هذا التخصيص ويدخل فيهم علماء أهل البيت دخولاً أولياً ففي بيتهم نزل الكتاب ولن يفترقا حتى يردا الحوض يوم الحساب، وإذا كانت بالإضافة في **«عبدنا»** للتشريف واختص العباد بمؤمني هذه الأمة وكانت من للتبعيض كان حمل المصطفين على العلماء كالمتعين، وعن الجبائي أنهم **عليهم السلام** اختارهم الله تعالى وحباهم برسالته وكتبه^(٣٩).

ومما ورد مخالفًا لعقيدته فحاول تكذيبه أو ردء ما جاء في تفسير قوله تعالى: **«وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أُولَادَهُنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنَ لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتَمَّ الرَّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًّا إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالْمَوْلَدُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودُ لَهُ بِوَلَدِهِ»** البقرة (٢٣٣) قال: «والمضاراة مفاجعة من الضرر، والمفاجعة إنما مقصودة والمفعول محدوف أي تضار

منهم أكبر من سبع سموات وسبع أرضين ما يرى عالم منهم أن الله عز وجل عالماً غيرهم، وأنني للحجارة عليهم»^(٤٢).

وهذا مخالف لما يعتقد به الآلوسي، لذا علق عليه قائلاً: «ولعل هذا وأمثاله من أرض السسمة وجابرسا وجابلقا - إن صحي - محمول على عالم المثال لا على هذا العالم الذي نحن فيه، وحمل تعدد آدم في ذلك العالم أيضاً غير بعيد، وأما القول بظواهر هذه الأخبار فمما لا يراه أهل السنة والجماعة، بل قد صرحت زين العرب بكفر من يعتقد التعدد، نعم إن آدمنا هذا عليهما السلام مسبوق بخلق آخرين كالملائكة والجن وكثير من الحيوانات وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى»^(٤٣).

وفي معنى قوله تعالى: «عَرْبًا أَتَرَابًا» الواقعية (٣٧)، ذكر الآلوسي أن ابن أبي حاتم أخرج عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: «عَرْبًا» كلامهن عربي، فعلى الآلوسي

والصادق عليهما السلام الإقدام على ما زعمه هذا الرواوى الكاذب»^(٤١).

وفي تفسير قوله تعالى: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِذَكَرِ مِثْلُ حَظِ الْأَنْثَيْنِ» النساء (١١) ذكر الآلوسي أنه روى عن جعفر الصادق عليهما السلام «أن حواء عليهما السلام أخذت حفنة من الحنطة وأكلت وأخذت أخرى وخبأتها ثم أخرى ودفعتها إلى آدم عليهما السلام فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الأمر عليها فجعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل» فعلق عليه قائلاً: ذكره بعضهم ولم أقف على صحته. ومن ذلك ما نقله الآلوسي عن «ابن بابويه» في كتاب (التوحيد) عن الصادق عليهما السلام في حديث طويل أيضاً أنه قال: لعلك ترى أن الله تعالى لم يخلق بشراً غيركم بلى والله لقد خلق ألف ألف آدم أنتم في آخر أولئك الآدميين... وفي كتاب (الخصائص) ما يكاد يفهم منه التعدد أيضاً الآن، حيث روى فيه عن الصادق أنه قال: إن الله تعالى اثني عشر ألف عالم كل عالم

فقال: القوت من الطعام والماء البارد،
فقال أبو عبد الله: لئن أوقفك الله تعالى
بين يديه حتى يسألوك عن كل أكلة
أكلتها أو شربة شربتها ليطولن وقوفك
بين يديه، فقال أبو حنيفة: فما النعيم؟،
قال: نحن أهل البيت النعيم أنعم الله
تعالى بنا على العباد وبنا اختلفوا بعد أن
كانوا مختلفين وبنا ألف الله تعالى بين
قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا
أعداء وبنا هداهم إلى الإسلام وهو
النعمة التي لا تنتقطع والله تعالى سائلهم
عن حق النعيم الذي أنعم سبحانه به
عليهم وهو محمد وعترته عليه وعليهم
الصلوة والسلام»^(٤٧).

والروایتان تخالفان عقيدة الألوسي
لذلك ردّهما قائلاً: «وَكُلَا الْخُبْرَيْنِ لَا
أَرِي لَهُمَا صَحَّةٍ وَفِيهِمَا مَا يَنْدَيِ عن
عَدْمِ صَحَّتِهِمَا كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ
أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ وَالْحَقُّ عُمُومٌ
الْحَطَابُ وَالنَّعِيمُ بِيَدِ الْمُؤْمِنِ لَا
يَشْرُبُ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ نَالَهُ مِنْهُ فِي الدِّينِ
بَلْ يَسْأَلُ غَيْرَ مُشْرِبٍ وَإِنَّمَا يَشْرُبُ عَلَى
الْكَافِرِ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ

قائلاً: وَلَا أَظُنُّ لَهُذَا صَحَّةً؛ وَالتَّفَسِيرُ
بِالْمُتَحَبِّبَاتِ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ^(٤٤).

وَفِي تَفْسِيرِ حَمَالَةِ الْحَطَابِ فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى: «وَأَمْرَأَتُهُ حَمَالَةُ الْحَطَابِ»
الْمَسْدُ^(٤) قَالَ: «... وَهِيَ أُمُّ جَمِيلَ بَنْتَ
حَرْبِ أُخْتِ أَبِي سَفِيَّانَ ثُمَّ رَوَى رَوَايَةً
قَالَ فِيهَا: أَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرٍ عَنْ جَعْفَرِ
الصَّادِقِ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِمَا
عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ دَخَلَ عَلَى مَعاوِيَةَ
فَقَالَ مَعَاوِيَةَ لَهُ: أَيْنَ تَرَى عَمَّكَ أَبا لَهَبِ
مِنَ النَّارِ؟ فَقَالَ لَهُ عَقِيلٌ: إِذَا دَخَلَتْهَا
فَهُوَ عَلَى يَسَارِكَ مُفْتَرِشٌ عَمْتَكَ حَمَالَةَ
الْحَطَابِ وَالرَاكِبُ خَيْرٌ مِّنَ الْمَرْكُوبِ»^(٤٥).
وَلَمْ تُعْجِبْ الْأَلْوَسِيَّ هَذِهِ الرَّوَايَةُ؛
لَأَنَّ فِيهَا ذَمًا لِمَعاوِيَةَ فَعَلِقَ عَلَيْهَا قَائلاً:
«وَلَا أَظُنُّ صَحَّةَ هَذَا الْخَبْرِ عَنِ الصَّادِقِ
لَأَنَّ فِيهِ مَا فِيهِ»^(٤٦).

وَفِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: «ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ
يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» التَّكَاثُرُ^(٨)، نَقْلٌ
الْأَلْوَسِيَّ رَوَيْتَنِي ذَكْرَهُمَا الْعِيَاشِيَّ مِنْ
الإِمَامِيَّةِ الْأُولَى عَنِ الْإِمامِ الْبَاقِرِ وَالْأُخْرَى
أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقَ «قَالَ لِأَبِي حَنِيفَةَ
فِي الْآيَةِ: مَا النَّعِيمُ عِنْدَكَ يَا نَعْمَانَ؟

خاتمة البحث:

نظر الباحث في الروايات التي نقلها مفسرو العامة ولا سيما الآلوسي عن الإمامين الバقر والصادق ع مصنفها إليها باحثا فيها، ناظرا في موقف الآلوسي منها، ولعل أهم ما توصل إليه البحث ما يأتي:

- ١- لم تخل أغلب تفاسير العامة من الرجوع إلى أقوال أهل البيت والنھل من معينهم، ولكن استشهادها كان قليلا جدا إذا ما قيست بتفاسير الإمامية، فمن التفاسير ما كان رجوعها واستشهادها بأقوالهم أكثر من غيرها، ومنها ما كان استشهادها بأقوالهم قليلا جدا، ومنها ما يكاد ينعدم استشهادها.
- ٢- أغلب الروايات التي يرويها مفسرو العامة عن أئمتنا ع هي روايات مرسلة ولا نعرف مدى صحة ورودها عن الأئمة؛ لذا يوصي الباحث بتحقيق تلك الروايات والتحقق من نسبتها إلى أئمتنا ع.
- ٣- وجد الباحث أن تفسير الآلوسي أكثر تفاسير العامة استشهادا بأقوال الإمام الصادق ع، إذ بلغت الروايات المنقوله أكثر من ثمانين رواية، وأرجع

الطبراني عن ابن مسعود^(٤٨)، ثم أتى بأحاديث استدل من خلالها على عموم الخطاب^(٤٩).

وفي تفسير قوله تعالى: «وإذا مرضت فهو يشفين» الشعرا (٨٠)، ذكر الآلوسي أنه روى «عن جعفر الصادق ع أن المعنى وإذا مرض بالذنب فهو يشفيني بالتوبة» ولم يعجبه تفسير الإمام فلقي قائلا: «ولعله لا يصح وإن صح فهو من باب الإشارة لا العبارة»^(٥٠).

مصادر البحث

* القرآن الكريم

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، من مصادر المكتبة الشاملة.
٢. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت.
٣. البحر المديد، ابن عجيبة، من مصادر المكتبة الشاملة.
٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (١٢٠٥هـ)، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
٥. التحرير والتنوير، ابن عاشور، من مصادر المكتبة الشاملة.
٦. تيسير التفسير، إبراهيم القطان، من مصادر المكتبة الإلكترونية (الشاملة).
٧. جواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الشعالي المالكي، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح أبو سنة - الشيخ علي محمد معوض - والشيخ

الباحثُ السبَّبَ في ذلك إلى تأثر الآلوسي ونقله أغلب ما أورده المفسرون عن الإمام في تفاسيرهم.

٤- تعدد الآراء التفسيرية في روح المعاني باختلاف المفسرين واختلاف مشاربهم، ويحاول الآلوسي أن يحيط بأغلب ما ذكروه في تفسير لفظة أو عبارة قرآنية، ومن روى عنهم الآلوسي الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام؛ إذ استشهد بعدد من الروايات المرورية عنهما في بيان معنى كلمة أو عبارة قرآنية.

٥- لم يقتصر الآلوسي في تفسيره من روايات الإمامين عليهما السلام على الروايات التفسيرية، وإنما تعداها إلى غيرها فذكر روايات غير تفسيرية.

٦- لم يتعامل الآلوسي بتحايد تام مع ما ينقله عن الإمامين عليهما السلام من أقوال، فهو معها ما دامت توافق عقيدته ولا تخالف ما يذهب إليه ويتمذهب عليه، أما ما يخالف عقيدته من هذه الروايات فهي في نظره مكذوبة على الإمام الصادق عليهما السلام وضعها الشيعة (عاملهم الله بما يستحقون)، على حد تعبيره.

- عادل أحمد عبد الموجود الطبعة:
الأولى، دار إحياء التراث العربي،
مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - لبنان
١٤١٨هـ.
٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الآلوسي.
٩. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
١٠. الكشاف عن حقائق غواص التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأویل، جار الله الزمخشري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٦م.
١١. كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
١٢. لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، من مصادر المكتبة الشاملة.
١٣. مدارك التنزيل وحقائق التأویل،

- (١٣) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي: ٢٠٣ / ١
- (١٤) ينظر: زاد المسير ٦ / ٣١
- (١٥) روح المعاني: ٦ / ١٦٨
- (١٦) روح المعاني: ٢٨ / ١٥١
- (١٧) روح المعاني: ٢٨ / ١٥١
- (١٨) ينظر: روح المعاني: ٢ / ١٤٧
- (١٩) روح المعاني: ٢ / ١٤٧
- (٢٠) روح المعاني: ١٦ / ٢٤١
- (٢١) روح المعاني: ١٦ / ٢٤١
- (٢٢) ينظر: روح المعاني: ٢١ / ١٥٢
- (٢٣) روح المعاني: ٢١ / ١٥٢
- (٢٤) روح المعاني: ٢٨ / ١٦٢
- (٢٥) روح المعاني: ٢٨ / ١٦٢
- (٢٦) روح المعاني: ٣٠ / ٢٦٣
- (٢٧) روح المعاني: ٣٠ / ٢٦٣
- (٢٨) روح المعاني: ٣٠ / ٢٢٦
- (٢٩) روح المعاني: ٣٠ / ٢٢٦
- (٣٠) روح المعاني: ٣٠ / ٢٢٦
- (٣١) ينظر: روح المعاني: ٣٠ / ٢٢٨-٢٢٧
- (٣٢) ينظر: روح المعاني: ١٠ / ١٣٩
- (٣٣) روح المعاني: ١٩ / ١٧١

الهوامش

- (١) ينظر: الكشاف: ١ / ٣٧٢
- (٢) ينظر: البحر المديد لابن عجيبة: ٤ / ٣١٥
- (٣) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود: ٣ / ٩١
- (٤) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣ / ١٧٨
- (٥) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي: ١١٥ / ٢
- (٦) التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٣ / ٢٦٢
- (٧) ينظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: ٨ / ٣٢٠
- (٨) ينظر: النكت والعيون للماوردي: ٤ / ١١٨
- (٩) ينظر: لطائف الإشارات للقشيري: ٥ / ١٣٩
- (١٠) ينظر: تيسير التفسير للقطان: ٢ / ٩٥
- (١١) ينظر: جواهر الحسان في تفسير القرآن للشعالي: ١ / ١٧٢
- (١٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤ / ٣٠

- (٣٤) روح المعاني: ١٩ / ١٧١
(٣٥) روح المعاني: ١ / ٣٩٥
(٣٦) روح المعاني: ٢ / ٣
(٣٧) روح المعاني: ٥ / ٧
(٣٨) يُنظر: روح المعاني: ٢٢ / ١٩٥
(٣٩) روح المعاني: ٢٢ / ١٩٥
(٤٠) روح المعاني: ٢ / ١٤٧
(٤١) روح المعاني: ٢ / ١٤٧
(٤٢) روح المعاني: ٤ / ١٨١
(٤٣) روح المعاني: ٤ / ١٨١
(٤٤) يُنظر روح المعاني: ٢٧ / ١٤٢
(٤٥) روح المعاني: ٣٠ / ٢٦٣
(٤٦) روح المعاني: ٣٠ / ٢٦٣
(٤٧) روح المعاني: ٣٠ / ٢٢٦
(٤٨) روح المعاني: ٣٠ / ٢٢٦
(٤٩) يُنظر: روح المعاني: ٣٠ / ٢٢٧-٢٢٨
(٥٠) روح المعاني: ١٩ / ٩٧

٣

الإيقاع المعنوي
في القرآن الكريم

أ.م.د. خالد كاظم حميدي

كلية الشيخ الطوسي الجامعة/التحف الأشرف

مقدمة

بها أكثر من غيرها، فضلاً عن ورود الإيقاع المعنوي فيها بتقنية إبداعية مقصودة تستدعي القارئ أن يطيل النظر في طريقة بنائها ولا سيما عند النظر في أخص خصائص شكلها الذي وردت فيه، لكشف المعاني العميقة التي أوجدها البناء النصي؛ ذلك أن هذا النوع من الإيقاع يعمل على جعل المتضادات أو المتقابلات المعنوية جنباً إلى جنب وهو بذلك يمنحها وضوحاً وهىمنة، فعندما تعرض الكلمات كُلّاً في مقابل الآخر نستطيع معرفتها مباشرة وفهمها بسهولة، فضلاً عما يتركه الإيقاع المعنوي من أثر جمالي منبعث في متلقي النص بتحقيق بنية إيقاعية من نوع خاص، وهي بنية مختلفة عن إيقاع التشابه القائم على التداعي اللفظي، فالإيقاع المعنوي لا يتأتّى من ظاهر المفردة أو أصواتها المكونة لها، وإنما يحتاج فيه إلى الغور في أعماق الكلمة لبيان

السورة المباركة الإيقاع المعنوي أو التقابلية برأوية عميقة مثلت بمجموعها قلباً للموازين الجاهلية التي أغرت في أهمية النسل بوصفه الامتداد الطبيعي الذي يخلد به ذكر الإنسان، وانعدام النسل يعني البتر من الذكر والاندرس من الوجود.

وتأتي سورة الكوثر على قصرها - لتوسّس نظرة جديدة مستمدّة من نظرة عميقة للوجود والكون تخالف نظرة الإنسان البسيطة والسطحية، بأنّ خلود الذكر لا يتعلّق بالنسب قدر تعلقه بما يحقّقه الإنسان من محامد ومحاسن مشفوعاً بال توفيق الإلهي، فمبعض الرسول ﷺ هو الأفتر، وإن كان له ولد؛ لأنّ المبغض غير مؤمن برسالته فهو كافر منقطع عن الخير بإزاء الإنسان الكامل ﷺ الذي لم ينقطع عنه الخير الكثير، ولهذا لم يفتر وإن مات ولده. وهذه هي الرؤية الإسلامية المخالفة للرؤبة الجاهلية؛ لأنّ الرسول ﷺ موصول

دقائقها ومعرفة المعنى الذي تحمله، وعنده يقوم الإيقاع على فكرة التقابل بين الألفاظ والمعاني وتضاد الدوال في مدلولاتها.

وبذلك تتفاعل الوظيفتان الدلالية والجمالية في تكوين بلاغة قرآنية معجزة تنبئ عن استعمال خاص للغة استدعاء السياق اللغوي والمقامي الذي رصد قضية مهمة وحساسة تعرضت لها سورة الكوثر وهي تقابل كوثر المعطى وكوثر المُعطاً إليه بلحاظ معنى الكوثر الذي يشمل كل خير كثير، سواء أكان من الخالق أم من المخلوق، وبذلك يقابل العطاء الإلهي (إنا أعطيناك الكوثر) شكر وحمد ورضى من العبد والذي يتجسد على شكل كوثر (الصلة والنحر) لترسم هذه السورة المباركة سلوكاً تطبيقياً راقياً بين العبد الشاكراً والخالق القادر.

وقد تعاضدت هذه البنية التقابلية مع بنية تقابلية أخرى وازنت بين: (الأفتر) و(صاحب الكوثر) وقد صاغت

بالخير الكثير دنيا وآخرة، وهذه النظرة العميقة، وهذا القلب للموازين صيغ بطريقة إيقاعية تقابلية بلغة استطاعت أن تقنع السامع وتجعله يعيد النظر بما تعارفه وجل عليه من معتقدات مقدسة، بحيث تكون مقبولة على الرغم من عدم تصديقها. وأخيراً فكلنا أمل أن يكتب لهذا الجهد من التوفيق والسداد ما يشدّ من أزرنا لمواصلة هذا الطريق وما توفيقنا إلا بالله العلي العظيم عليه توكلنا وإليه ننيب.

التمهيد:

الأسس المنهجية للدراسة: (في رحاب السورة المباركة، مفهوم الإيقاع المعنوي).

١- في رحاب السورة المباركة:

* سبب التسمية:

لسورة الكوثر أسماء عديدة منها أسماء توقيفية وأخرى اجتهادية، فاسمها التوقيفي هو سورة الكوثر، وقد سميت بهذا الاسم لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر﴾.

أما أسماؤها الاجتهادية فهي (إنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر)، وُعرفت هذه التسمية في عهد الصحابة، فعن عمرو بن ميمون قال: طعن عمر وماج الناس تقدم عبد الرحمن بن عوف فقرأ سورتين في القرآن: (إنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر) وسورة (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)، وعن ابن عباس (رض) قال: أُنزِلت سورة (إنَّا أَعْطَيْنَاكَ...) بمكة. وأمّا وجه التسمية بسورة (إنَّا أَعْطَيْنَاكَ)؛ ذلك أنها أول آية افتتحت بها السورة^(١).

والاسم الثاني هو (النحر)^(٢)، وسميت بذلك؛ لأنَّه معروف في النحر الإبل،

الخير الباقي الممتد الذي اختاره له ربُّه؛ وحقيقة الانقطاع والبتر المقدر لأعدائه^(٥). فقد كان للنبي ﷺ ولدان

من أم المؤمنين خديجة (رض) أحدهما القاسم، والآخر الطاهر، ويسمى عبد الله وتوفي كلاهما في مكة. وكان للرسول ﷺ ابن آخر من (ماريا القبطية) اسمه إبراهيم ولد في السنة الثامنة للهجرة بالمدينة، ولكن توفي أيضاً قبل بلوغ الثانية من عمره، وحزن عليه الرسول ﷺ كثيراً^(٦)، وأصبح النبي من دون ولد. وهذه المسألة وفَّرت على الأعداء فرصة الطعن بالنبي ﷺ فسموه الأبتَر، وقد ورد عن ابن عباس أنها نزلت في العاصي، وذلك أنه رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقى عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس فلما دخل العاصي قالوا له: من الذي كنت تحدث؟، قال: ذاك الأبتَر يعني النبي ﷺ وكأنوا يسمّون من ليس له ابن أبتَر، فأنزل الله هذه السورة^(٧).

وذلك غاية الكوثر عند العرب. فيكون هذا الاسم اجتهادياً منه وليس توقيفياً من رسول الله ﷺ^(٨).

* سبب نزول السورة الكريمة:

ورد أن معاندي قريش ممن كانوا يتبعون النبي ﷺ ودعوته بالكيد والمكر وإظهار السخرية والاستهزاء، ليصرفوا جمهرة الناس عن الاستماع للحق الذي جاءهم به من عند الله تعالى، ومنهم العاص بن وائل، وعقبة بن أبي معيط، وأبو جهل، وأبو لهب وغيرهم، كانوا يقولون عن النبي ﷺ إنه أبتَر. ويشيرون بهذا إلى موت الذكور من أولاده. وقال أحدهم: دعوه فإنه سيموت بلا عقب ويتهي أمره^(٩)، وكان هذا اللون من الكيد يجد له في البيئة العربية التي تتکاثر بالأبناء صدى ووقاً. وتجد هذه الوخزة الهابطة من يهشُّ لها من أعداء رسول الله ﷺ وشانئيه، ولعلها أوجعت قلبه الشريف ومسَّته بالغم أيضاً.

ونزلت هذه السورة تمسح على قلبه ﷺ بالروح والندي، وتقرر حقيقة

(من قرأ سورة - إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ -
سقاه الله من أنهار الجنة وأعطي من
الأجر عشر حسنات بعد كل قربان
قربيه العباد في كل يوم عيد ويقربون من
أهل الكتاب المشركين) ^(١١).

وعن مكحول عن النبي محمد ﷺ:
من قرأ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، كان له ما
بين المشرق والمغارب أبُرْةً، على كُلِّ
بعير، كراريس، كراس مثل الدنيا وما
فيها، كتب بدقة الشّعر ليس فيها إلا
صفة قصوره، ومتنازله في الجنة ^(١٢).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عاشور ^(١٣)
قال: من قرأ: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ في
فريضه ونواقله، سقاه الله يوم القيمة من
الكوثر، وكان محدثه عند محمد ﷺ
في أصل طوبى ^(١٤).

قال رسول الله ﷺ: من قرأ سورة
الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة
ويُكتب له عشر حسنات بعد كل قربان
قربيه العباد في يوم النحر العظيم ^(١٥).

والعرب بحسب تقاليدها كانت تعير
أهمية بالغة للولد وتعده امتدادا للأب.
وبعد وفاة عبد الله خال الأعداء أن الرسالة
سوف تنتهي بوفاة الرسول ﷺ ^(٨).

وعن ابن عباس (رض) قال: كان
العاشر بن وايل يمر بمحمد ﷺ
ويقول: إني لأشئك وإنك لأبتر من
خير الدنيا والآخرة ^(٩).

والأبتر هو المقطوع المبتور من رحمة
الله تعالى ولو كان له بنون فهم غير
نافعه ويراد أيضاً في معنى الأبتر
الحقير والذليل وللأبتر معانٍ كثيرة
نوجز منها ولو الشيء اليسير منها ما
جاء في الروايات حيث يروى عن
عكرمة وشهر بن حوشب لما أوحى
الله إلى رسوله محمد ﷺ ودعا قريشاً
إلى الإسلام، قالوا بتر محمد، أي:
حالفنا وأنقطع عنا، فأخبر تعالى أنهم
هم المبتورون ^(١٠).

* فضلها:

جاءت روایات كثيرة في فضل
سورة الكوثر نذكر منها ما جاء عن أبي
بن كعب عن رسول الله ﷺ قال:

نفهم مما تقدم أن المعنى من هذا الأصل مرتكز على معنى الطاقة المقابلة لطاقة أخرى، وذلك من خلال معنى المواجهة، فلعلُّ الخليل يشير في قوله: (لقيته قبلًا أي مواجهة) إلى اللقاء طاقتين مواجهتين^(١٩).

وهذا هو جوهر الإيقاع المعنوي.

* التقابل في اصطلاحاً:

لم يرد التقابل أسلوباً مستقلاً ضمن التقسيمات البلاغية، وإنما أشير إليه بوصفه أحد أنواع المواجهة بين الأشياء، والمختلفة المعنوية التي تطرأ على اللفظ بإزاء اللفظ الآخر داخل السياق النصي الذي جمعهما، وقد تجلّت هذه الإشارات في مبحث التكافُف وهو: «أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه، ويتكلّم فيه أي معنى كان، فيأتي بمعنىين متكافئين»^(٢٠) بحسب قول قدامة بن جعفر، وقد أشار إلى معنى التكافُف بقوله: «والذي أريد بقولي: متكافئين في هذا الموضع أي: متقابلين، إما من جهة المصدرة، أو السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام

٢- مفهوم الإيقاع المعنوي:
من أجل التعريف بالإيقاع المعنوي يجدر بنا قبل ذلك التعريف بال مقابل؛ وذلك لأن هذا النوع من الإيقاع يرتكز بشكل كبير على البنية التقابلية.

* التقابل في اللغة:

وردت لفظة التقابل في المعجمات العربية بمعانٍ مختلفة فقد ذكر الخليل الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) أن التقابل هو: اسم أخذ من الأصل الثلاثي (ق ب ل) وقد تنوّعت المعاني التي اشتقت من هذا الأصل، والقبل: الطاقة، تقول: لا قبل لهم. وفي معنى آخر هو التلقاء، تقول: لقيته قبلًا أي مواجهة^(١٥).
وذكر الجوهرى: المقابلة: المواجهة والتقابل مثله^(١٦).

أما ابن فارس قد ذكر أن: القاف وبالباء واللام أصل واحد صحيح تدلّ الكلمة كلها على مواجهة الشيء بالشيء^(١٧).

وأيضاً قال ابن سيده: وقابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالاً: عارضه، و مقابل القوم: استقبل بعضهم بعضاً^(١٨).

ال مقابل، مثل قول أبي الشعب العبسي:

حُلُو الشمائل وهو مَرْ بَاسِلٌ

يحمي الذمار صبيحة الإرهان

فقوله: (مرّ وحلو) تكافؤ»^(٢١).

ومبحث الطباق الذي يعرف بأنه:

الجمع بين الشيء وضده في الكلام، مع

مراجعة التقابل.

ومبحث المقابلة التي هي: الجمع

بين شيئين متافقين أو أكثر ثم مقابلته

بمثله، فإذا شرطت هنا شرطاً شرطت

هناك ضده^(٢٢).

تكشف لنا هذه التعريفات التشابه

الكبير بين اصطلاحات التكافؤ والطباق

والمقابلة، لتوافرها على سمة أساسٍ

ومركبة هي سمة التقابل، وهذه السمة

يمكن لها الجمع بين هذه المباحث في

نطاق واحد ومجال محدد.

ويفصح النظر في الدرس البلاغي

عن أن البلاغيين قد فصلوا بين هذه

المباحث على الرغم من كثرة القواسم

المشتركة بينها، وكان من الممكن أن

تضوبي تحت مصطلح بلاغي واحد

يُعطي تعريفاً جاماً يحدد إمكاناته

ووظائفه الدلالية والجمالية.

ويبدو أنَّ البلاغيين - في تقسيمهم هذا - نظروا إلى التكافؤ والطباق والمقابلة من منظور أفقِي، فوقعوا تحت تأثير المعيار الكمي، ولم ينظروا إليها من منظور رأسِي يأخذ بالحسبان العمق والوحدة التي تنتظم فيها هذه المباحث ضمن نسق أسلوبِي يؤدي وظائف متشابهة يعرف بـ(ال مقابل) الذي يقصد به: وجود طرفين من الألفاظ، يحمل أحدهما خلاف المعنى الذي يحمله الآخر، نحو: الخير والشر، والنور والظلمة، والحب والكراهية، والكبير والصغير، فوق وتحت، ويأخذ ويعطي، ويضحك ويبكي إلى غير ذلك.

وأطلق على هذه الظاهرة بالإنجليزية (Antonymy). الذي لم يعد ظاهرة فنية بلاغية تستند إلى اقتران المتضادات، اقتراناً جدلياً، بل صار نسقاً جمالياً ينماز بالتناغم الإيقاعي لبنية الألفاظ معنى وأصواتاً، لتؤلف تماثلات متشاكلة أو متضادة على وفق مقتضى الحال يناصر الحسن والمستحسن لهَا

وأشار إلى أنّ حقيقة الطباق هي مقابلة الشيء بما هو على قدره، وقد يمّاً أبعد العلوي (ت ٧٤٥هـ) مصطلح الطباق، وآثر استبداله بالمقابلة؛ ذاك أن الضدين^(٢٧) يتقابلان كالسود والبياض والحركة والسكون وغير ذلك من الأضداد، من دون حاجة إلى تسميته بالطباق أو المطابقة؛ لأنهما يشعران بالتماثل^(٢٨). وأكّد السجلماسي الحاجة إلى الجمع بينهما فقال: «إن أنواع المقابلات تتشعب، وإن الناس إنما يفطنون إلى صورة من صورها هي مقابلة التضاد والتناقض، وقالوا ينبغي أن يفهم من اسم المطابقة في هذه الصناعة ما يفهم من اسم التقابل في صناعة المنطق، وينبغي أنْ يقسم جنس المطابقة في البلاغة بحسب انقسام التقابل...»^(٢٩).

ولعلّ من أهمّ الأسباب التي تجعل الباحث يميل إلى فكرة جمع هذه المباحث داخل الأسلوب التقابلية هو التشابه في أداء الوظيفة في الخطاب الأدبي؛ إذ ينبعث أثر التقابل في متلقى

وهي أوقع في النفس وأدعى للقبول^(٣٤). ومن الممكن أن تكون رغبة فريق من البلاغيين في التفريع والتقطيع وإيجاد أنواع جديدة تضاف إلى مباحث البلاغة، هو الذي قادهم نحو هذه التقطيعات فأصبح التكافؤ والطباق والمقابلة مباحث يستقل بعضها عن بعض، ولا يوافق الباحث كثرة هذه التقطيعات مالم تتنظم تحت إطار نظرية موحدة؛ ذلك أن تفريقيها لا يقدم شيئاً ذا بال، بل يؤدي إلى التضارب في المصطلحات والإكثار من التقطيعات وتدخل أمثلتها وشواهدها إلى غضّ الطرف عن قيمها الدلالية والجمالية، وقد أرهق درس البلاغة بما لا فائدة فيه، ولا طائل تحته، ولعل من المفيد لهذا الدرس أن يستعين بمصطلح (ال مقابل).^(٣٥)

ويعمل على إعمامه على جميع طرائق التعبير التي تتنظم فيها المعاني على أي وجه من وجوهه^(٣٦). وهذا ما التفت إليه بعض البلاغيين منهم، حازم القرطاجي^(٣٧) الذي

فيتوقف حينئذ بإزاء المتقابلات ويحاول أن يرصد أبعادها ويكشف دلالاتها الصريحة والضمنية، وبهذا التأمل القرائي يتحول الدال السمعي إلى دال بصري^(٣٤)، فضلاً عما يتحقق من تماسك في النص يطلق عليه اسم المصاحبة المعجمية أو التضام^(٣٥).

المبحث الأول:

الإيقاع المعنوي في سورة الكوثر عن طريق التقابل بين كوثر المُعْطِي وكوثر المُعَطَّى له:

ينبغي قبل الولوج في تباين التقابل بين كوثر المعطي وكوثر المعطى له، أن نوضح معنى الكوثر وما تحمله هذه الكلمة من دلالات عميقة وواسعة اتضحت من خلال المعنى اللغوي المعجمي، والمعنى الدلالي السياقي الذي يوجده الاستعمال اللغوي والمجال التداولي المقامي للكلمة، فالكثير في اللغة: (أصل صحيح يدل خلاف القلة من ذلك الشيء الكبير، وقد كثرة، ثم يزداد فيه للزيادة في

النص بتحقيق بنية إيقاعية من نوع خاص، يطلق عليها الإيقاع التقابلي أو المعنوي^(٣٦)، أو إيقاع التباین، وهو مختلف عن إيقاع التشابه القائم على التداعي اللغظي في السجع أو الاشتراك اللغظي أو الاتفاق الزمني من غير ارتباط المضمون^(٣٧)، فهو لا يتأتى من ظاهر المفردة أو أصواتها المكونة لها، وإنما يحتاج فيه إلى الغور في أعمق الكلمة لبيان دقائقها ومعرفة المعنى الذي تحمله، وعندما «يقوم الإيقاع على فكرة التقابل بين الألفاظ والمعاني وتضاد الدوال في مدلولاتها»^(٣٨). فالأمر نابع - إذن - من حركة المعاني الكامنة في النفس والمتغيرة مع الحركة التعبيرية، ليكسسها نموا حيويا يسري من نظام العلاقات اللغوية السياقية والعلاقات الدلالية الإيحائية^(٣٩).

ولا يخفى ما لهذا النوع من الإيقاع من أثر في تأكيد المعنى وإيضاحه وجعله أكثر بروزاً ورسوخاً في ذهن المتلقى بفعل وقوعه الجمالي والنفساني،

رصد المفسر للنص، فمنهم من اعتمد على المأثور من أحاديث نبوية شريفة، وشاهد تتعلق بأسباب النزول، ومنهم من نظر إلى سياق النص ليجيء بمعانٍ تتناسب دلاليًا مع السياق اللغوي وعلاقاته المعقدة ونجد أن أغلبهم قد ذكر المعاني كلها؛ لأنهم وجدوها ملائمة ومؤدية للغرض.

وبهذا أصبحت كلمة (الكوثر) خصبة التأويل، فكل خير كثير يصدق عليها، ومن ذلك ما قيل: إنها تعني (نهر في الجنة)^(٣٩)، معتمدين في ذلك على حديث للنبي ﷺ اختلقو في إيراد نصه، قال أنس: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ ألغى إغفاء ثم رفع رأسه مبتسمًا، فقلت: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أُنزلت عليَّ آنفًا سورة الكوثر، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «إنه نهر وعدنيه عليه ربي خيراً كثيراً، وهو حوضي، ترد عليه أمتي يوم القيمة، آنيته عددنجوم السماء، فيخليق القرن فيهم

النعت، فيقال: الكوثر الرجل المعطاء، وهو فَوْعَلْ من الكثرة: قال الكميت: وأنت كثير يابن مروان طيب وكان أبوك ابن العقائل كوثرا^(٤٠). فالكوثر صفة للمبالغة، نحو قولهم: (رجل كوثر)، أي كثير العطاء والخير، ويكون ذاتاً موصوفة بكثرة الخير، بحسب ما ورد في اللسان: (الكوثر: السيد الكثير الخير)، وعلى هذا تكون الكلمة (الكوثر) صفة وموصوفاً، فهي تعني شيئاً: الكثرة، وهي صفة، و(الخير) بوصفه شيئاً، فهي تعني الخير الكثير، وليس الكثير فقط؛ ولذلك يقال: (هو رجل كوثر) ونسُكْتُ، ولا يقال: رجل كثير ونسُكْتُ حتى يتم ذلك بقوله: رجل كثير الخير أو كثير العطاء أو كثير المال إلى غير ذلك، وتقول: أقبل الكوثر، أي السيد الكثير الخير، ولا تقول: أقبل الكثير^(٤١).

وقد ذكر المفسرون قدامي ومحدثون معاني متعددة لمعنى (الكوثر)، ويدو أن كثرة الدلالات نتج بفعل انفتاح النص واختلاف زاوية

يقولون: هو نهر في الجنة، فقال: هو من الخير الكثير^(٤٣).

وقيل: إن الكوثر هو (الحوض)^(٤٤)، ويقال: إنه لما قال سعيد بن جبير (رض): الكوثر: الخير الكثير، قيل له: فقد قيل: إنه الحوض، فقال: الحوض من الخير الكثير^(٤٥).

وقيل: إن الكوثر هو الإسلام^(٤٦)، وقيل: إنه القرآن^(٤٧)، وقيل: النبوة^(٤٨). وقيل: كثرة النسل من ولد السيدة فاطمة الزهراء^(٤٩).

وقيل: كثرة الأصحاب والأتباع^(٥٠)، وقيل: الشفاعة، وقد ورد هذا الرأي عن الإمام الصادق ع^(٥١)، وقد نقل عنه أيضاً أنه نور في قلبه دلّ عليه وقطعه عمما سواه^(٥٢)، وقيل: التوحيد^(٥٣)، وقيل: تسيير القرآن وتسهيل الشريعة^(٥٤)، وقيل: الإيثار^(٥٥).

وقيل: الذكر الجميل في الدنيا والآخرة^(٥٦)، وقيل: علماء أمته^(٥٧)، وقيل: الفضائل الكثيرة التي فيه^(٥٨)، وقيل: رفعة الذكر^(٥٩)، وقيل: العلم، وقيل: الخلق الحسن، وقيل: الكوثر هذه السورة^(٦٠)،

فأقول: «يا رب إنهم من أمتي فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدهك»^(٤٠).

وروبي في صفتة أنه أحلى من العسل وأشد بياضاً من اللين، وأبرد من الثلج، وألين من الزبد، لا يظمأ من شرب منه أبداً^(٤١).

وروبي عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لما أُسرى بي إلى السماء السابعة قال لي جبرائيل: تقدم يا محمد أمامك وأراني الكوثر - وقال: يا محمد هذا الكوثر دون النبین. فرأيت عليه قصوراً كثيرة من اللؤلؤ والياقوت والدر، وقال: يا محمد هذه مساكنك ومساكن وزيرك ووصيك علي بن أبي طالب وذريته الأبرار. قال: فضربت بيدي على بلاطه فشمتته، فإذا هو مسك، وإذا أنا بالقصور لبنة ذهب ولبنة فضة^(٤٢).

وعندما فسر ابن عباس (رض) الكوثر بإطلاق المعنى: بالخير الكبير، قال له سعيد بن جبير (رض): فإن أناساً

يحفل بما ورد عليه من ناحية العاص،
ولا يحيد عن التفويض إليه مجيداً، فلا
يذرهُ وائياً ووحيداً، ومن الغضب له بما
فيه مسلاته من الكرب، ومن الصاق
عار بتر الكلب إشارة لقوله تعالى: (إِنَّ
شَائِكَ هُوَ الْأَبْتَر)، والإشعار بأنَّ كَانَ
عَدُوَ اللَّهِ بُورًا وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا هُوَ
صَنْبُورًا^(٦٥).

ثُمَّ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا شَرَفَهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ
مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ الْعَظِيمَةِ، قَالَ بَعْدَ {إِنَّا
أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} أَيْ أَعْطَيْنَاكَ هَذِهِ
الْمَنَاقِبُ الْمُتَكَاثِرَةُ الْمُذَكُورَةُ فِي السُّورَةِ
الَّتِي كُلُّ وَاحِدٍ مِّنْهَا أَعْظَمُ مِنْ تَلْكُ
الْدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا، فَاشْتَغَلَ أَنْتَ بِعِبَادَةِ
هَذَا الرَّبِّ، وَبِإِرْشَادِ عِبَادِهِ إِلَى مَا هُوَ
الْأَصْلُحُ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهمْ، أَمَا
عِبَادَةِ الرَّبِّ فَإِمَّا بِالنَّفْسِ، وَهُوَ قَوْلُهُ
تَعَالَى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ}، إِمَّا
بِالْمَالِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَنْحَرْ)^(٦٦).
بَعْدَ أَنْ بَيْنَا الْهَبَاتُ وَالْفَضَائِلُ الْإِلَهِيَّةُ
الَّتِي كَرَمَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ الْكَرِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِهَا، وَبَعْدَ الذِّي بَيَّنَتْهُ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ،
فَكَانَ لَابِدَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُشَكِّرَ اللَّهُ

وَقِيلَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ،
وَقِيلَ: الْفَقِهُ فِي الدِّينِ، وَقِيلَ: الصلواتُ
الْخَمْسُ، وَقِيلَ: الْعَظِيمُ مِنَ الْأَمْرِ^(٦١)،
وَقِيلَ: الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ وَشَرْفُ
الْدَّارِينَ^(٦٢)، وَقِيلَ: الْمَقَامُ الْمُحْمَودُ^(٦٣)،
وَغَيْرُهَا.

وَيُمْكِنُ القَوْلُ: إِنَّ كُلَّ الْمَعَانِي الَّتِي
ذَكَرَهَا الْمُفَسِّرُونَ صَحِيحَةٌ، بَلْ تَسْتَطِعُ
كُلُّمَةٍ (الْكَوْثَرُ) اسْتِيعَابُ مَعْانِي جَدِيدَةٍ،
تَرْتِيبُ بِقَدْرَةِ الْمَؤْوِلِ وَأَدَوَاتِهِ وَ ثَقَافَتِهِ
وَخَبْرَتِهِ الْجَمَالِيَّةِ وَمَا يَنْتَسِبُ مَعَ
مَقْتَضَيَاتِ الْعَصْرِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ
نَصٌّ إِشَارِيٌّ قَادِرٌ عَلَى تَحْقِيقِ مَتَطلَّبَاتِ
كُلِّ عَصْرٍ وَيَتَفَاعَلُ مَعَ الثَّقَافَاتِ
الْمُتَعَدِّدةِ وَالْأَغْرَاضِ الْمُخْتَلِفَةِ^(٦٤).

وَنَجَدَ الإِعْجَازُ الْقُرْآنِيُّ قَدْ حَدَّدَ
ثَلَاثَ آيَاتٍ عَلَى عَدْدِ الْمُسْلِيَّاتِ، مِنْ
إِجْلَالِ مَحَلِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِعلَاءِ
كَعْبَةِ، وَإِعْطَاءِ أَقصَى مَا يُؤْمِلُهُ عِنْدَ رَبِّهِ
إِشَارةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ
الْكَوْثَرَ}، وَمِنْ الإِعْجازِ عَلَى شَأنِهِ مِنْ
أَدَاءِ الْعِبَادَةِ بِالْإِحْلَاصِ إِشَارةً إِلَى قَوْلِهِ
تَعَالَى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ}، وَأَنْ لَا

(فَلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذِلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) ^(٦٨)، وي يعني بذلك نحر البُّدُن وغيرها، وهذا بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير الله والذبح على غير اسمه كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لِفُسْقٌ﴾ ^(٦٩)، وانحر البُّدُن التي هي من خيار أموال العرب وأيضاً ارفع يديك بالدعاء إلى نحرك، وظاهر الآية له صَلَاتُ اللَّهِ بمطلق الصلاة ومطلق النحر وأن يجعلهما لله عز وجل له لا لغيره، وما ورد في السنة من بيان هذا المطلق بنوع خاص فهو في حكم التقيد له ^(٧٠).

وجاء في قوله: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) أي: دُمْ على الصلاة خاصة لوجهه، لا ساهياً مرأياً، شكرأً لنعمه، (وَانحر) البُّدُن وأطعم منها مقابلة للدعَّ والمنع، أو استقبل القبلة بنحرك في الصلاة. والأمر للوجوب أو ارفع يديك إلى نحرك في تكبيرها، فالأمر للتذبّب كما هو الأقوى أو صل صلاة العيد

تعالى على كل نعمة أنعمها عليه فجاء في السورة المباركة (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانحر)، أمر بالصلاحة على العموم، والنحر نحر البدن والنسك في الضحايا في قول جمهور الناس، فكأنه قال: ليكن شغلك هذين، ولم يكن في ذلك الوقت والجهاد، عن أنس قال: كان رسول الله صَلَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ ينحر يوم الأضحى قبل الصلاة، فأمر أن يصلى وينحر، ففي الآية طعن على كفار مكة أي أنهم يصلون لغير الله مكاء وتصدية، وينحرن للأصنام ونحوه، فافعل أنت هذين لربك تكون على الصراط المستقيم وإن هذه الآية نزلت يوم الحديبية وقت صلح قريش قيل لمحمد صَلَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ: صل وانحر ^(٧١).

وقيل (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانحر) أي: أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر يقصد (الكوثر) فاخلس لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك،فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له كما قال تعالى:

عليك ما أفضض من الخير خالصاً
لوجهه (عز وجل)، خلاف الساهين
عنها المرائين فيها، أداءً لحق شكره
تعالى الله على ذلك، فإن الصلاة جامعة
لجميع أقسام الشكر، ولذا قيل: (فصل)،
دون: (فأشكر)، (وأنحر) الْبُدْنُ التَّيْ هِيَ
خيار أموال العرب باسمه تعالى،
وتصدق على المحاویج خلافاً لمن
يُدْعُهم ويمنع عنهم الماعون^(٧٣).

وإن هذه السورة مجسدة لعملية
الشكر لله، وحينئذٍ فإن الصلاة هي
المظهر الأشد بروزاً من غيره في التغيير
عن الشكر لله تعالى... أما (النحر) فهو
جزء من الصلاة ذاتها حيث تشير
النصوص المفسرة إلى أنَّ المقصود هو
رفع اليدين إلى الوجه عند استقبال
الصلاوة أو عند مطلق أفعالها المتصلة
بالركوع والسجود^(٧٤).

وإن هذه العطية فوق العطايا كلها؛
إذ أمره ﷺ تعالى بعبادة هي فوق
العبادات كلها، وهي الصلاة وهي
أفضل القربات إلى الله (عز وجل)
وأعظم وسائل الزلفى إليه والولاء له...

وانحر أضحيتك، وفسرت الصلاة في
السورة الكريمة بصلاة عيد الأضحى
بقرينة (وانحر) فيكون الأمر بالصلاحة
على حالها ولا يحتاج إلى الأمر
بالدوام فلا يكون الأمر للوجوب
والنحر أي: قد فسر النحر بالتضحيه.
فلا يكون مختصاً بالبدن فيكون النحر
شاملاً للذبح بعموم المجاز عندنا
وبجمع الحقيقة والمجاز عند
الشافعي^(٧٥).

ونذكر أيضاً في قوله تعالى: **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحِر﴾** والنحر: ارفع يديك
بالدعاء إلى نحرك، وظاهر الآية الأمر
له ﷺ بمطلق الصلاة، ومطلق النحر،
وأن يجعلها الله عز وجل لا لغيره، وما
ورد في السنة من بيان هذا المطلق بنوع
خاص فهو في حكم التقيد له^(٧٦).
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحِر﴾ فجاءت الفاء هنا

لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن
إعطاءه تعالى إياه ﷺ ما ذكر من
العطية التي لم يعطها أحداً من العالمين
مستوجب للمأمور به أي استيصال،
أي: فدُمْ على الصلاة لربك الذي أفضض

هي مزية له ﷺ؛ لكونه أعطي بها الفضل والفخر على جميع الأنبياء، حيث تسؤال الأمم أنبياءهم في الشفاعة ليرووا من العطش الأكبر فيعذرون عن ذلك فلا تجد جميع الأمم حينئذٍ من يشفع لها ولا يسقيها سوى محمد ﷺ وفي قوله تعالى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) التفات من المتكلم إلى الغيبة، والأصل فصلٌ لنا ولكنه عدل عن ذلك في لفظ الرب حثاً على فعل المأمور به؛ لأنه من يربيك يستحق العبادة^(٧٧).

فما دام الإعطاء غير محدود فيجب على المعطى له أن يكون شكره غير محدود أيضاً حيث قال تعالى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحِرْ)، فالصلاحة هنا ليست الصلاة المفروضة، بل هي صلاة الشكر أو الجمع بينهما، ومثل ذلك صلاة النبي ﷺ عندما نزلت عليه آية تكريم شبيهة بسوره الكوثر، وهي قوله تعالى: (لِيغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخَرَ وَيَتَمَّ نَعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)^(٧٨)، فقام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: قد غفر

واللام في (الربك) لام الاختصاص أي: صل صلاة الله وحده واجعلها خالصة له سبحانه لا يدخل فيها شيء من الغفلة أو الاستقبال لغير الله^(٧٥)، والخطاب في هذه الآيات موجه إلى رسول الله ﷺ بسبيل البشري والتطمئن فقد أعطاه الله الكوثر. فعليه أن يصلى لربه ويقرب إليه القرابين شكرأً ويتأكد أن عدوه وبغضه هو الأفتر^(٧٦).

وقوله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحِرْ)، فهاتان الآيتان تضمنتا نتيجة من مقدمتين صادقتين، وبيان ذلك أنا نقول: إن عطيه الكوثر تعذر جميع العطيات، وإنما قلنا ذلك لأن الشكر أعلى مقادير النعم، وقد أمر الرسول ﷺ بأن يقابل هذه النعمة بجميع العبادات البدنية والمالية شكرأً عليها، والصلاحة جامعة لجميع العبادات فهي تعذر جميع العطيات.

ثم أمر ﷺ بجميع العبادات شكرأً على عطيه الكوثر فدل ذلك على أن عطيه الكوثر من أهم العطيات التي وهبها الله تعالى لنبيه ﷺ وأن هذه العطية

وبالمجتمع من خلال النحر، وبذلك يكون الاتصال متوفراً على جوانب مختلفة تحدد المعنى الحقيقي للشكرا والحمد على نعم الخالق جلّ وعلا من قبل المخلوق.

المبحث الثاني:
الإيقاع المعنوي في سورة الكوثر
عن طريق التقابل بين الأبتر
وصاحب الكوثر
بعد أن اتضحت مفهوم الكوثر لابد من توسيع معنى الأبتر لنبين طرف في التقابل، فالأبتر^{٦٩} معناه: الذي لا عقب له، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَر﴾، والبتر: قطع الذنب ونحوه إذا استأصلته^{٧٠}.
وأيضاً يقال للرجل الذي لا عقب له: أبتر^{٧١}.

وقيل: الأبتر الذي لا عقب له، وقيل:
المنبر الذي لا ولد له، وقيل: المعدم،
وقيل: الخاسر.

وكانت العرب تسمى من كانت لها بنون وبنات، ثم مات البنون وبقي

الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر،
فقال ﷺ: أفلأكون عبداً شكوراً؟
(وذكرت الرواية نقاً عن الإمام الصادق علّيَّ السلام وفيها: أن رسول الله ﷺ كان عند عائشة ليتلها فقالت: يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ ف قال: يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً؟)^{٧٢}.

وأما النحر فهنا علاقته علاقة العبد بالمجتمع أي المقصود هنا بالنحر نحر الإبل، وذلك غاية الكرم عند العرب فقد أعطى الرسول ﷺ اهتماماً كبيراً للمجتمع عن طريق النحر.

وقد اتضحت مما تقدم أن البنية التقابلية في السورة الكريمة صيغت بطريقة إعجازية عبرت بعمق عن عطاء الخالق غير المحدود، إذ جاء بصياغة معجمية تدل على الكثرة، فضلاً عن الصياغة الصرافية التي دلت على المبالغة، والكثرة أيضاً، وقد قابل هذا العطاء الإلهي شكر وحمد ورضى من المخلوق، إذ حدد بأداء الصلاة والنحر، مما يضمن للشاكرا الاتصال بخالقه من خلال الصلاة،

عكس ذلك أي أنه كلما ذكر اسم النبي ﷺ يذكر بكل خير^(٨٤).

ونبئ عن الأبر من مفهوم فرآني حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر﴾، والكوثر كما أوضحتنا سابقاً هو نهر في الجنة وهو حوضه ﷺ أو ذريته، رداً على من زعم أنه أبتر أي يعطيك نسلاً في غاية الكثرة لا ينقطع إلى يوم القيمة، والتعبير بالماضي لتحققه، وقد وقع كل ذلك كما أخبر وكثرة نسله من السيدة فاطمة الزهراء ؑ حتى ملأت أقطار الأرض^(٨٥).

والذي سماك الأبتر أي مبغضك وهو العاص بن وائل الذي أطلق عليك هذا اللفظ بموت ابنك إنما هو الأبتر المنقطع العقب والذكر، لا أنت؛ لبقاء عقبك وحسن ذكرك على مر الزمان وتفضيلك بالمقام المحمود في الآخرة^(٨٦). وعن المشركون بكون الرسول ﷺ أبتر أي: ينقطع ذكره قبل بلوغ مقصوده، والله بين أن خصميه يكون كذلك. وبعد أن بُشر رسول الله ﷺ بأعظم بشارة، وطالبه بالشكر على ذلك، وكان

البنات: أبتر، وقد أطلقوا هذا اللفظ على الرسول الأكرم، فجاء الرد سريعاً من قبل الباري (عز وجل) حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَر﴾، أي: الذي أطلق عليك هذا الكلام وهو المبتور وليس أنت، فقد توهموا لجهلهم أنه إذا مات أولاد الرسول الكريم ينقطع ذكره. بل على عكس ما فكروا وخططوا فقد أبقى الله تعالى ذكر الرسول ﷺ على رؤوس الأشهاد وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمراً على دوام الآباء، إلى يوم المحشر والمعاد صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم النتاد^(٨٧).

وقد ورد عن شمر بن عطية قال: كان عقبة بن أبي معيط يقول: إنه لا يبقى للنبي ﷺ ولد وهو أبتر، فأنزل الله فيه^(٨٨): ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَر﴾. ونرى عن الأبتر من منظور قرآنٍ يختلف عن المفهوم الجاهلي حيث إنهم قالوا: إن محمد ﷺ أصبح أبتراً بوفاة أولاده، فجاءت الآيات الكريمة ردًا على ذلك، حيث أوضحت الآيات

هو العاص بن وائل، أم أبو جهل، أو عقبة بن أبي معيط، أو غيرهم، وسواء أكانت مناسبة حديثهم عن الرسول ﷺ بمорт ابنه القاسم في مكة المكرمة، أم إبراهيم ابنه في المدينة، فإن الأمر لا يختلف؛ إذ إن ذلك الخط الجاهلي قد انقطع وانبتر، وبقي خطُّ النبي ﷺ يضي عبر العصور، ويحمل التقابل البشري والطمرين للنبي ﷺ بالأسلوب القوي الذي جاء به. فالله قد أعطاه أعظم الخير وأكثره، باصطفائه للنبوة وعنايته به. ومن كان هذا أمره فكيف يكون أبتر؟. لأنَّ البتَر - من رؤية عميقة - يتعلَّق بالذكر الحسن، وقد يكون من ضمنه الذرية، وقد لا يكون.

وبعد أن أوضحتنا معنى أو معاني الأبتر من خلال ما تقدم نأتي إلى خلاصة ما جاء في هذا المعنى حيث قال تعالى: **﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾**، أي: الذي تضاد طريقته طريقتك سيزول منه ما يفتخِر به من المال والجاه والأحساب والأنساب، ويبيِّن لك ولتابعيك الذكر الجميل في الدنيا والآخرة والثواب

من تمام النعمة أن يصبح عدوه مقهوراً ذليلاً أعقبه بقوله: **﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾**، أي: كائناً من كان هو الذي ينقطع ذكره من خير الدنيا والآخرة، وأما أنت يا رسول الرحمة فستبقى ذريتك، ويبيِّن حسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيمة^(٨٧).

أما المشركون فلم يبغضوا رسول الله ﷺ لشخصه فقد كان الصادق الأمين، ولكنهم أبغضوه لما يحمله لهم من الرسالة والهدى، فآثروا أهوانهم، وتبخبطوا في ضلالتهم حتى جذلهم الله وقطع أثرهم؛ فقد جرَّهم الخذلان إلى غاية الخُسْران، ولم يبق لهم إلا سوء الذكر لبغضهم، والنسيان التام لبقيتهم، بخلاف النبي ﷺ ومن اهتدى بهديه، فإن ذكرهم لا يزال رفيعاً، وأثرهم لا يزال باقياً في نفوس الصالحين، وأخيراً فقد بقي النبي ﷺ ودعوته على مر الأزمان^(٨٨).

بينما انقطع نسل شانيه وأصحابها أحadiث وعبر، وقطع الله ذكرهم إلا باللعنة والبراءة سواء أكان هذا الشاني

العاـص بن وـائل، وـعمر بن العـاص، وـأبـو جـهـل، وـعـقـبة بن أـبـي مـعـيط، أو كـفـرة قـريـش بـشـكـل عـام، وـهـؤـلـاء لـم يـنـعـهم الـولـد فـي شـيـء؛ إـذ انـقـطـع ذـكـرـهـم عـن الـخـيـر. فـي حـين أـن النـبـي ﷺ الـذـي شـمـتـهـ بـه قـريـش إـثـر وـفـاة ولـدـيهـ هو صـاحـب الـكـوـثـر بـمـا تـحـمـل هـذـه الـكـلـمـة مـن مـعـانـ قـرـآنـيـة مـطـلـقـة تـخـالـف ما تـعـارـف عـلـيـه الـجـاهـلـونـ، فـالـعـقـب فـي هـذـه الرـؤـيـة قد يـكـون جـزـءـاً مـن الـكـوـثـر إـذـا كـان مـؤـمنـاً، أو لا يـكـون أـصـلاً؛ لـهـذا لا يـمـكـن الرـكـون إـلـى تـقـدـير مـعـنى وـحـيد لـلـكـوـثـر وـهـو كـثـرة النـسـلـ. وـأـيـضاً نـوـضـح كـيف أـن الرـؤـيـة القرـآنـيـة قـلـبـت المـعـانـي الجـاهـلـيـة لـكـلـمـة الـأـبـتر وـكـيف أـوضـحـت أـن الـأـوـلـاد لا يـدـفـعـون صـفـة الـبـتـرـ، فـقـد كـانـ الـعاـصـ بنـ وـائلـ عـنـدـهـ وـلـدـ، وـغـيـرـهـ مـنـ هـؤـلـاءـ الـذـينـ نـعـتوـا رـسـوـلـ الله ﷺ بـهـذـا الـوـصـفـ فـهـلـ نـفـعـهـ أـوـلـادـ؟ وـأـيـنـ نـسـلـهـ الـآنـ؟ وـهـلـ بـقـيـ لهـ ذـكـرـ سـوـىـ اللـعـنـةـ إـلـىـ يـوـمـ يـبـعـثـونـ؟، بـخـلـافـ الرـسـوـل ﷺ فـقـدـ نـسـبـواـهـ لـفـظـةـ الـأـبـترـ، وـإـنـهـ لـيـسـ لـهـ مـنـ

الـجـزـيلـ فـيـ الـعـقـبـيـ، بلـ يـدـومـ لـكـ النـسـبـ الصـورـيـ بـسـبـبـ أـوـلـادـكـ الـشـرـفـاءـ وـالـنـسـبـ الـمـعـنـويـ بـوـاسـطـةـ أـتـابـاعـكـ الـعـلـمـاءـ^(٨٩).

أـمـاـ الشـانـيـ فـلـمـ يـبـقـ لـهـ ذـكـرـ، وـلـاـ يـوـجـدـ لـهـ شـاـكـرـ وـمـادـحـ، وـلـاـ رـافـعـ، وـأـمـاـ هـوـ صـلـعـيـلـ اللـهـ فـقـدـ مـلـأـتـ ذـرـيـتـهـ مـنـ السـيـدـةـ فـاطـمـةـ عـلـيـلـ الـأـرـضـ، وـهـمـ الـأـشـرـافـ، مـعـ مـبـالـغـةـ الـمـلـوـكـ فـيـ قـتـلـهـمـ، وـإـخـلـاءـ الـأـرـضـ مـنـ نـسـلـهـمـ، خـوـفـاًـ مـنـ شـرـفـهـمـ الـعـالـيـ عـلـىـ شـرـفـهـمـ وـرـفـعـتـهـمـ بـالـتـوـاضـعـ الـغـالـبـ لـصـلـفـهـمـ^(٩٠).

وـبـذـلـكـ تـتـضـحـ اختـلـافـ الرـؤـيـةـ الإـلـهـيـةـ الـعـمـيقـةـ عـنـ الرـؤـيـةـ الـبـشـرـيـةـ بـأـنـ النـسـلـ هـوـ الـامـتدـادـ الـطـبـعـيـ الـأـسـاسـ لـتـحـقـيقـ رـغـبـةـ الـخـلـودـ عـنـدـ الـإـنـسـانـ، أـوـ هـوـ الـمـفـضـلـ فـيـ الرـؤـيـةـ الـجـاهـلـيـةـ بـالـقـيـاسـ إـلـىـ الـمـآـثـرـ وـالـأـعـمـالـ الـحـمـيدـةـ الـتـيـ يـخـلـفـهـاـ الـإـنـسـانـ، بـدـلـيلـ أـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ جـعـلـ الـمـنـقـطـعـ الذـكـرـ، أـوـ الـأـبـترـ هـوـ الـكـافـرـ الـذـيـ لـاـ عـقـبـ لـهـ (إـنـ شـائـئـكـ هـوـ الـأـبـترـ)؛ لـأـنـ الـعـقـبـ يـكـونـ غـيـرـ مـضـمـونـ أـوـ يـكـونـ خـيـراـ، وـمـصـدـاقـهـ هـوـ

الخاتمة:
توصيل البحث إلى جملة من النتائج
لعل من أهمها:
١- إن كثرة الدلالات التي أوجدها
عنوان السورة الكريمة (الكوثر) نتج
بفعل افتتاح النص، واختلاف زاوية
رصد المفسر، فمنهم من اعتمد على
المأثور من أحاديث نبوية شريفة،
وشواهد تتعلق بأسباب النزول ومنهم
من نظر إلى السياق اللغوي وعلاقاته
المعقدة.

٢- حق الإيقاع المعنوي (التقابل)
بين المعطى والمعطى له بنية دلالية
وجمالية عبرت عن عظمة المعطى
وطاعة المعطى له، بتوظيف بديع
للأدوات، ف(إنا) بما فيها من بعد تعظيم
الخالق يقابلها إخلاص وطاعة المعطى
له، وهذا التكامل اللغوي وفرّته بنية
جمالية مؤثرة في نفس المتلقى.

٣- إن تحديد (الصلوة والنحر) بالذات
في السورة المباركة جاء بقصد دلاليٍّ
يعبر عن كون هذا الفعل يحقق تواصلًا
بين المخلوق والخالق، والمخلوق مع

يحمل اسمه ويُكمل مسيرته بعده،
فجاء الرد القرآني سريعاً على قول
هؤلاء حيث أنزل الله تعالى سورة
الكوثر. فالкоثر هنا على أكثر
الروايات هو كل خير أعطاه الله تعالى
رسوله الكريم ﷺ.

المخلوق، فالصلة هي علاقة العبد
بربه أولاً، والنحر هو علاقة العبد بأخيه
ثانياً.

٤- إن التقابل بين صاحب الكوثر
والأبتر قلب المعاني المتعارف عليها
ضمن المحيط الجاهلي، فضلاً عن
إزاحة قناعات المتلقى بأن الذي لا ولد
له لا ذكر له فهو أبتر، وأن الذي ينجب
الأولاد هو صاحب الخير والذكر والبقاء،
وجاء النص ليهدم هذا البنيان الجاهلي
بجعل الرسول ﷺ هو صاحب الكوثر،
وإن لم يكن له ولد، وإن شائه مع
الولد لكنه أبتر؛ لأن المبغض غير مؤمن
برسالته فهو كافر منقطع عن الخير
يأذاء الإنسان الكامل الذي لم ينقطع
عنه الخير الكثير؛ ولهذا لم يُبتَر وإن
مات ولده.

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم

- أسباب النزول، جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (٢٠٠٣هـ ١٤٣٤).

- أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: الدكتور السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، (١٤٠٦هـ ١٩٨٦م).

- الأصول من الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، (١٣٩٤هـ ١٩٩٩م).

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٧١٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، (٢٠٠٣م ١٤٢٤هـ).

- إعجاز سورة الكوثر، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: حامد الخفاف،

دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان، ط ٢، (٢٠٠٩هـ ١٤٣٠م).

- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، (٢٠٠٥هـ ١٤٢٥م).

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت ٩٨٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، (١٩٩٩هـ ١٤١٩م).

- الأمثال العربية القديمة - دراسة أسلوبية سردية حضارية، د. أمانى سليمان داود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، (٢٠٠٩م).

- البحر المحيط، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢، (١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م).

- البصائر النصيرية، عمر السهلان (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: محمد عبده،

- تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩هـ)، إشراف: لجنة التحقيق والتصحيح في مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، (١٤١٢هـ/١٩٩١م).
- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنباري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: سالم مصطفى البدرى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
- حاشية الشهاب، الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)، مؤسسة الأعلمى، بيروت - لبنان، ط ١، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- حاشية القونوى، عصام الدين بن محمد الحنفى (ت ١١٩٥هـ)، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- الدر المنثور في التفسير بالمؤثر، مطبعة الصاوي، القاهرة، (د.ت).
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي وآخرون، دار الرشيد، بغداد، (١٩٨٢م).
- التعريفات، السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي (ت ٦١٦هـ)، (د.ط)، (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م).
- تفسير التبيان، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصیر العاملی، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، (د.ط)، (١٣٨٣هـ/١٩٣٨م).
- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحملي وجلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرىشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار الخير، ط ٢، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

- جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تصحيح أحمد عبد الشافى، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى (ت ١٢٧٠هـ)، ضبطه وصححه: علي عبد البارى عطية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ٢، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
- زبدة التفاسير، فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشانى (ت ٩٨٨هـ)، مؤسسة المعارف الإسلامية، ط ١، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م).
- سواطع الإلهام، أبو الفيض الفيضي الناکوري (ت ١٠٤هـ)، تحقيق: د. سيد مرتضى آية الله زاده الشيرازي، إيران، ط ١، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
- الصاحح، الجوهرى (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، دار العلم للملائين، بيروت، ط ٢، (١٣٧٧هـ/١٩٥٨م).
- صحيح البخارى، محمد بن أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل كتاب الصناعتين الكتابة والشعر،
- إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت، استانبول، (د.ط)، (١٤٠١هـ).
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوى اليمنى (ت ٧٤٥هـ)، مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- الفتح القدير الجامع بين الرواية والدرایة من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، مؤسسة الريان، بيروت-لبنان، ط ٣، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، رتبه وصححه: محمد بن سلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ٣، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

- الأنصاري الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، صححه: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار التراث العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ٣، (د.ت.).
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، قدم له: السيد محسن الأمين العاملی، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٥هـ / ١٤١٥م).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشامي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠١هـ / ١٤٢٢م).
- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: مراد كامل، (د.ط)، مصر، ط ٢، ١٣٩٠هـ / ١٩٨٠م).
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد الباجوبي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط ١، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م).
- كنز الدقائق وبحر العجائب، محمد بن محمد رضا القمي المشهدی (من أعلام القرن الثاني عشر)، تحقيق: حسين درکاهی، مطبعة نکارش، إیران - قم، ط ١، (١٣٨٧ش / ١٦٣٠ق).
- لباب النقول في أسباب التزول، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، صححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ت.).
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلی (ت ٨٨٠هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).
- لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور

- المترع البديع في تجنيس أساليب
البديع، أبو محمد السجلماسي (ت ٧٠٤هـ)، تحقيق: د. علال الفازي، مكتبة
المعارف، الرباط، ط ١، ١٩٨٠م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو
الحسن حازم القرطاجي (ت ٦٨٤هـ)،
تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة،
دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٧م.
- نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن
جعفر (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق وتعليق: د.
محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب
العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت.).
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز،
فخر الدين بن عمرو بن الحسين
الرازي (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق ودراسة: د.
بكرى شيخ أمين، دار العلم للملايين،
بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٥م.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد،
أبو الحسن علي بن أحمد الواحدى
النسابورى (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: عادل
أحمد عبد الموجود وآخرون، دار
الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١،
(١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- الرازي (ت ٦٠٤هـ)، مؤسسة الأعلمى،
بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٣م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل،
عبد الله أحمد بن محمود النسفي (ت
٧١٠هـ)، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه:
ذكرى عميرات، دار الكتب العلمية،
بيروت - لبنان، ط ١، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- مستدرک الوسائل ومستنبط
الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي
(ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل
البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط ٢،
١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- المصباح المنير، أحمد بن محمد
بن علي المقرى الفيومي (ت ٧٧٠هـ).
- مفاتيح الغيب، محمد بن فخر
الدين بن ضياء الدين الرازي (ت ٦٠٤هـ)،
دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ٣،
(١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب بن أبي
بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)،
ضبطه وشرحه: الأستاذ نعيم
زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت،
لبنان، ط ١، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

المراجع:

- العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي النجفي، من أعلام القرن العاشر، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي(عج)، (إيران-قم)، ط١، (١٤٠٧هـ/١٣٦٦م).
- تفسير الأحلام، سيموند فرويد، ترجمة مصطفى صفوان، دار المعارف، مصر، ط٢، (١٩٦٩م).
- تفسير البصائر، أبو محمد يعقوب الدين رستكار الجوياري، إيران-قم، (د.ط)، (١٤١٣ق/١٣٧١ش).
- التفسير البنائي، محمود البنائي، د.محمود البنائي، د. محمود البستانى، مؤسسة الطبع التابعة للأسنانة الرضوية المقدسة، ط١، (١٤٢٣ق/١٣٨١ش).
- التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، دار إحياء الكتب العربية، (د.ط)، (١٣٨١هـ/١٩٦٢م).
- تفسير الصافي، محمد بن المرتضى الملقب بالفيف الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت-لبنان، ط٢، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- التفسير الكافش، محمد جواد مغنية،
- الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، د. ابتسام أحمد حمدان، دار القلم العربي، ط١، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م).
- أسماء سور القرآن وفضله، د. منيرة محمد ناصر الدوسرى، دار الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة السعودية، ط١، (١٤٢٦هـ).
- الأمثل في تفسير كتاب الله المتنزّل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محى الدين الدرويش، دار اليمامة ودار ابن كثیر، دمشق، بيروت، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، سوريا، ط١، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل

- علم اللغة العام، فردینان دی سوسریر، ترجمة: د. یوئیل یوسف عزیز، مراجعة النص العربي: د. مالک المطلي، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.
- في ظلال القرآن، سید قطب (ت ١٣٨٧هـ)، ط ٥، (١٣٨٦هـ).
- المنجد في اللغة، لویس معلوف، انتشارات إسلام، إیران، ط ٣٥، ١٣٨٣هـ.
- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، ردمك، لیبیا، ط ٢، ٢٠٠٧م.
- من بلاغة أسلوب المقابلة في القرآن الكريم، د. فتحية محمود فرج العقدة، مطبعة الأمانة، ط ١، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
- من هدي القرآن، السيد محمد تقى المدرسي، دار القارئ للطباعة والنشر، ط ٢، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائی، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، بیروت - لبنان، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط ١، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- تفسیر المراغی، أحمد مصطفی المراغی، ط ٣، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م).
- التقابل والتماثل في القرآن الكريم، د. فایز القرعان، جدرارا للكتاب العالمي، الأردن - عمان، ط ١، (٢٠٠٦م).
- التقابل الجمالي في النص القرآني، د. حسين جمعة، منشورات دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا - دمشق، ط ١، (٢٠٠٥م).
- التكرار النمطي في قصيدة المديح عند حافظ، دراسة أسلوبية، د. محمد عبد المطلب، (بحث) ضمن (فصل) (مجلة) النقد الأدبي، المجلد (٣)، العدد (٢)، يناير فبراير، مارس، ١٩٨٣م.
- التنااسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتی، أحمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ١٩٩٢م.
- على طريق التفسير البنائي، د. فاضل السامرائي، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشارقة، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

(بحث) منشور في (الفكر العربي المعاصر) (مجلة)، العدد (٦٨)، ١٩٨٩ م.

- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، المطبعة الإسلامية، طهران، إيران - قم، ط ١، (د.ت).

الرسائل الجامعية:

- أساليب البديع في نهج البلاغة، خالد كاظم حميدي الحميдаوي، دكتوراه، كلية الآداب في جامعة الكوفة، ٢٠١١ م.

- ظاهرة التقابل في اللغة العربية، عبد الكريم محمد حافظ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، (١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م).

الباحث:

- التأويل السيميائي للعنونة والإيقاع في سورة الكوثر، د. خالد كاظم حميدي الحميداوي، بحث مخطوط، نسخة المؤلف.

- في التوازن اللغوي، المعادل، الإيقاع المعنوي، د. مصطفى الجوزو،

- | | |
|---|---|
| ١١- مجمع البيان، الطبرسي: ٤٥٨/١
١٢- للباب، الدمشقي الحنفي:
.٥٢٦/٢٠ | الهؤامش:
١- أسماء سور القرآن، منيرة
محمد: ٦١٠-٦٠٩ |
| ١٣- زبدة التفاسير، الشريف الكاشاني: ٥٣٢/٧
١٤- حاشية الشهاب، الشهاب الخفاجي: ٥٧٧/٩ | ٢- روح المعانى، الآلوسى: ٤٧٨/١٠ |
| ١٥- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ١٦٦/٥
١٦- الصحاح، الجوهري: ٦٥/٤
لسان العرب، ابن منظور: ١٣٥/٥ | ٣- التاویل السیمیائی للعنونة والإيقاع في سورة الكوثر، د. خالد کاظم حمیدی: ٥.
٤- روح المعانى، الآلوسى: ٤٨٢/١٥ |
| ١٧- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ١٣٠/٦
١٨- المحکم والمحيط الأعظم في اللغة، ابن سیده: ٢٦٣/٦ | ٥- في ظلال القرآن، سید قطب: ٢٦٧/٣ |
| ١٩- التقابل والتماثل، فایز القرعان: ٩.
٢٠- نقد الشعر: ١٤٧
٢١- م.ن: ١٤٨-١٤٧ | ٦- الأمثل، ناصر مکارم الشیرازی: ٣٨٣/٢٠ |
| ٢٢- كتاب الصناعتين: ٣٠٧، و ٣٣٧، نهاية الإیجاز: ٢٨٦-٢٨٥، مفتاح العلوم: ٤٢٤-٤٢٣ | ٧- أسباب النزول، النیسابوری: ٣٩٩ |
| ٢٣- ظاهر التقابل في علم الدلالة، (بحث): ١٥. | ٨- مفاتیح الغیب، الرازی: ١٣٣/٣٢
٩- تفسیر النسفي، النسفي: ٨٣٦/٢
لباب النقول في أسباب النزول، السیوطی: ٢١٧، تفسیر الصافی، الفیض الكاشانی: ٣٨٣/٥ |
| | ١٠- الأمثل، ناصر مکارم الشیرازی: ٣٨٣/٢٠ |

- ٣٢- الأمثال العربية القديمة، دراسة أسلوبية سردية حضارية: ٩٨.
- ٣٣- الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي: ١٤٣.
- ٣٤- علم اللغة العام: ٣٠.
- ٣٥- يقصد بالمصاحبة المعجمية أو التضام ورود كلمتين أو أكثر بالفعل أو القوة، نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك في سياق النص، أي مجئها متصاحبة دائماً مما يولده قوة ترابط إذا وجداً معاً في جمل متباورة ليؤدي علاقة أشد تماسكاً في النص. ظ: لسانيات النص: ٢٥، إشكالات النص: ٣٦٦، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٠٧، المعنى وظلال المعنى: ١٢٢.
- ٣٦- لم أغتر عليه في ديوان الشاعر.
- ٣٧- مقاييس اللغة، ابن فارس: ١٦٠/٥-١٦١.
- ٣٨- لسان العرب، ابن منظور: ٢٢٤/٥-٢٢٥، على طريق التفسير البشري، د. فاضل السامرائي: ٨٣/١.
- ٣٩- تفسير القمي، علي بن ابراهيم

- ٢٤- التقابل الجمالي في النص القرآني: ١٦١، من بلاغة أسلوب المقابلة في القرآن الكريم: ٢١-٢٢.
- ٢٥- التناسب البياني: ١٣٥، الأسس الجمالية في النقد العربي: ١٩٥.
- ٢٦- منهاج البلاغة وسراج الأدباء: ٤٨.
- ٢٧- حاول فريق من البلاغيين أن يجدوا مسوغاً مقبولاً للفصل بين الطباق والم مقابلة، فقالوا: إنَّ الطباق لا يكون إلا بالأضداد، والم مقابلة تكون بالأضداد وغيرها، ونجد في نص العلوي ردًا على هذا المسوغ. ظ: بديع القرآن: ٣٢-٣١، البرهان في علوم القرآن: ٤٥٨/٣.
- ٢٨- الطراز المتضمن لعلوم البلاغة: ٣٨٣.
- ٢٩- المترعرع البديع في تجنيس أساليب البديع: ٣٣٥.
- ٣٠- التكرار النمطي في قصيدة المديح عند حافظ (بحث): ٥٣، في التوازن اللغوي، المعادل، الإيقاع المعنوي، (بحث): ٢٩.
- ٣١- تفسير الأحلام: ٣٢٢، و ٥٢٠.

- ٥١- مفاتيح الغيب، الرازى: ١٢٧/٣٢
 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٤٨/١٠
- ٥٢- المحرر الوجيز، ابن عطية: ٥٢٩/٥
 البحر المحيط، أبو حيان الأندلسى:
 .٥٢١/٨
 .٥٣- م.ن.
- ٥٤- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي:
 .١٤٨/١٠، البحر المحيط، ابو
 حيان الأندلسى: ٥٢١/٨
- ٥٥- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي:
 .١٤٨/١٠
- ٥٦- مفاتيح الغيب، الرازى: ١٢٣/٣٢
 .٥٧- م.ن.
 .٥٨- م.ن.
 .٥٩- م.ن.
- ٦٠- مفاتيح الغيب، الرازى: ١٢٧/٣٢
- ٦١- الجامع لأحكام القرآن،
 القرطبي: ١٤٨/١٠
- ٦٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل،
 البيضاوى: ٦٦٦/٢
- ٦٣- نظم الدرر في تناسب الآيات
 والسور، البقاعي: ٥٤٨/٨
- ٦٤- التأويل السيمائى للعنونة
 القمى: ٤٤٧/٢، البيان، الطوسي:
 ٤١٨/١٠، إعجاز سورة الكوثر،
 الزمخشري: ٨٠١/٤
- ٤٠- مجمع البيان، الطبرسى: ٤٥٩/١٠
 ٤١- الكشاف، الزمخشري: ٨٠١/٤
 ٤٢- تأويل الآيات الظاهرة،
 الاسترابادى النجفى: ٨٥٧/٢
- ٤٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا
 الكتاب الكريم، أبو السعود: ٤٧٧/٦
- ٤٤- إعراب القرآن، النحاس:
 ٢٨١/٥، نظم الدرر في تناسب الآيات
 والسور، البقاعي: ٥٤٨/٨
- ٤٥- إعراب القرآن، النحاس: ٢٨١/٥
- ٤٦- مفاتيح الغيب، الرازى:
 ١٢٦/٣٢، الجامع لأحكام القرآن،
 القرطبي: ١٤٨/١٠
- ٤٧- مجمع البيان، الطبرسى: ٤٦٠/١٠،
 المحرر الوجيز، ابن عطية: ٢٢٩/٥
- ٤٨- مجمع البيان، الطبرسى: ٤٦٠/١
- ٤٩- مجمع البيان، الطبرسى،
 مفاتيح الغيب، الرازى: ١٢٤/٣٢
- ٥٠- مجمع البيان، الطبرسى: ٤٦٠/١٠،
 الوجيز، العاملى: ٥٢٩/٥

- .٥٩٩_٥٩٨/١٠ الدين درويش: والإيقاع في سورة الكوثر، د. خالد
 .٧٨- سورة الفتح: ٢. كاظم حميدي: ٩.
 .٧٩- صحيح البخاري، البخاري: ٤٤٤/٦. ٦٥- صنور أي أبتر لا عقب له. ظ.
 .٨٠- العين، الخليل: ١٣٠/٢. إعجاز سورة الكوثر، الزمخشري: ٤٨_٥٥.
 .٨١- معجم مقاييس اللغة، ابن الزمخشري: ٤٨_٥٥.
 فارس: ٩٥/٣.
 .٨٢- تفسير القرآن العظيم، ابن المحرر الوجيز في تفسير الكتاب
 كثير: ٣٩٠/٧. العزيز، ابن عطية الأندلسبي: ٥٣٠_٥٢٩/٥.
 .٨٣- أسباب النزول، السيوطي: ٢١٧. ٦٧- سورة الأنعام: ١٦٢.
 .٨٤- الدر المنشور، السيوطي: ٤٠١/٦. ٦٩- سورة الانعام: ١٢١.
 .٤٠٢- .٧٠- تفسير القراء العظيم، ابن كثير:
 .٨٥- سواطع الإلهام، الفيض ٣٨٨/٧.
 الناكوري: ٣٩٢/٦. ٧١- حاشية القونوي، محمد
 .٨٦- الوجيز في تفسير القرآن العزيز، الحنفي: ٤٥٩/٢٠.
 العاملی: ٥٠٨/٣. ٧٢- فتح القدیر، الشوكاني: ٦٧٠/٥.
 .٨٧- تفسير المراغي، المراغي: ٢٥٢/٢٨. ٧٣- روح المعانی، الآلوسي: ٤٨/١٠.
 .٨٨- الكاشف، محمد جواد مغنية: ٧٤- التفسير البنائي، محمود
 .٦١٧/٧، الموسوعة القرآنية، جعفر البستاني: ٤٣٥/٥.
 شريف الدين: ٢٤١. ٧٥- تفسير البصائر، الجويباري:
 .١٧٤/١٢- جامع البيان، الطبری: ٥٩١/٥٩.
 .١٧٥- .٧٦- التفسير الحديث، محمد عزة
 .٩٠- نظم الدرر في تناسب الآيات دروزة: ١٦٧/١.
 والسور، البقاعي: ٥٤٩/٨. ٧٧- إعراب القرآن الكريم، محبي

٤

مظاهر التلازم المعرفي
بين القرآن الكريم
والصحيفة السجادية

م.د. حميد يوسف إبراهيم
كلية العلوم الإسلامية / جامعة ذي قار

ملخص البحث

يمثل أئمة أهل البيت عليهم السلام امتداداً للقرآن الكريم، بل هم السلوك العملي للقرآن الكريم وأحد تجلياته وتجليات الحق تبارك وتعالى؛ ولذا تجد القرآن الكريم حاضراً في حياتهم عملاً وقولاً، سلوكاً وسكتاً؛ ومن هنا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على العلاقة بين القرآن الكريم والصحيفة السجادية المباركة، فكان بعنوان (ظواهر التلازم المعرفي بين القرآن الكريم والصحيفة السجادية)، وليتوزع على تمهيد عُنْيَ بيبيان موجز عن الصحيفة السجادية، وثلاثة مباحث الأول منها بعنوان: (ظاهر الاقتباس القرآني) يعرض فيه الآيات التي نقلت كما هي وانسبكت في النص السجادي حتى غدت جزءاً منه فكأنهما نص واحد لشدة الترابط بينهما، والثاني (ظاهر التناص) فقد بين بعض المواضع التي شكلت امتداداً مضمونياً للنص القرآني، وفيها

يتجلّى التلازم المعرفي بين النصين، أما الثالث فعني بـ(ظاهر التفسير)، وعرض فيه النصوص السجادية التي تضمنت تفسيراً لبعض ألفاظ القرآن الكريم.

ثم خاتمة فقائمة المصادر. واتجه البحث إلى تقليل الجانب النظري، فقد اقتصر على شيء بسيط منه؛ ليكون التطبيق هو الطابع العام للبحث.

وفي الختام لا أستطيع إلا أن اعتذر من القرآن الكريم، ومن سيدي ومولاي الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، بما ذكر بقدر الباحث لا بقدرهما؛ فقدرهما لا توفيء هذه الوريقات. ومن الله التوفيق.

تمهيد

الصحيفة السجادية

وهي مجموعة من الأدعية المروية عن الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام (ت ٩٥ هـ)، وتعد «من الآثار الدعائية المهمة التي يعجز البيان عن إطانتها». وتعتبر بحق موسوعة علمية ثمينة ليست على الصعيد الروحي الذي بلغت فيه القمة من حيث براعة التعبير والمضمون فحسب، وإنما تطرقت لجوانب عدة - اجتماعية وسياسية واقتصادية - بفلسفة دعائية عظيمة تحتوي هذه الصحيفة على (٥٤) أربعة وخمسين دعاءً وتسمى: أخت القرآن، وزبور آل محمد عليه السلام، وإنجيل أهل البيت»^(١).

أكَدَ العلماء والمحققون نسبتها إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام وتواتر روايتها عنه عليه السلام، قال السيد محمد باقر الداماد (ت ١٠٤١ هـ): إن «الصحيفة الكريمة السجادية المسماة إنجيل أهل البيت وزبور آل الرسول عليه السلام متواترة كما سائر الكتب

في نسبتها إلى مصنفيها»^(٢).

وقال العلامة آقا بزرگ الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ): «وهي من المتواترات عند الأصحاب؛ لاختصاصها بالإجازة والرواية في كل طبقة وعصر»^(٣)، وعدَّ من شروحها أربعة وستين شرحاً، ومن حواشيه إحدى عشرة حاشية، وستاً من تراجمها.

وأشار الشيخ محمد جواد مغنيه إلى أنَّ «كل ما في الصحيفة السجادية يدل بذاته على أنها لزين العباد والإمام السجاد عليه السلام لفظاً ومعنىًّ؛ لأنَّ كلماتها تحمل أنفاسه الزكية وتعكس روحه الصافية الطاهرة النقية، ولو نسبت إلى سواه لكانَ النسبة محل الكلام والاستفهام»^(٤).

المبحث الأول

مظاهر الاقتباس القرآني

الاقتباس هو «أن يضمن الكلام، شراؤ كان أو نظماً، شيئاً من القرآن أو الحديث»^(٥).

وشاوت هذه الظاهرة في الأدب بعد الإسلام، ومثلت فناً بديعياً، فغدت من محسنات الكلام^(٦)، لكنها في كلام أهل البيت تأخذ منحىً أبعد من ذلك، فهي تحكي ذلك التلازم المعرفي، والاتحاد المضموني بين كلامهم عليه السلام وبين القرآن الكريم.

وتجد الإمام علي بن الحسين عليهما السلام قد وظف القرآن الكريم في صحفته المباركة بنسيج نصي اكتملت فيه عناصر الربط من الوحدة الموضوعية مروراً بالوحدات اللغوية وتوظيف عناصر الربط، ومنه ما في دعاء التحميد الذي بين ما جعله الله للإنسان بقوله عليه السلام: «ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ فِي الْحَيَاةِ أَجَلًا مَوْقُوتًا، وَنَصَبَ لَهُ أَمْدًا مَحْدُودًا، يَتَخَطَّى إِلَيْهِ بَأَيَامِ عُمُرِهِ، وَيَرْهَقُهُ بِأَعْوَامِ دَهْرِهِ، حَتَّى

إِذَا بَلَغَ أَقصَى أَثْرِهِ، وَاسْتَوَعَ حَسَابَ
عُمُرِهِ، قَبَضَهُ إِلَى مَا نَدَبَهُ إِلَيْهِ مِنْ
مَوْفُورِ ثَوَابِهِ، أَوْ مَحْذُورِ عَقَابِهِ،
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا
وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى.
عَدْلًا مِنْهُ، تَقَدَّسْتُ أَسْمَاؤُهُ،
وَتَظَاهَرَتْ آلَاؤُهُ، لَا يُسَأَلُ عَمَّا
يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ»^(٧).

ففي هذا النص **«ليجزي...»**

اقتباس من قوله تعالى: **«وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى»** (سورة النجم، الآية ٣١)^(٨). وفي قوله تعالى **«لَا يُسَأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ»** (سورة الأنبياء، الآية ٢٣).

ويشكل هذا النص في عمقه مضموناً قرآنياً ينسجم مع ما يفترضه المبحث الثاني، وفضلاً عن ذلك فقد وظف الإمام السجاد عليهما السلام الآيتين المباركتين، فجعلهما تعليلاً لما قبلهما من الكلام باستعمال أداة

مَوْلَىٰ شَيْئاً وَ لَا هُمْ يُنْصَرُونَ. حَمْدًا
يَرْتَفِعُ مَنَا إِلَى أَعْلَىٰ عَلَيْنَ فِي كِتَابٍ
مَرْقُومٌ يَشَهِّدُ الْمُقْرِبُونَ. حَمْدًا تَقُرُّ بِهِ
عُيُونُنَا إِذَا بَرَقَ الْأَبْصَارُ، وَتَبَيَّضُ بِهِ
وُجُوهُنَا إِذَا اسْوَدَّتِ الْأَبْشَارِ»^(١٠).

تضمن هذا الجزء من الدعاء مجموعة من الآيات الكريمة^(١١)، التي تبين حال الإنسان ومصيره.

ومنه ما في صلاته على الملائكة بقوله عليه السلام: «فَصَلِّ عَلَيْهِمْ يَوْمَ يَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَاقِقٌ وَشَهِيدٌ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ صَلَّةً تَزَيِّدُهُمْ كَرَامَةً عَلَى كَرَامَتِهِمْ وَطَهَارَةً عَلَى طَهَارَتِهِمْ»^(١٢). وهنا اقتباس لقوله تعالى: «وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَاقِقٌ وَشَهِيدٌ»^(١٣) (سورة ق: ٢١).

ومنه ما في دعاء صلاته عليه السلام على النبي ﷺ، بقوله عليه السلام: «وَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي بُحُوْجَةٍ قَرَارَهُمْ حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُكَ، وَأَعْلَتْ كَلْمَتُكَ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»^(١٤).

ومما وظف به عليه السلام النص القرآني الكريم بيان صفات بعض الخلق ومنهم الملائكة مع بيان بعض وظائفهم وقد جسد ذلك في وحدة نصية في قوله عليه السلام: «وَالْحَفْظَةُ

التعليل (اللام) مع الضمير المستتر في الأولى، واستعمال الضمير المستتر في الثانية، ولو دققنا النظر في سياق النص لوجدنا ذكر الآيتين ما هو إلا جواب لسؤال مقدر فيما قبل الآيتين، مفاده: (لماذا؟).

ومنه قوله عليه السلام: «وَيَبْلُو أَخْبَارَهُمْ، وَيَنْظُرُ كَيْفَ هُمْ فِي أَوْقَاتٍ طَاعَتْهُ، وَمَنَازِلَ فُرُوضِهِ، وَمَوَاقِعِ أَحْكَامِهِ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى»^(٩).

فقد أورد جزء الآية الكريمة في سياق تعليقي لما بينه من حكمة الخلق والتشريع.

وفي موضع آخر وظف الإمام عليه السلام النص القرآني لبيان الزمن الذي يعرض له مضمون الدعاء في المقطع الدعائي بقوله عليه السلام: «وَالْحَمْدُ لِللهِ عَلَى مَا عَرَفَنَا مِنْ نَفْسِهِ... حَمْدًا يُضِيءُ لَنَا بِهِ ظُلْمَاتَ الْبَرِزَخِ، وَيُسْهِلُ عَلَيْنَا بِهِ سَبِيلَ الْمَبْعَثِ، وَيُشَرِّفُ بِهِ مَنَازِلَنَا عِنْدَ مَوَاقِعِ الْأَشْهَادِ، يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ، يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ

اقتباس لقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغْلُوْهُ * شُمَّ الْجَحِيْمَ صَلُوْهُ﴾ (سورة الحاقة، ٣١-٣٠). وعبارة (يوم تأتي...) اقتباس لقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (سورة ق، ٢١). واستدعاء هذه النصوص القرآنية هنا فضلا عن غيرها مما ورد من كلمات قرآنية يمثل صياغة تفسيرية لمفاهيم قرآنية عن بعض الملائكة وصفاتهم ووظائفهم في نسيج نصي متماسك، وفيه إلماح وتأسيس لمنهج تفسيري يمزج بين بيان الموضوع الواحد في نصوصه المتعددة في القرآن الكريم، فضلا عن كونه تفسيراً للقرآن بالقرآن.

ولم تقتصر اقتباسات الصحيفة السجادية المباركة من القرآن الكريم على هذه فحسب، فثمة موضع آخر^(١٦).

أما ما أشار إليه صراحة بأنه قوله تبارك وتعالى فله موضع آخر^(١٧). ومما يلاحظ في هذه الاقتباس أنها جاءت اقتباسات نصية، أي أن الآيات الكريمة وردت بنصوصها لفظا

الْكَرَامُ الْكَاتِبِينَ، وَمَلَكُ الْمَوْتَ وَأَعْوَانَهُ، وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، وَرُوَّانٌ فَتَانَ الْقُبُورَ، وَالطَّائِفَيْنَ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَمَالِكٌ، وَالْخَزَنَةُ، وَرَضْوَانٌ، وَسَدَنَةُ الْجَنَانَ. وَالَّذِينَ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنَعَمْ عَقْبَى الدَّارِ وَالزَّيَانَةُ الَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ خُذُوهُ فَغْلُوْهُ شُمَّ الْجَحِيْمَ صَلُوْهُ ابْتَدَرُوهُ سَرَاعًا، وَلَمْ يُنْظَرُوهُ. وَمَنْ أَوْهَمَنَا ذَكْرَهُ، وَلَمْ نَعْلَمْ مَكَانَهُ مِنْكَ، وَبَأَيِّ أَمْرٍ وَكَلْتَهُ. وَسُكَانُ الْهَوَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَمَنْ مِنْهُمْ عَلَى الْخَلْقِ فَصَلَّ عَلَيْهِمْ يَوْمَ يَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾^(١٨).

تعددت في النص أعلاه النصوص القرآنية التي اقتبسها عاشق^(١٩)، فعبارة (الكرام الكاتبين) اقتباس لقوله تعالى: ﴿كَرَامًا كَاتِبِينَ﴾ (سورة الانفطار، الآية ١١). وعبارة (والذين لا يعصون...) اقتباس لقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غَلَاظٌ شَدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ﴾ (سورة التحريم، من الآية ٦). وعبارة (خذوه فغلوه...)

المبحث الثاني

مظاهر التناص

يعرف التناص بأنه «تضمين نص لنص آخر واستدعاوته وفيه يتم تفاعل خلاق بين النص المستحضر بكسر الضاد والنص المستحضر بفتح الضاد»^(١٨)؛ ولذا فإن «كل نص هو امتصاص وتحويلٌ لوفرةٍ من النصوص الأخرى. والنص حسب هذا المعيار النقدي استمرار وانقطاع في آنٍ معاً للنصوص الأخرى ضمن الأدبية الخاصة بنوع من الأداء اللغوي»^(١٩)، فهو «تعليق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة»^(٢٠).

ويعد التناص معياراً أو مظهراً من مظاهر التلازم المعرفي بين النصوص ودليل من أدلة الإبداع، «فالنص الإبداعي الحقيقي هو الذي يتمثل في بنائه النصوص السابقة عليه»^(٢١).

وإن قرب النص من النصوص السابقة له يكشف عن مدى التوافق المضمنوني والتلازم المعرفي بينهما. وإن بعده قد يعكس الانفصال والتنافر

وتركيبياً. فتجد مقاطع من الدعاء هي آيات أو أجزاء من آيات نسجت وامتزجت فصارت هي وبقي أجزاء الدعاء نصاً واحداً، لولا أنه قرآن كريم لما تميز عن باقي أجزاء نص الدعاء. ويشير هذا التوظيف للنص القرآني في نص الدعاء إلى عمق الارتباط وشدته، وإلى مدى التلازم بين النصين، فكان الأمر لا يقف على التلازم المعرفي وإنما هو تلازم نصي معرفي يحكي مواصلة نصية مضمنوية بينهما.

وقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيِّرُ﴾ (الأنعام، الآية ١٠٣).

ومثل ذلك أحد الأبعاد المعرفية للقرآن الكريم وهو البعد العقدي الذي أولاه النص القرآني اهتماماً بالغاً، وذلك ببيان الصفات الثبوتية والسلبية لله تبارك وتعالى، وكان التوحيد وبيان الصفات الإلهية من أوائل ما نزل من القرآن الكريم؛ ولذا تجد الإمام علي بن الحسين عليهما السلام قد حاكى النص القرآني حتى في ذلك، فقد بدأت الصحيفة المباركة بدعاء التحميد لله الذي استعرض الصفات الإلهية وبينها، مثلاً بدأ القرآن الكريم بسورة الحمد، وركز على التوحيد والإخلاص لله تبارك وتعالى في أوائل نزوله وفي ثنایا نصوصه.

ومنها قوله عليهما السلام: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْتَارَ لَنَا مَحَاسِنَ الْخَلْقِ، وَأَجْرَى عَلَيْنَا طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ﴾^(٢٤)، فقد تعلق هذا المقطع مع قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا إِلْهَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين، الآية ٤).

بينهما مما يكشف عن القطيعة المعرفية بينه وبين ما قبله من نصوص. وقد مثلت الصحيفة السجادية المباركة تناصاً لفظياً ومضمونياً مع القرآن الكريم، فهي في مرتبة من المراتب تعد تجيلاً من تجليات كلام الخالق في كلام أوليائه، مما يشكل مظهراً من مظاهر التلازم المعرفي بينهما، ولا يكاد يخلو مقطع من الصحيفة السجادية المباركة من تعاقب نصي واشتراك مضموني أو لفظي مع القرآن الكريم، ومن ذلك قوله عليهما السلام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ بِلَا أَوَّلَ كَانَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرُ بِلَا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ الَّذِي قَصَرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتَهُ أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ﴾^(٢٥)، وقوله عليهما السلام: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ، وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ عَدَدٍ﴾^(٢٦).

استحضر هذا المقطع مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة الحديد، الآية ٣).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرَّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف، الآية ٣٢).

ومنها قوله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ بِقُوَّتِهِ وَمَيَّزَ بَيْنَهُمَا بِقُدْرَتِهِ وَجَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدًّا مَحْدُودًا وَأَمَدَّ مَمْدُودًا يُولَجُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي صَاحِبِهِ، وَيُولَجُ صَاحِبَهُ فِيهِ بِتَقْدِيرِ مِنْهُ لِلْعِبَادِ فِيمَا يَغْذُوهُمْ بِهِ»^(٢٥)، فقد تناصَ مع قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولَجُ اللَّيلَ فِي النَّهَارِ وَيُولَجُ النَّهَارَ فِي اللَّيلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (سورة الحج، ٦١) فضلاً عن آيات أخرى^(٢٦).

ولا يكاد يخلو دعاء من أدعية الصحيفة السجادية المباركة^(٢٧) من هذا المظهر من مظاهر التلازم المعرفي. وإن هذه النصوص وغيرها من الصحيفة السجادية تكشف عن مدى تأثير القرآن الكريم عليها وفيها، حتى غدت كأنها صورة لفظية أخرى لكثير

من مفاهيمه وأحكامه واشترطاته وأهدافه.

وتتجدر الإشارة إلى أن التناص قد يأخذ على عاتقه إزاحة النص السابق ليكون النص اللاحق محله فهو «يسعى إلى الحلول محل هذه النصوص أو إزاحتها من مكانها وذلك مقابل ما يقع في ظل النصوص الأخرى»^(٢٨). وهذا في الأعمال الأدبية.

أما في الصحيفة السجادية فإن الأمر مختلف تماماً؛ إذ ليس من غaitتها أن تزيح النص لتحل محله، وإنما من غaitاتها أن تكون ترجماناً وإيضاً حانياً للنص القرآني، فالصحيفة السجادية لا تتنافس مع القرآن الكريم على أحقيّة في الإبداع أو مزية في السبك، وإنما غaitتها أن تكون تجيلاً من تجليات القرآن الكريم وتطبيقاً من تطبيقاته.

المبحث الثالث مظاهر التفسير

يعد كلام النبي ﷺ من المصادر التي يعود إليها المفسر في بحثه عن المعاني القرآنية، وكلامهم عليه حجة في ذلك أيضاً، ولأن أهل البيت علية عدل القرآن الكريم وهم الثقل الثاني؛ وفقاً لقوله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين، ألا إن أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»^(٢٩).

فكلامهم عليه امتداد القرآن الكريم ويساعد على فهمه وبيانه للناس، سواء أكان في مقام بيانهم عليه معنى آية أم كان جواباً لسؤال يوجه إليهم عليه، أم غير ذلك من كلامهم المبارك في الخطب والأدعية ونحو ذلك. فكلامهم وعلمهم وتقرييرهم حجة عند المفسرين والفقهاء والعلماء من أتباعهم عليه.

وقد مثلت الصحيفة السجادية واحداً من مصادر الأدعية الصحيحة السندي المتواترة عن الإمام زين العابدين عليه^(٣٠).

وقد وصفت الصحيفة السجادية القرآن الكريم بمجموعة من الأوصاف، بعضها بالفاظ قرآنية وبعضها مستوحاً من المضامين القرآنية، ومنها قوله عليه السلام: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْنَتَنِي عَلَى خَتْمِ كِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ نُورًا، وَجَعَلْتَهُ مُهِيمِنًا عَلَى كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلْتَهُ، وَفَضَّلْتَهُ عَلَى كُلِّ حَدِيثٍ قَصَصَتْهُ، وَفَرَقْنَا فَرْقَتَ بِهِ يَبْيَنَ حَلَالَكَ وَحَرَامَكَ، وَقُرْآنًا أَعْرَبْتَ بِهِ عَنْ شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ وَكِتَابًا فَصَلَّتَهُ لِعِبَادَكَ تَفْصِيلًا، وَوَحْيًا أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَنْزِيلًا. وَجَعَلْتَهُ نُورًا نَهْدِي مِنْ ظُلْمِ الضَّلَالِ وَالْجَهَالَةِ بِاتِّبَاعِهِ، وَشَفَاءً لِمَنْ أَنْصَطَ بِفَهْمِ التَّصْدِيقِ إِلَى اسْتِمَاعِهِ، وَمِيزَانَ قَسْطَ لَا يَحِيفُ عَنِ الْحَقِّ لِسَانَهُ، وَنُورٌ هُدًى لَا يَطْفَأُ عَنِ الشَّاهِدَيْنَ بُرْهَانَهُ، وَعَلَمٌ نَجَاهٌ لَا يَضِلُّ مَنْ أَمَّ قَصْدَ سُنْتَهُ»^(٣١).

فبعض عبارات هذا الدعاء تعد تفسيراً لبعض الآيات الكريمة، فقد فسرت كلمة (الفرقان) التي وردت اسماء أو وصفاً للقرآن الكريم في قوله تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى

أَمَا قُوله عَلَيْهِ الْكَلَامُ: «فَخَلَقَ لَهُمُ اللَّيْلَ
لِيَسْكُنُوا فِيهِ مِنْ حَرَّ كَاتِ التَّعْبِ وَنَهَضَاتِ
النَّصْبِ، وَجَعَلَهُ لِبَاسًا لِيُلْبِسُوْا مِنْ رَاحَتِهِ
وَمَنَامِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ لَهُمْ جَمِاماً وَقُوَّةً،
وَلَيَنْتَلُوا بِهِ لَذَّةَ وَشَهْوَةَ وَخَلَقَ لَهُمُ النَّهَارَ
مُبْصِراً لِيَتَغْوِي فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، وَلِيَسْبِبُوا
إِلَى رِزْقِهِ، وَيَسْرُ حُوَافِي أَرْضِهِ، طَلَبًا لِمَا
فِيهِ نَيْلُ الْعَاجِلِ مِنْ دُنْيَا هُمْ، وَدَرَكُ
الْأَجْلِ فِي أَخْرَاهُمْ بِكُلِّ ذَلِكَ يُصْلِحُ
شَأنَهُمْ، وَيَبْلُو أَخْبَارَهُمْ، وَيَنْظُرُ كَيْفَ
هُمْ فِي أَوْقَاتِ طَاعَتِهِ، وَمَنَازِلِ فُرُوضِهِ،
وَمَوَاقِعِ أَحْكَامِهِ»^(٣٤). فِيمَثِلُ تَفْسِيرًا
لِوَصْفِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْ إِخْبَارِهِ عَنِ
اللَّيْلِ بِأَنَّهُ سُكُنٌ وَلِبَاسٌ، وَعَنِ النَّهَارِ بِأَنَّهُ
نُشُورٌ وَمَعَاشٌ، فِي مَثَلِ قُولِهِ تَعَالَى: «فَالَّتِي
الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ
وَالقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ»^(٣٥) (سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٩٦)، وَقُولِهِ تَعَالَى:
«وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا
وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا»
(سُورَةُ الْفَرْقَانِ ٤٧)، وَقُولِهِ تَعَالَى:
«وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ
مَعَاشًا»^(٣٦) (سُورَةُ النَّبَاءِ ١٠-١١).

عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» (سُورَةُ
الْفَرْقَانِ، الآيَةُ ١)^(٣٧). وَكَذَلِكَ تَضَمَّنَتْ
بِيَانًا لِوَصْفِهِ بِالنُّورِ فَضْلًا عَنِ الْأَوْصَافِ
الْأُخْرَى.

وَتَجَدُّرُ الإِشارةِ إِلَى أَنَّهَا الدُّعَاءُ
(دُعَاؤُهُ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ) إِنَّمَا هُوَ
بِمَثَابَةِ مُنْهَجٍ لِلتَّعَامِلِ مَعَ الْقُرْآنِ، إِذَا
يُوجَدُ فِيهِ بِيَانٌ وَظَانَّفُ الْقُرْآنِ وَغَايَتِهِ
وَتَكْلِيفُ النَّاسِ تَجَاهِهِ.

وَمِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ الْكَلَامُ مَا عُرِفَ بِهِ مِنْ
الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ وَرَدَ ذِكْرُهُمْ فِي الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ، وَمِنْهُمْ جَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، فَقَدْ
عُرِفَ بِهِمْ بِذِكْرِ صَفَاتِهِمْ وَوَظَانَّهُمْ
وَهُوَ مَا يُشَكِّلُ تَصُورًا لِبِيَانِ شَانِهِمْ
وَالْكَشْفُ عَنِ مَدْلُولَاتِ ذِكْرِهِمَا فِي
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ: «وَمِيكَائِيلُ
ذُو الْجَاهِ عِنْدَكَ، وَالْمَكَانُ الرَّفِيعُ مِنْ
طَاعَتِكَ. وَجَبْرِيلُ الْأَمِينُ عَلَى وَحْيِكَ،
الْمُطَاعُ فِي أَهْلِ سَمَاوَاتِكَ، الْمَكِينُ
لَدِيْكَ، الْمُقْرَبُ عِنْدَكَ»^(٣٨).

فَهَذَا الْكَلَامُ يُعدُّ مَكْمَلًا وَمَفْسِرًا لِمَا
ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْ هَذِينِ
الْمَلَكِينِ عَلَيْهِمُ الْكَلَامُ.

بيان أمر للمتلقى لنص الدعاء، لكن بعضها الآخر أورده في أسلوب حجاجي يبين فيه الوعد الإلهي.

* تلازمت الصحيفة السجادية مع القرآن الكريم في ما بداء به كل منهما؛ فالقرآن بدأ بالحمد وبسورة الحمد، والصحيفة تبدأ بالحمد وبدعاء التحميد. وتضمن التوحيد وتنظيم العلاقة مع الله تبارك وتعالى، وكانت الصحيفة السجادية كذلك.

* إن كثيراً من نصوص الصحيفة السجادية تمثل تفسيراً أو تاوياً لقرآنياً، عبرت بذلك عن التلازم المعرفي والاتحاد المضمني مع القرآن الكريم؛ ولذا يمكن الإفاده من نصوص الأدعية في تفسير القرآن الكريم والعمل بها.

الخاتمة

وبعد هذه السياحة الدعائية مع الصحيفة السجادية توصل البحث إلى ما يأتي:

* مثل النص السجادي ذوابانا وانصهارا في النص القرآني وهو ما يحكي عن التلازم المعرفي فضلاً عن اللفظي.

* تجلّى التلازم المعرفي بين القرآن الكريم والصحيفة السجادية في ثلاثة مظاهر، فالاقتباس القرآني وإيراد النصوص القرآنية في نسيج نصي واحد قد لا يتمكن بعضهم من تمييز النص القرآني عن النص السجادي. ليتوالى التلازم المعرفي إلى استحضار المضمون القرآني في ثنايا النص السجادي، ويتجلى المظهر الثالث في كون النص السجادي قد تضمنت إشارات تفسيرية للنص القرآني، وهو ما يدعو للبحث في نصوص الأدعية لتكون منبعاً تفسيرياً ثرّاً يمكن الإفاده منه في بيان المضمون القرآني.

* إن بعض الآيات أوردها في سياق

- الأديب السيد علي خان الحسيني المدني الشيرازي (ت ١١٢٠هـ) تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، ط٤، مؤسسة النشر الإسلامي، طهران، ١٤٢٥هـ.
٨. شرح الصحيفة الكاملة السجادية: المحدث الفقيه الأمير السيد محمد باقر المشتهر بالداماد (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، باهتمام السيد محمود المير داماد، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠٦هـ.
٩. الصحيفة السجادية (أدب الدعاء): د. حسين علي محفوظ، مجلة البلاغ، الجمعية الإسلامية للخدمات الثقافية، عدد: ٦ السنة الأولى، كانون الأول، ١٩٦٦.
١٠. الصحيفة السجادية الكاملة، مع الدليل الموضوعي والمعجم اللغوي والفالئرس، تحقيق وتنسيق: علي أنصاريان، ط١، سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١١. فتح الأبواب: السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: حامد الخفاف، ط١، مؤسسة آل البيت، دار الإحياء

المصادر

- * القرآن الكريم.
- ١. إشكاليات القراءة وآليات التأويل: نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط٧، ٢٠٠٥.
- ٢. الأُمالي: الشيخ الطوسي، انتشارات دار الثقافة، قم، ١٤١٤هـ.
- ٣. الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥.
- ٥. التعريفات: السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٦. الدررية إلى تصانيف الشيعة: العلامة آقا بزرگ الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، ط٣، دار الأضواء، بيروت ١٤٠٣هـ.
- ٧. رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين: العلامة الأربيب والفضل

- الهوامش
- ١- فتح الأبواب: ٧٦
 - ٢- شرح الصحيفة الكاملة السجادية: ٤٥
 - ٣- الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٥
 - ٤- في ظلال الصحيفة السجادية: ٣٨ - ٣٩
 - ٥- التعريفات: ٢٦، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٢٩/١
 - ٦- وضع العلماء والباحثون لهذا الحقل النظري في الفنون البدعية من علوم البلاغة، ينظر: مختصر المعاني، للتفتازاني: ٣٠٧
 - ٧- الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٠
 - ٨- ينظر: رياض السالكين: ٢٩٨/١
 - ٩- الصحيفة السجادية الكاملة: ٤٠.
 - ١٠- الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٢
 - ١١- ينظر: الآيات: ٢٥ من سورة آل عمران، و٥١ من سورة إبراهيم، و١٧ من سورة غافر، و٢٢ من سورة الجاثية، و٤١ من سورة الدخان، و١٩ من سورة المطففين.
- للتراث، بيروت، ١٩٨٩م.
١٢. في ظلال الصحيفة السجادية: الشيخ محمد جواد مغنية، تحقيق: سامي الغريبي، ط١، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، إيران، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٣. فيض الدلالة وغموض المعنى في شعر محمد عفيفي مطر: فريال جبور غزول.
١٤. مختصر المعاني: سعد الدين التفتازاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٤م.
١٥. نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص الفكري: د. حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

- ٢٥- ينظر: سورة لقمان الآية ٢٩، وسورة فاطر الآية ١٣، وسورة الحديد الآية ٦.
- ٢٦- الصحيفة السجادية الكاملة:
- ٤٧، ٤٩، ٥٧، ٦١، نحوها.
- ٢٧- نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص الفكري: ١٩٦-١٩٧.
- ٢٨- الأimalي، الشيخ الطوسي: ٢٩٠/١.
- ٢٩- ينظر: الذريعة الى تصانيف الشيعة: ١٥ / ١٨، والصحيفة السجادية: (حسين علي محفوظ): ٦٨.
- ٣٠- الصحيفة السجادية الكاملة: ١٥٧.
- ٣١- وينظر: سورة آل عمران الآية ٤.
- ٣٢- الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٧.
- ٣٣- الصحيفة السجادية الكاملة: ٣٩.
- ١٢- الصحيفة السجادية الكاملة:
- .٢٩.
- ١٣- ينظر: الآيتين، ٣٣ من سورة التوبه و٩ من سورة الصاف.
- ٢٦- الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٩.
- ٢٩- الصحيفة السجادية الكاملة:
- ١٦- ينظر الصحيفة السجادية الكاملة: ٣٢، ٩٠، ١٢٠، ١٢٤، و ١٣٢، ١٤٠، ١٦٥، ١٦٦، و ٢٢٧.
- ١٧- ينظر الصحيفة السجادية الكاملة: ٢٠، ١٠٧، و ١٧٢-١٧٣.
- ١٨- فيض الدلالة وغموض المعنى في شعر محمد عفيفي مطر، فريال جبوري غزول: ٧٥
- ١٩- تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح: ١٢١.
- ٢٠- إشكاليات القراءة والآيات التأويل، نصر حامد أبو زيد: ٢٥٧.
- ٢١- الصحيفة السجادية الكاملة: ١٩.
- ٢٢- الصحيفة السجادية الكاملة: ١٨٦.
- ٢٣- الصحيفة السجادية الكاملة: ٢١.
- ٢٤- الصحيفة السجادية الكاملة: ٣٩.

٥

الإمام علي
بن أبي طالب عليه السلام
مفسراً للقرآن

د. أحمد راسم النفيس
جمهورية مصر العربية

رجال الله

روى الشري夫 الرضي في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال عند تلاوته: **﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا يَبْعَثُونَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾** النور آية ٣٧

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جَلَاءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وَتَتَقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ، وَمَا بَرَحَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ، وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ، عَبَادُ نَاجَاهِمْ فِي فَكْرِهِمْ، وَكَلْمَهِمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةِ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْنَدَةِ، يُذَكَّرُونَ بِأَيَامِ اللَّهِ، وَيَخْوَفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدَلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمَدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاهَ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَشَمَالًا ذَمَّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ فَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَأَدَلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ.

وَإِنَّ لِذِكْرِ لِأَهْلًا أَخْذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا

بَدَلًا، فَلَمْ تَشْغُلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا يَبْعَثُونَ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتَفُونَ بِالرِّزْقِ وَاجْرِ عِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقُسْطِ وَيَأْتِمُرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَاهُونَ عَنِهِ، فَكَانُوا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، فَكَانُوا اطَّلَعوا غَيْبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقُتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عَدَاتِهَا، فَكَشَفُوا غَطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَانُهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ.

فَلَوْ مُثِلُهُمْ لَعَقْلُكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ وَقَدْ نَشَرُوا دَوَّاينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسِبَةِ أَنْفُسِهِمْ، عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أَمْرُوا بِهَا فَقَصَرُوا عَنْهَا، أَوْ نَهَا عَنْهَا فَقَرَرُوا فِيهَا، وَحَمَلُوا ثَقْلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الْاسْتِقْلَالِ بِهَا، فَنَسَجُوا نَسِيجًا، وَتَجَاوِبُوا نَحْيَا، يَعْجُونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ، لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدَى، وَمَصَابِيحَ دُجَى، قَدْ حَفَتْ

الله لُّوره مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ الله
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *
فِي بُيُوتِ أَذْنَانِ اللهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيَدْكُرَ فِيهَا
اسْمُهُ يَسْبِحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ
* رِجَالٌ لَا تَلْهِيهِمْ تَجَارَةٌ وَلَا يَعْ
عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقْلِبُ فِيهِ
الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ
مَا عَمِلُوا وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ *^(٢).

وقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في تفسير هذه الآية: النور هو القرآن والنور اسم من أسماء الله تعالى والنور النورية والنور ضوء القمر والنور ضوء المؤمن وهو الموالاة التي يلبس لها نوراً يوم القيمة والنور في مواضع من التوراة والإنجيل والقرآن حجة الله على عباده وهو المعصوم فقال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (سورة الأعراف)، فالنور في هذا الموضع هو القرآن ومثله في

بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ،
وَفُتَحَ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَأُعْدَتْ
لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ، فِي مَقْعَدِ اطْلَعَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضَيَ سَعِيهِمْ وَحَمَدَ
مَقَامَهُمْ يَتَسَمَّوْنَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ
الْتَّجَازُورِ، رَهَائِنُ فَاقَةِ إِلَى فَضْلِهِ،
وَأَسَارَى ذَلَّةَ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طُولَ الْأَسَى
قُلُوبَهُمْ، وَطُولَ الْبُكَاءِ عَيْنَهُمْ. لِكُلِّ
بَابِ رَغْبَةِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُمْ مِنْهُمْ يَدِ
فَارِعَةٌ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدِيهِ
الْمَنَادِحُ، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ.
فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ غَيْرَهَا
مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ *^(١).
إنها الآية السابعة والثلاثون من سورة النور، ولكي تتحقق الفائدة نورد الآية وما سبقها من الآيات وما جاء بعدها، قال تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ
نُورِهِ كَمْشَكَاهُ فِيهَا مَصْبَاحٌ الْمَصْبَاحُ
فِي زَجَاجَةِ الزَّجَاجَةِ كَأَنَّهَا كُوْكُبٌ
دَرِيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةِ مُبَارَكَةِ زَيْتُونَةِ لَا
شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ
لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي

(فيها مصباح المصباح) الحسن والحسين (في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري) كأن فاطمة عليهما السلام كوكب دري بين نساء أهل الأرض (يوقد من شجرة مباركة) يوقد من إبراهيم عليهما السلام (لا شرقية ولا غربية) يعني لا يهودية ولا نصرانية (يكاد زيتها يضيء) يكاد العلم يتفجر منها (ولو لم تمسسه نار نور على نور) إمام منها بعد إمام (يهدي الله لنوره من يشاء) يهدي الله للأئمة من يشاء أن يدخله في نور ولا يتهم مخلصاً (ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء علیم).

وروى أيضاً: عن منخل عن جابر عن أبي جعفر عليهما السلام في قوله: «في بيوت أذن الله أن ترفع ويدرك فيها اسمه» قال: هي بيوت الأنبياء، وبيت علي عليهما السلام منها.

التفسيرات التي نقلناها عن أمير المؤمنين وعن أئمة أهل البيت عليهما السلام تؤكد الدور المركزي لأهل البيت في هداية الأمة وهي تفسير بالخاص،

سورة التغابن: ﴿فَآمْنَوْا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾، يعني سبحانه القرآن وجميع الأوصياء المعصومين من حملة كتاب الله تعالى وخزانه وترجمته الذين نعمتهم الله في كتابه فقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمِنًا بِكُلِّ مَا عِنْدِ رَبِّنَا﴾، فهم المنعمون الذين أنار الله بهم البلاد وهدى بهم العباد قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُثْلِدُ نُورٍ كَمَشْكَاهٍ...﴾ فالمشكاة رسول الله عليهما السلام والمصباح الوصي والأوصياء عليهما السلام والزجاجة فاطمة والشجرة المباركة رسول الله عليهما السلام والكوكب الدرى القائم المنتظر عليهما السلام الذي يملأ الأرض عدلاً. معجم أحاديث المهدي.

كما روى القمي في تفسيره: عن صالح بن سهل الهمданى قال: سمعت أبا عبد الله عليهما السلام يقول في قول الله: (الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة)، المشكاة فاطمة عليهما السلام

النفت الشيطاني، فأيهمما غلب ساق الإنسان في ناحيته واتجاهه إما نحو الله أو نحو الهاوية.

يقول تعالى: **﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةَ إِنِّي خَالقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾**^(١).

ولاشك أن الله تبارك وتعالى لم يأمر ملائكته المقربين بالسجود لبشر دخل في حزب الشيطان بل لبشر كان ما زال يومها يحفظ بفطرته الصافية النقية فطرة الله التي فطر الناس عليها ولا شك أن المؤمنين الأخيار ما زالوا يحملون في نفوسهم هذه الروح النقية الطاهرة التي تمكنتهم من الصمود في مواجهة الهجمات الشيطانية العارمة، فيحفظ الله بهم حججه وبيانته، حتى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم^(٢). **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فَطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تُبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**^(٣).

وإذا كانت البيوت المقصودة في الآية هي بيوت الأنبياء، فالرجال هنا هم آل الأنبياء وهم أئمة أهل البيت عليه السلام

إنه التفسير بالخاص الذي لا ينافق العام. والمعنى أن مركزية النور لا تناقض انتشاره ولمعانه نحو الأقرب ثم الأقرب وصولا إلى كل بقعة يمتد وينتشر إليها هذا الفيض الإلهي الرباني.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: أيها الناس، استصباحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ، وامتاحو^(٤) من صفو عين قد روقت^(٥) من الكدر.

وبقدر ما ينهل المؤمن من هذا النور الرباني ومن نبع الهدایة الإلهی يصبح هذا النور مكونا من مكوناته ويصبح الصفاء الإلهي صفة من صفاته.

فالنور الإلهي والهدایة الربانية لعباده المؤمنين المخلصين هو جزء ومكون رئيس من مكونات النفعة الربانية ورديفا للروح الإلهية المودعة في قلب الإنسان والتي تتصارع مع

من وراء بعث الأنبياء للناس ﴿كُونُوا رَبَّانِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾^(١٠). الذكر الذي جعله الله جلاءً للقلوب، تسمع به بعد الورقة^(١١)، وتبصر به بعد العشوة، وتتقاد به بعد المعايدة.

إن من أوليات أي معركة أن يسعى العدو لحرمانك من معرفة حقيقة الخطر الذي يهدّدك، فلا تسمع ولا ترى ما يخططه لك، والأسوأ أن يحرض رجالك على التمرد عليك وعصيان أوامرك، أما الأكثر سوءاً فهو فقدان مركز القيادة قدرته على السيطرة والتحكم في المقاتلين. ويوم يحدث هذا فماذا بقي لك؟ .

فمركز القيادة هو القلب، وأجهزة المخابرات هي السمع والبصر، ومن ثم فالذكر هو سلاحك الرئيس في مواجهة الشيطان، فتسمع وترى بقلبك الواعي ما يدور من حولك وما يدبر لك، فتصبح قادراً على اتخاذ القرار الصائب الذي تنفذه بقية الحواس فتحرك أدوات الحركة والتنفيذ حرفة فاعلة واعية مدركة

أما إذا كسب الشيطان معركته ونجح في جر الإنسان إلى حزبه ومعسكره، فستكون أولى ثمار انتصاره هو تبدل الخلقة الإنسانية وخروجها عن مسار الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وانزواء هذه الروح الطاهرة وتحول الإنسان إلى مسخ يغفل اللسان عن وصفه. ﴿كَلَّا بَلْ رَأَنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَنِ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمَ﴾^(٩).

والشاهد أن النور الرباني يمتزج بالروح الإلهية المودعة داخل قلب الإنسان ويرفعه إلى أعلى درجات الكمال حسب درجة الإيمان والإخلاص وعلى قدر أهل العزم تؤتي العزائم.

نعود لموضوعنا (رجال الله) وهم تلك الصفة الظاهرة المقربة التي تدور في فلك النور الإلهي الصافي محمد وآل محمد، وهم الذين تسلحوا بذلك السلاح الرباني وهو الذكر في مواجهة عدوهم وعدو الإنسانية وعدو الرسل والأنبياء إبليس اللعين.

إنهم يمثلون النموذج المستهدف

معنى الذِّكر
 يقول الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن: الذِّكر: هيئة للنفس تمكن الإنسان من حفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذِّكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول؛ ولذلك قيل: الذِّكر ذكران ذكر بالقلب وذكر باللسان وهو ضربان: ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ.
 وكل قول يقال له ذِّكر، فمن الذِّكر باللسان قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِّكْرٌ كُم﴾^(١٥)، قوله: ﴿وَهَذَا ذِّكْرٌ مَبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾^(١٦)، قوله: ﴿هَذَا ذِّكْرٌ مِنْ مَعِي وَذِّكْرٌ مِنْ قَبْلِي﴾^(١٧)، قوله: ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ الْذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾^(١٨)، أي: القرآن، قوله تعالى: ﴿صَوْنَةٌ وَالْقُرْآنُ ذِّكْرٌ ذِّكْرٌ﴾^(١٩)، قوله: ﴿وَإِنَّهُ لِذِّكْرٍ لَكَ وَلِقَوْمٍ﴾^(٢٠)، أي: شرف لك ولقومك، قوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾^(٢١)، أي: الكتب المتقدمة. قوله: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾*

قادرة في الاتجاه الصحيح؛ لتبعدك عن مواضع الخطر وعن فخاخ الشيطان المنصوبة في كل مكان من حولك. إنها مقدمة لازمة لبيان ما يصنعه الذِّكر في نفوس الذاكرين وعقولهم، وكيف أن الذِّكر يمنحهم حزمة من القابليات الذهنية والروحية يفتقدها الغافلون عن ذكر الله.

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيَضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهَتَّدُونَ﴾^(١٢).

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمُ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١٣).
 ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غُشاوةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(١٤).

والذكرى: كثرة الذكر، وهو أبلغ من الذكر، قال تعالى: ﴿رَحْمَةٌ مِّنْ رَبِّكَ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَاب﴾^(٣٢)، ﴿وَذِكْرٌ إِنَّ ذِكْرَهُ تَنْفُعُ الْمُؤْمِنِين﴾^(٣٣)، في آيٍ كثيرة. والتذكرة: ما يتذكر به الشيء، وهو أعم من الدلالة والأمارة، قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مَعْرُضُون﴾^(٣٤)، ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَة﴾^(٣٥)، أي: القرآن.

فالذكر كما يقول الراغب الأصفهاني: هيئة للنفس تمكّن الإنسان من حفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ إحراز للمعرفة، والذكر هو حضورها عند احتياجها، وتارة يقال لحضور الشيء في القلب أو بالقول ولذلك قيل الذكر ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان. أي أن الحفظ هو إحراز المعرفة والذكر استحضارها والمعرفة هي معرفة الله تبارك وتعالى والوعي بأوامره ونواهيه وما يسخنه وما يرضيه، وهي حالة مؤسسة على العلم والعقل، ومن ثم فهي أشمل وأعم مما يسمى بحلقات الذكر أو مجالس الدعاء.

رسولاً^(٢٢)، ومن الذكر عن النسيان قوله: ﴿إِنِّي نَسِيَتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَانِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَه﴾^(٢٣)، ومن الذكر بالقلب واللسان معا قوله تعالى: ﴿فَإِذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرَكُمْ أَبَاءُكُمْ أَوْ أَشَدُ ذِكْرًا﴾^(٢٤)، وقوله: ﴿فَإِذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمُشْعَرِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُم﴾^(٢٥)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾^(٢٦)، أي: من بعد الكتاب المتقدم.

وقوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾^(٢٧)، أي: لم يكن شيئاً موجوداً بذاته، وإن كان موجوداً في علم الله تعالى. وقوله: ﴿أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَلْبٍ﴾^(٢٨)، أي: أولاً يذكر الجاحد للبعث أول خلقه، فيستدل بذلك على إعادته، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَحِيِّهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوْلَى مَرَّةً﴾^(٢٩)، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُه﴾^(٣٠)، وقوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَر﴾^(٣١)، أي: ذكر الله لعبد أكبَر من ذكر العبد له، وذلك حثّ على الإكثار من ذكره.

قال تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرٌةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرِعُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾^(٣٩).

آليات المعرفة:

يجب أمير المؤمنين على هذا السؤال بأنهم: عباد ناجاهم في فكرهم، وكلّهم في ذات عقولهم. إنها - إذن - معرفة عقلية متعددة ومتواصلة وليس معرفة تجريبية كما أنها ليست مستلهمة من عالم المثالية والخيال.

والذكر - أيضاً - (معرفة) تتکفل العناية والإرشاد الإلهي بتحديد مناهجها، وليس دراسة حرة يختارها الإنسان حسب رغباته وسلم أولوياته، فربما اتجه الإنسان إلى طلب نوع من المعرفة وأمضى فيه وقتاً طويلاً من عمره من دون أن يستفيد من هذا العلم بالدرجة التي تتناسب مع الوقت الذي أمضاه في تحصيله. الأمر - إذن - كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ

والذكر علم فاعل ونشط يبدأ من العقل ويمتد ليشمل القلب ويقود جوارح الإنسان ويشحد إرادته في مسيره نحو الله. الذكر معرفة إحاطة وهو أرقى أنواع المعرفة التي تبدأ من الأرض وترتفع إلى السماء ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٤٠)، ﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تَعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤١).

ولأن الذكر هو عكس الغفلة، وهو معرفة راسخة في القلب تقترن بالعمل وهو الإيمان الصحيح عكس ما يفعل المنافقون الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، ومن ثم لا تتطابق أفعالهم مع أقوالهم؛ لأن إيمانهم يسكن على أطراف ألسنتهم ولم يستقر يوماً ما داخل قلوبهم، بل إن قلوبهم تنكر ما تنطق به ألسنتهم (فَمَنِ الْأَيْمَانُ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًا فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ)^(٤٢).

ما تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ^(٤١). يقول العلامة الطاطبائي في تفسير الميزان: (تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كتم توعدون)، إخبار عما سيستقبلهم به الملائكة من تقوية قلوبهم وتطيب نفوسهم والبشرى بالكرامة، فالملائكة يؤمنونهم من الخوف والحزن.

والخوف إنما يكون من مكروه متوقع كالعذاب الذي يخافونه والحرمان من الجنة الذي يخشونه، والحزن إنما يكون من مكروه واقع وشر لازم كالسيئات التي يحزنون من اكتسابها والخيرات التي يحزنون لفوتها عنهم، فيطيب الملائكة أنفسهم أنهم في أمن من أن يخافوا شيئاً أو يحزنوا لشيء فالذنب مغفورة لهم والعذاب مصروف عنهم.

ثم يبشرونهم بالجنة الموعودة بقولهم: **﴿وَأَبْشِرُوهُمْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كَتَمْ تَوْعِدُونَ﴾** وفي قولهم: (كتم توعدون) دلالة على أن تنزفهم بهذه البشرى عليهم إنما

آمُنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلَيَاوْهُمُ الظَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٤٠).

فالله تبارك وتعالى يصنع أولياءه على عينه ويرعاهم بإرشاده وتسديده وهدايته كما يرعى الوالد الشقيق ولده ويهتم بتعليمه ما يعينه على التقدم والرقي فضلاً عن مواجهة أعباء الحياة وتکاليفها.

و قبل أن نسترسل في بيان طبيعة هذه المعرفة التي يلقاها الله في عقول الذاكرين وفكيرهم، لا بد أن نطرح سؤالاً ونجيب عليه، وهو عن إمكانية التواصل المباشر بين الخالق والمخلوق وهل هو وحي يوحى؟.

الجواب عن ذلك فيما ذكرناه سابقاً في آية سورة البقرة (آية ٢٥٧) وهو أيضاً في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلَيَاوْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا**

الله، وأما الملائكة الحرس وموكلو الأرزاق والآجال وغيرهم فمشتركون بين المؤمن والكافر.

ومعنى الذي ذكره العلامة الطباطبائي هو أن الخطاب الموجه من الملائكة لأولياء الله يكون عند موتهم وانتقالهم من الحياة الدنيا إلى العالم الآخر، حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

إلا أن الآية التالية تكشف عن أن هذه الولاية والوساطة بين الله وأوليائه لم تبدأ لحظة الموت، بل هي امتداد لعلاقة سابقة قائمة بين ملائكة التسديد المخصوصين بأهل ولاية الله وهؤلاء الأولياء. ومن ثم فالحوار بين الملائكة وأهل الولاية يبدأ من اللحظة التي يتعلق فيها الإنسان بحبل ولاية الله. وفي مقابل هذا التواصل القائم بين الله تبارك وتعالى وأوليائه عبر ملائكة التسديد والإرشاد فهناك تواصل مضاد بين الشيطان وحزبه: **﴿وَقَيْضَنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَرِيَّنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾**

هو بعد الحياة الدنيا. وقوله تعالى: **﴿نَحْنُ أُولَياؤكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾** إلخ من تتمة البشارة، وعلى هذا فذكر ولايتهم لهم في الحياة الدنيا مع انقضاء وقتها - كما تقدم - من باب التوطئة والتمهيد إلى ذكر الآخرة؛ للإشارة إلى أن ولاية الآخرة مترتبة على ولاية الدنيا فكأنه قيل: نحن أولياؤكم في الآخرة كما كنا - لما كنا - أولياءكم في الحياة الدنيا، وستنولى أمركم بعد هذا كما تولينا قبل.

وكون الملائكة أولياء لهم لا ينافي كونه تعالى هو الولي؛ لأنهم وسائل الرحمة والكرامة ليس لهم من الأمر شيء، ولعل ذكر ولايتهم لهم في الآية دون ولايته تعالى للمقابلة والممايسة بين أوليائه تعالى وأعدائه، إذ قال في حق أعدائه: **﴿وَقَيْضَنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾** إلخ وقال في حق أوليائه عن لسان ملائكته: **﴿نَحْنُ أُولَياؤكُمْ﴾**.

وبالمقابلة يستفاد أن المراد ولايتهم لهم بالتسديد والتأييد فإن الملائكة المسددين هم المخصوصون بأهل ولاية

نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالدَّيْنِ إِذَا يَدْعُكَ
بِرُوحِ الْقُدْسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ
وَكَهْلًا وَإِذَا عَلَمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذَا تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ
كَهْيَةً الطَّيْرَ يَأْذِنِي فَتَفْخُّحُ فِيهَا فَتَكُونُ
طَيْرًا يَأْذِنِي وَبَنِيرُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
يَأْذِنِي وَإِذَا تُخْرُجُ الْمَوْتَى يَأْذِنِي وَإِذَا
كَفَقْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جَهَّمُ
بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّ
هَذَا إِلَّا سُحْرٌ مُّبِينٌ^(٤٥)، **هُوَ الَّذِي**
بَعَثَ فِي الْأَمْمَيْنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيَعْلَمُهُمْ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ
لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ^(٤٦).

إنها دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام لربه أن يرسل إلى أمهه رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون. والحكمة أيضا هي منحة منحها الله تبارك وتعالى لنبيه عيسى عليه السلام وبقية أنبياء الله العظام. لقد استجاب الله تبارك وتعالى لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ببعث محمد صلى الله عليه وسلم

مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا
خَاسِرِينَ^(٤٢).

فعلاقة الولاية بين الله تبارك وتعالى وأوليائه لا تبدأ لحظة الموت، بل تبدأ لحظة التعلق والارتباط بين الله وأوليائه بالولاية، فهي حبل الله المتيقن وصراطه المستقيم وهي السبب المتصل بين الأرض والسماء. ولا عجب ولا غرابة - إذن - أن يتولى الله أولياءه بحفظه ورعايته وإرشاده أفراداً كانوا أم جماعات فهو سبحانه **وَلِيُ الدِّينِ** آمنوا **يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**^(٤٣).

مدرسة الحكمة

امتلاء القرآن الكريم بالأيات التي تشرح وتحدد مهمة الرسل والأنبياء وهي تهدف إلى رفع شأن البشرية وتزكيتها وتعليمها الكتاب والحكمة، **رَبَّنَا وَابَعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيَعْلَمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيْهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**^(٤٤)، **إِذَا قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ**

على القيام به غيرهم !!) يعني إقراراً ضمنياً بوجود ما يحتاج إلى تصحيح، وما يحمل بذور التناقض مع الصحيح، ومن ثمَّ يصبح التساؤل منطقياً عن مدى انطباق كلمة (حكمة) على مجموع ما في هذه الكتب رغم قناعتنا بأنَّ صحيح هذه الكتب يندرج في إطار الكتاب والحكمة.

إنَّ الحكمة هي منة من الله يهبها للأصفياء من عباده: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكِرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٤٧).

معنى الحكمة:

الحكمة كما يقول الراغب الأصفهاني: إصابة الحق بالعلم والعقل. وحكمة الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، أما الحكمة الإنسانية فهي معرفة الموجودات و فعل الخيرات، وهذا هو الذي وصف به لقمان في قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لِقَمَانَ الْحِكْمَةَ﴾^(٤٨)، ونبه على جملتها بما وصفه بها، فإذا قيل: إنَّ الله تعالى

إلى العرب الأميين ليعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويظهرهم.

ومن البديهي أنَّ حرف الواو يعني العطف والمغايرة، وأنَّ عطف الكتاب على الحكمة يعني أنَّ الأمر لا يتعلّق بظاهر النص التشريعي الموجود بالفعل في كتاب الله، والذي يقرأه كل من يعرف اللغة العربية سواء أفهمه أم لم يفهمه.

والسنة النبوية كما يفهمها كثير من المسلمين هي نص شرعي مكمل للقرآن الكريم ولسنا هنا في موارد مناقشة مفهوم السنة السائد لدى من يسمون أنفسهم بأهل السنة ولا طريقة جمعها، ولكننا نؤكد أنَّ كلمة الحكمة لا يقصد بها تلك التي يسمونها سنة والتي جُمعت بعد أكثر من قرنين من رحيل نبينا الأكرم محمد صلوات الله عليه عن هذه الدنيا في كتب سميت بعد ذلك بالصحاح، وأسبغ عليها هالة من القدسية تقارب قدسيّة كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

المهم أنَّ إقرار القوم بأنَّ كتب السنة تحتاج إلى تمحیص وتدقيق (لا يقدر

المختصة بالأنباء أو من الحكم قوله عز وجل: ﴿آيات محكمات هن أُم الكتاب وأخر متشابهات﴾^(٥٤)، فالمحكم ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى.

الحكمة والفلسفة:

أما الدكتور مصطفى عبد الرزاق فيقول: (لا يفوتنا أن نشير إلى أن فلاسفة الإسلام استعملوا إلى جانب كلمة (فلسفة) اليونانية وما اشتقت عنها كلمة (حكمة) العربية وما أخذ عنها فقالوا: حكمة وحكيم وعلوم حكمية)^(٥٥).

وينقل عن الفارابي: (لما كانت الفلسفة إنما تحصل بجودة التمييز، وجودة التمييز إنما تحصل بقوّة الذهن على إدراك الصواب، كانت قوّة الذهن حاصلة لنا قبل جميع هذا وقوّة الذهن تحصل متى كانت لنا قوّة نقف بها على الحق أنه حق يقين فتعتقدده، وبها نقف على الباطل أنه باطل بيقين فجتنبه، ونقف على الباطل الشبيه بالحق فلا نغلط فيه، ونقف على ما هو

حكيم، فمعناه بخلاف معناه إذا وصف به غيره، ومن هذا الوجه قال تعالى: ﴿أَلِيسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾^(٤٩)، وإذا وصف به القرآن فلتضمنه الحكمة، نحو: ﴿أَلَرْ تَلَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾^(٥٠)، وعلى ذلك قال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مَزْدَجْرٌ... حِكْمَةٌ بِالْغَةِ﴾^(٥١)، وقيل: معنى الحكيم المحكم نحو: ﴿أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ﴾^(٥٢)، وكلاهما صحيح، فإنه محكم ومفید للحكم، ففيه المعنيان جمیعاً، والحكم أعم من الحكمة، فكل حكمة حكم، وليس كل حكم حكمة، فإن الحكم أن يقضى بشيء على شيء، فيقول: هو كذلك أو ليس كذلك، قال ﷺ: (إن من الشعر لحكمة)، أي: قضية صادقة، وقال ﷺ: (الصمت حكم وقليل فاعله)، وقيل: فهم حقائق القرآن، وذلك إشارة إلى أبعاضها التي تختص بأولي العزم من الرسل، ويكون سائر الأنبياء تبعاً لهم في ذلك قوله عز وجل: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾^(٥٣)، فمن الحكمة

أما الشيخ يوسف القرضاوي فينقل عن المفسرين معنى الحكمة فيقول: اختلف مفسرو السلف في معنى الحكمة في هذه الآيات فروى ابن جرير عن ابن وهب قال: قلت لمالك: ما الحكمة؟، قال: المعرفة بالدين والفقه في الدين والاتّباع له، وروى ابن جرير عن قتادة: أن الحكمة هي السنة، وعن ابن وهب: الحكمة هي الدين الذي لا يعرفونه إلا رسول الله ﷺ يعلمهم إياها والحكمة هي العقل في الدين.

وينقل عن صاحب تفسير المنار في معنى (ويعلمكم الكتاب والحكمة) أي: الكتاب الإلهي أو الكتابة التي يخرجون بها من ظلمة الأمية والجهل إلى نور الحضارة والعلم. أما الحكمة فهي العلم المقتنٌ بأسرار الأحكام ومنافعها الباخت على العمل بها، وفسرها بعضهم بالسنة وهو غلط فإنها أي (الحكمة) أطلقت على بعض نصوص الكتاب كالعقائد والفضائل والأحكام الإيجابية والسلبية بدليل

حق في ذاته وقد أشبه الباطل فلا نغلط فيه ولا نخدع، والصناعة التي بها تستفيد هذه القوة تسمى صناعة المنطق^(٥٦).

وينقل الدكتور عبد الرزاق عن ابن سينا المتوفى (٤٢٨ هـ) تعريفه للحكمة في «رسالة الطبيعيات»: (الحكمة استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية، فالحكمة المتعلقة بالأمور التي لنا أن نعلمهها وليس لنا أن نعمل بها تسمى حكمة نظرية، والحكمة المتعلقة بالأمور التي لنا أن نعلمهها ونعمل بها تسمى حكمة عملية، وكل واحدة من هاتين الحكمتين تنحصر في أقسام ثلاثة: فأقسام الحكمة العملية: حكمة مدنية، وحكمة منزلية، وحكمة خلقية. ومبدأ هذه الثلاثة مستفاد من جهة الشريعة الإلهية وكمالات حدودها تستبين بها وتتصرف فيها بعد ذلك القوة النظرية في البشر بمعرفة القوانين واستعمالها في الجزيئات^(٥٧).

وَمَنْ عَلَيْهِ، وَفِي تَفْسِيرِ قُولَهُ تَعَالَى:
 ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾، قَالَ الأَسْتَاذُ
 إِعْطَاوْهُ آلتَهَا -الْعُقْلُ- كَامِلَةً مَعَ تَوْفِيقِهِ
 لِحَسْنِ اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الْآلَةِ فِي تَحْصِيلِ
 الْعُلُومِ الصَّحِيحَةِ، فَالْعُقْلُ هُوَ الْمِيزَانُ
 الَّذِي تَوَزَّنُ بِهِ الْخَوَاطِرُ وَالْمَدْرَكَاتُ،
 وَيُمِيزُ بَيْنَ أَنْوَاعِ التَّصْوِيرَاتِ
 وَالْتَّصْدِيقَاتِ، فَمَتَى رَجَحَتْ فِيهِ كَفَةُ
 الْحَقَائِقِ طَاشَتْ كَفَةُ الْأَوْهَامِ وَسَهَلَ
 التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْوُسُوْسَةِ وَالْإِلَهَامِ^(١١).

وَقَدْ اسْتَوْفَقْنِي أَوْلًا مَا نَقْلَهُ أَوْ مَا أَقْرَرَ
 بِهِ الشَّيْخُ الْقَرْضَاوِيُّ مِنْ أَنَّ الْحِكْمَةَ هِيَ
 هَبَةٌ وَنِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ يُؤْتِيَهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عَبَادِهِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ لِيْسَ كُلُّ مَنْ سَعَى
 فِي تَحْصِيلِ الْعُلُومِ وَالْفَقْهِ صَارَ مِنَ
 الْحَكَمَاءِ، أَيْ لِيْسَ كُلُّ فَقِيهٍ حَكِيمًا.
 فَالْحِكْمَةُ هِيَ مِنْهُ وَهَدِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ تَبارَكَ
 وَتَعَالَى لِمَنْ يَسْتَحْقُهَا مِنْ عَبَادِهِ (فَمَا
 كُلُّ ذِي قَلْبٍ بَلِّيبٍ وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ
 بِسَمِيعٍ وَلَا كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ)^(٦٢).
 كَمَّا أَنَّهُ قَدْ أَقْرَرَ بِأَنَّ إِدْرَاكَ الْحِكْمَةِ لَا
 يَتَحَقَّقُ بِمَجْرِدِ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْكِتَابِ
 وَالسُّنَّةِ كَمَا يَقُولُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ،

قُولَهُ تَعَالَى بَعْدَ الْوَصَايَا الْمَقْرُونَةِ بِعَلْلِ
 الْأَمْرِ وَالنَّهِيِّ مِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿ذَلِكَ
 مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا
 تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَلْقَى فِي جَهَنَّمَ
 مَلُومًا مَدْحُورًا﴾^(٥٨).

ثُمَّ يَقُولُ: وَالْحِكْمَةُ يَرَادُ بِهَا حَسْنُ
 الْفَهْمِ لِلْكِتَبِ وَالْتَّفْقِهِ فِي أَحْكَامِهَا
 بِحِيثُ يَعْرُفُ مَقَاصِدُهَا وَأَسْرَارُهَا، وَلَا
 يَقْفَعُ عِنْدَ ظَواهِرِهَا، وَيَعْرُفُ مَا وَرَاءَ
 أَحْكَامِهَا وَتَوْجِيهَاهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ
 الْجَامِعَةِ لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَسَعَادَةِ
 الْفَرْدِ وَالْمَجَمِعِ بِحِيثُ يَدْفَعُ هَذَا الْفَقْهُ
 الْمَنْشُودُ إِلَى حَسْنِ الْعَمَلِ بِهَا وَوَضْعِهَا
 فِي مَوْضِعِهَا الْمَلَائِمِ.

وَهَذِهِ الْحِكْمَةُ هَبَةٌ وَنِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ
 يُؤْتِيَهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عَبَادِهِ كَمَا قَالَ
 تَعَالَى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٥٩)،
 وَقَدْ يَعْبُرُ عَنْ هَذَا الْإِيَّاتِ الْإِلَهِيِّ بِالْإِنْزَالِ
 كَمَا فِي قُولَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلِمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ
 تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(٦٠)،
 فَلِيْسَ الْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ بِهَا
 جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَالْقُرْآنِ بِلَأَلْهَمَ بِهَا رَسُولَهُ

والحكماء الإلهيون (رجال الله) هم قادة المستقبل الذين سيخلص الله بهم هذه الأمة من أمراضها وعللها التي أقعدتها عن المسير وجعلتها في ذيل الأمم، فكأس الحكم الذي تسقيهم إياه يد العناية الإلهية هو وحده القادر على شفاء الأمة من عللها وبلايابها الأخلاقية والفكرية، وفكيرهم هو فكر النهضة الذي يشحد عزائم الرجال ويهدى بهم سوي الصراط ثُمَّ (يَسْحَدُنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْدَ الْقَيْنِ النَّصْلَ^(٦٣) تُجْلِي بِالتَّزْرِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَيُعْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ)^(٦٤).

دعك - إذاً - من تخبط من يزعمون امتلاك الفهم الشامل الكامل للإسلام، وادعائهم الواهي بالقدرة على تخلص الأمة مما هي فيه وتصحيح مسارها، وهم أبعد ما يكونون عن مدرسة الحكم الإلهية، ناهيك عن أنهم لا يقررون بوجودها من الأساس !!

وليس غريباً - إذاً - أن نكمل الحديث عن الحكماء والحكماء مستضيئين بتلك

فالحكمة الإلهية ليست علمًا مستقلًا أو قائماً بذاته، بل هي طريقة في إدارة العلم والمعرفة تتيح للعقل استيعاب الحد الأقصى من العلم (معرفة واسعة)، وهي أيضاً أسلوب حكيم في التعامل والتعاطي مع الحقائق الكونية والدينية سواءً أكانت نصاً سماوياً متولاً أم خبرات تاريخية متراكمة أو رؤى مستقبلية توجب التصرف بأسلوب يوازن بين وقائع التاريخ والواقع المعاصر في إطار أخلاقي يحقق الأهداف العليا للدين، وهي ميزة يحتاج إليها قادة الأمة الحقيقيون وليس المزيفون؛ من أجل القيام بواجبهم الإلهي، أي أنها (معرفة درامية) وليس مجرد معرفة سرد ورواية).

والحكماء الإلهيون (رجال الله) يشكلون فريق عمل موحد ومتجانس حتى وإن تباعدت بينهم الأزمان والأماكن؛ كونهم يديرون بالولاء لقائد رباني واحد بدءاً ببنينا محمد صلوات الله عليه وسلم ومروراً بأئمة أهل البيت عليهم السلام واحداً بعد واحد.

علي بن أبي طالب و الفلسفة الإلهية:
يقول العلامة الطباطبائي: بعث
الرسول ﷺ في عصر سماه القرآن
بالجاهلية، وكان عامة العرب آنذاك
أميّن لا يقرءون ولا يكتبون، ولم يكن
فيهم أثر للعلم والثقافة، وليس لديهم
شيء من المدنية، بل كانت حياتهم
فوضى وهمجية، وأمة هذا حالها تكون
مرتعاً خصباً للجاهلية العميماء التي هي
السم الناقع للفلسفة الإلهية؛ لأن
العصبية تذهب باستعداد النفس لتقبل
الحق. ومن الصعب جداً أن يتّهيأ لأمة
هذه حالها ظرف صالح يخرجها من
ظلمة الجهلة وينفي عنها رذائل الأعمال
المهلكة ويعوضها عنها بالأعمال الصالحة
(أولاً)، ويلهمها الحكمة والموعظة
الحسنة (ثانياً)، ليتّهي بها الأمر إلى
الفلسفة الإلهية، وعند ذلك يتم الكمال
الإنساني وتلتقي سعادة الدنيا بسعادة
الآخرة وإن إلى ربكم المنتهي.

وإذا تبع الباحث الناقد ما وصل إلينا
من أخبار تفصّل لنا أحوال صحابة
النبي ﷺ وتحكي أقوالهم، يرى هذه

الرواية الواردة عن رسول الله ﷺ
التي رواها الترمذى وغيره، فقد روى
الترمذى ٣٦٥٧: حدثنا إسماعيل بن
موسى حدثنا محمد بن عمر بن الرومي
حدثنا شريك عن سلمة بن كهيل عن
سويد بن غفلة عن الصنابحي عن علي
-رضي الله عنه- قال: قال رسول
الله ﷺ: أنا دار الحكمـة وعليـ بابـها.
لذا فالحكمة الإلهية لها نوع واحد
ومنهج واحد، حيث لا يمكن للحكيمـ
الربانـي المتـخرج من مدرـسة أـهلـ
البيـتـ أنـ يـنـاقـضـ أـقـرـانـهـ خـرـيجـيـ
المـدـرـسـةـ نـفـسـهـاـ. وـمـنـ هـنـاـ فـالـآـيـاتـ
الـقـرـآنـيـةـ تـؤـكـدـ أـنـ الحـكـمـةـ هـيـ منـحـةـ
وـهـبـةـ يـمـنـحـهـاـ اللـهـ لـمـنـ يـشـاءـ مـنـ عـبـادـهـ
وـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـكـوـنـ وـسـامـاـ يـتـبـادـلـهـ
الـأـدـعـيـاءـ فـيـمـاـ بـيـنـهـمـ.

يلتقي ويرتقي معه إلى أن يصل إلى أوج مرتفاه حتى غدا في كل موقف كأن كلامه السائر وحده في مراقي الحقيقة لا يشق له غبار ولا تناه الأوهام والأفكار. ولا يعني بذلك توحد كلامه في بلاغته بل يعني به كلامه الذي يزخر بالمعارف الحقيقة والفلسفة الإلهية^(٦٥). الحكمة والفلسفة الإلهية - إذاً - هي منحة ربانية، ولا قيمة ولا معنى لتوافق الأدعية على منح هذا المقام كما تمنح الرتب والنياشين والجوائز لأناس لم يكن لهم من ميزة سوى إعراضهم وتجاهلهم لحكيم الأمم الأول وعالمها الرباني علي بن أبي طالب عليه السلام بدعوى أن (أمرهم شوري بينهم)، وهم لا يمانعون بعد ذلك أن يستشهدوا بآيات القرآن التي تؤكد أن الحكمة هي عطاء واصطفاء و اختيار إلهي ولا يمكن لأحد اكتسابها بمحض إرادته!!!. ونريد أن نسمع منهم إجابة واضحة: هل الحكمة محض اكتساب؟؟!! أم هي منحة إلهية كما قال سبحانه (يؤتي الحكمة من يشاء)؟!.

الحقيقة التي أشرنا إليها رأي العين، فإن أغلب هذه الأخبار قد تضمنت عرضاً لأعمالهم الصالحة التي يبدو منها اتباعهم للسنة النبوية، أو تتضمن أحاديثاً ترتبط بالدعوة الدينية وشئونها، وقليل من هذه الأخبار يشتمل على الحكمة والموعظة الحسنة وتعاليم الدين، وأما ما يشير منها إلى معرفة حقيقة ويرمز إلى فلسفة إلهية تأخذ الألباب وتشد القلوب وترتبطها بسرادق العزة والكربياء وساحة العز والبهاء فهو شاذ ونادر، والحديث الذي يتعرض لهذا لا يتجاوز عدد أصابع اليد، وليس فيما ورثناه من كلام في المعرفة إلا أخبار التجسيم والتشبيه أو التزييف وبعض المعرف الساذجة البسيطة، مع أن عدد من ترجم لهم من الصحابة يبلغ اثنى عشر ألفاً ولم تأتِ الأمة في النقل عنهم وإحصاء أقوالهم ورواياتهم.

لكتنا نجد كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يفيض بالمعارف الحقيقة، وتحار فيه النفس والوالهة الخائضة في الفلسفة الإلهية، ونجد أن الفكر الإنساني

والذي نوّقنا به أن مهمّة الرسّل والأنبئاء ليست مهمّة عشوائية تقتصر على الإنذار والبلاغ، وأن دورهم ووظيفتهم لا يمكن أن يغفل عن مهمّة تربية الأمة وحفظ كيانها من خلال غرس تلك الأعمدة ونصب تلك الأوتاد التي تمنّح الأمة عموداً فقرياً وتجعل كيانها كياناً شامخاً صلباً لا تزعزعه الأعاصير والرياح ولا يتلاعّب بها رموز الفتنة وتجار الفتن والأهواء... رجال الشيطان.

ولأنّ الحكمة هي نقىض السفه؛ والحكماء هم نقىض السفهاء يشير القرآن الكريم إلى الدور الهام والخطير الذي يؤديه السفهاء في تدمير أي أمة أسلمت قيادها لهم فيقول عز من قائل: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتَنَا فَلَمَّا أَخْذَتْهُمُ الرَّجْفَةَ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِّنْ قَبْلٍ وَإِيَّايَ أَتَهْلَكْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مَنَا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضْلِلُ بَهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾^(٦٧).

أما إذا كانت منحة إلهية وهي كذلك بالفعل ولا يمكن أن تكون غير ذلك وهي في آل الأنبياء عامة وآل إبراهيم وآل محمد خاصة ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُّلْكًا عَظِيمًا﴾^(٦٦).

وظيفة الأنبياء:

يمكّنا أن نزعم بعد هذا الشرح أن وظيفة الأنبياء هي تلاوة الكتاب أي تعريف الناس بالدين، ودعوتهم للالتزام بأحكامه الظاهرة، وتركيّة الأمة وتطهيرها ودفعها نحو الترقى، وهو الأمر الذي يتحقق عندما يلتزم المؤمنون بأحكام الدين وقواعده من فعل للحلال وترك للحرام.

أما مهمّة تعليمهم الحكمة فتهدّف لتأسيس تلك النواة الصلبة (رجال الله) أي الصفوّة القادرة على قيادة الأمة والأخذ بيدها سيراً على الصراط المستقيم وصولاً إلى تحقيق مرضاه الله في الدنيا والآخرة.

استشعاراً لمسؤوليتهم في حفظ الدين والدفاع عن المؤمنين بما يرضي الله عز وجل ويتحقق العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. وربما كان هذا القرار (الحكم) تضحية بأغلى وأعز ما يملكه الإنسان وهي النفس أو المال أو الوسائل الاجتماعية التي يحرص كل إنسان على الاستفادة منها.

وما زال المسلمون حتى هذه اللحظة - وبفضل هؤلاء السفهاء - منقسمون في رؤيتهم لثورة الإمام الحسين بن علي عليه السلام التي ضحى فيها بنفسه وولده حفاظاً على الشرع والدين رغم أن هذه الحركة الحسينية المضحية قد حفظت للأمة معالم دينها ومكنت السائرين على درب الإمام الحسين من التمييز بين الحق والباطل والحقيقة والزيف. ورغم أن الإمام الحسن بن علي عليه السلام قد تصرف بطريقة تبدو ظاهرياً وكأنها في الاتجاه المضاد؛ لأنَّه اختار أن يسلم الخلافة الدنيوية لابن آكلة الأكباد، إلا أن المضمون والهدف الذي سعى الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام لتحقيقه

ومن المعلوم أنَّ بني إسرائيل قد خالفوا أمرَّنبي الله موسى عليه السلام الذي ألزمهم بطاعة وصيه وخليفته على قومه هارون عليه السلام فكان أن وقعوا في هاوية عبادة العجل وكان أن استحقوا جميعهم العقاب بمن فيهم تلك النخبة التي اختارها موسى وذهب معهم لقاء ربه. الحكمة - إذَا - ليست مجموعة من المعرفة النظرية والاصطلاحات الفلسفية التي يهوم بها (الفلسفه والعرفاء)، فالحكماء وحدهم هم من يملكون القدرة والمعرفة التي تؤهلهم للحكم بما أنزل الله؛ إذ إن كل حكمة حكم وليس كل حكم حكمة، وما أكثر الأحكام الطائشة والفاشدة التي يطلقها السفهاء المتسرِّبون بلبوس الفقهاء، المتمسحون بمسوح علماء الدين والشريعة، وهي لا تعدو كونها حكم الهوى والشيطان.

الحكمة هي امتلاك الرؤية الثاقبة والنظرة الفاحصة التي تمكَّن صاحبها من اتخاذ القرار الصحيح في إطار الظروف الموضوعية التي يعيشها حكماء الأمة

على اقتناص الحكمـة وتعلـمها، وأنـها ضـالة المؤمنـ التي يـنشـدـها ويـبـحـثـ عنها ويـطـارـدـها فيـ كلـ مـكـانـ، علىـ عـكـسـ السـفـهـاءـ الـذـينـ ضـلـلـ سـعـيـهمـ فيـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ وـهـمـ يـحـسـبـونـ أـنـهـمـ يـحـسـنـونـ صـنـعـاـ فـ(الـحـكـمـةـ ضـالـةـ الـمـؤـمـنـ، فـخـدـ الـحـكـمـةـ وـلـوـ مـنـ أـهـلـ النـفـاقـ) (٦٩).

وـهـوـ يـوصـيـ المؤـمـنـينـ بـالـأـ يـضـيـعـواـ كـنـوزـ الـحـكـمـةـ مـنـ بـيـنـ أـيـدـيـهـمـ فـيـقـولـ عـلـيـهـ:ـ (خـذـ الـحـكـمـةـ أـنـىـ كـانـتـ، فـإـنـ الـحـكـمـةـ تـكـوـنـ فـيـ صـدـرـ الـمـنـافـقـ فـتـلـجـلـجـ فـيـ صـدـرـهـ حـتـىـ تـخـرـجـ فـتـسـكـنـ إـلـىـ صـوـاحـبـهـاـ فـيـ صـدـرـ الـمـؤـمـنـ) (٧٠).

وـهـوـ يـصـفـ رـحـلـةـ رـجـالـ اللـهـ فـيـ طـلـبـ الـعـلـمـ وـالـحـكـمـ وـأـنـهاـ غـايـتـهـمـ التـيـ لـاـ يـبـغـونـ عنـهـاـ حـوـلـاـ:ـ (قـدـ لـبـسـ لـلـحـكـمـةـ جـنـتـهـاـ، وـأـخـذـهـاـ بـجـمـيعـ أـدـبـهـاـ، مـنـ الـإـقـبـالـ عـلـيـهـاـ وـالـمـعـرـفـةـ بـهـاـ وـالـتـفـرـغـ لـهـاـ فـهـيـ عـنـدـ نـفـسـهـ ضـالـتـهـ التـيـ يـطـلـبـهـاـ، وـحـاجـتـهـ التـيـ يـسـأـلـ عـنـهـاـ، فـهـوـ مـغـرـبـ إـذـ اغـتـرـبـ إـلـاسـلـامـ، وـضـرـبـ بـعـسـيـبـ ذـنـبـهـ) (٧١).

وـاحـدـ وـهـوـ حـفـظـ الدـيـنـ وـمـاـ تـبـقـىـ مـنـ الـمـؤـمـنـينـ.

وـفـيـ المـقـابـلـ وـاـسـتـمـراـرـاـ لـنـهـجـ السـفـاهـةـ التـارـيـخـيـ (سـيـقـولـ السـفـهـاءـ مـنـ النـاسـ)،ـ فإنـ هـؤـلـاءـ السـفـهـاءـ لـاـ وـظـيـفـةـ لـهـمـ إـلـاـ تـسـفـيـهـ حـكـمـاءـ الـأـمـةـ وـرـجـالـ اللـهـ،ـ وـالتـشـوـيـشـ عـلـيـهـمـ وـقـلـبـ الـحـقـائـقـ،ـ مـعـتـبـرـينـ نـهـجـ الـطـغـاةـ السـفـهـاءـ هـوـ الـمـسـارـ الـطـبـيـعـيـ،ـ وـهـوـ (مـنـطـقـ الـحـكـمـةـ)ـ الـذـيـ لـاـ يـجـوزـ الـخـروـجـ عـلـيـهـ وـلـاـ اـعـتـرـاضـهـ.ـ تـمـاماـ كـمـاـ قـالـ اللـهـ تـبارـكـ وـتـعـالـىـ:ـ (وـإـذـا قـيلـ لـهـمـ آمـنـواـ كـمـاـ آمـنـ النـاسـ قـالـوـاـ أـنـوـمـنـ كـمـاـ آمـنـ السـفـهـاءـ لـاـ إـنـهـمـ هـمـ السـفـهـاءـ وـلـكـنـ لـاـ يـعـلـمـوـنـ * وـإـذـا لـقـواـ الـذـينـ آمـنـواـ قـالـوـاـ آمـنـاـ وـإـذـا خـلـلـوـ إـلـىـ شـيـاطـيـنـهـمـ قـالـوـاـ إـنـاـ مـعـكـمـ إـنـمـاـ نـحـنـ مـسـتـهـزـئـوـنـ * اللـهـ يـسـتـهـزـئـ بـهـمـ وـيـمـدـهـمـ فـيـ طـغـيـانـهـمـ يـعـمـهـوـنـ * أـوـلـيـكـ الـذـينـ اـشـتـرـوـاـ الـضـلـالـةـ بـالـهـدـىـ فـمـاـ رـبـحـ تـجـارـتـهـمـ وـمـاـ كـانـوـاـ مـهـتـدـيـنـ) (٧٢).

لـذـاـ إـنـ المـطـلـعـ عـلـىـ كـلـمـاتـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـيـهـ وـوـصـاـيـاهـ لـلـمـسـلـمـينـ يـرـىـ بـوـضـوحـ مـدـىـ اـعـتـنـائـهـ بـحـثـ الـمـؤـمـنـينـ

ذكرها الفارابي؟!. أنس يمتلكون قدرة وحكمة وعقلاً يمكنهم من الوقوف على الحق أنه حق يقين فنعتقاده، وأن الباطل باطل يقين فنجتبه، ونقف على الباطل الشبيه بالحق فلا نغلط فيه، ونقف على ما هو حق في ذاته وقد أشبه الباطل فلا نغلط فيه ولا نخدع). هل يمكن لهذه الأمة أن تورط في المزالق والمهالك التي تورطت فيها أمّة ما زالت تزعم أنها خير أمّة أخرجت للناس رغم أنها لا تميز بين الحق والباطل، ومن ثم فهي لا تقدر على الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر؛ لأنها عاجزة عن التمييز بينهما من الأساس بفضل قيادات السوء التي تملك أمرها وتصوغ وعيها؟!.

إن ما قاله الفارابي عن الحاجة لامتلاك القدرة على التمييز بين الحقيقة والشبهة يتطابق مع ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبُهَةُ شُبُهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ فَأَمَّا أُولَاءِ اللَّهَ فَضِيَّأُوهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى وَأَمَّا أَعْدَاءُ

دور رجال الله في المجتمع المسلم إنهم كما وصفهم أمير المؤمنين: (أدلة الفلوّات (الصحابي)، ومصابيح الظلمات، ودليل المتحير بين الشبهات)؛ ولذا فهم (أعلام الهدى، ومصابيح الدجى).

هذا هو الوصف الإجمالي لهم وهذه هي ألقابهم التي يتعين تقديمها بين يدي أسمائهم.

وأما تفاصيل دورهم: فهم يذكرون بأيام الله، ويُخوّفون مقامه. منْ أَخَذَ الْقَصْدَ (أي الصراط المستقيم والنهج القوي) حَمَدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِينَ وَشَمَالًا ذَمُوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَرُوهُ مِنَ الْهَلْكَةِ.

وَيَهْتَفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقَسْطِ وَيَأْتِمُرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَنْتَاهُونَ عَنْهُ.

ماذا لو افترضنا أن أمّة من الأمم يقودها أنس يتمتعون بتلك الصفات ويمتلكون تلك القدرات والملكات التي

نَحْنُ أَمَامٌ حَكِيمٌ مُلْتَزِمٌ بِقَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ
هِيَ قَضِيَّةُ الْأَلْوَهِيَّةِ، يَدُورُ فِي فَلَكِهَا
وَيَذْبَحُ عَنْ حَرِيمِهَا وَلَا يَرْضَى بِالْجَائِزَةِ
الْكَبِيرِيَّةِ بَدْلًا، وَلَا يَغْيِي عَنْهَا حَوْلًا
فِي بَعْيَاهَا وَيَتَخَلِّي عَنْهَا مُقَابِلًا لِمَنْصَبِ فِي
قَصْرٍ أَوْ جَائِزَةٍ يَمْنَحُهَا صَاحِبُ قَصْرٍ،
وَبَعْدَ أَنْ أَقْعُدْتُهُمْ هَذِهِ الْحِكْمَةِ الإِلَهِيَّةِ
وَالْمَنْحَةِ الرَّبَّانِيَّةِ فِي (مَقَوَّمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ،
وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ)، لَيْسَ لَهُمْ مِنْ
هَمَةٍ إِلَّا أَنْ (يَنْشِرُوا دَوَّاوِينَ أَعْمَالِهِمْ
وَمَحَاسِبَةً أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ
وَكَبِيرَةٍ أَمْرُوا بِهَا فَقَصَرُوا عَنْهَا أَوْ نَهُوا
عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، فَشَجَّعوا نَشِيجًا
وَتَجَاوِبُوا نَحِيَّاً يَعْجَجُونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ
مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ).

رِجَالُ اللهِ لَا يُخْتَلِفُونَ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنْ
الْبَشَرِ الَّذِينَ يَرْغُبُونَ دَوْمًا فِي أَنْ يَحْمِدَ
سَعِيهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَرْضُونَ بِالْدُّونِ مِنْ
مَدَائِحِ أَشْبَاهِ الْبَشَرِ، وَهُمْ لَا يَفْتَشُونَ عَنْ
هَذِهِ الْمَدَائِحِ فِي عَالَمِ الزِّيفِ السَّلْفِيِّ
عَالَمِ الشَّهْرَةِ الزَّائِفَةِ وَالشَّهَادَاتِ الْمَزَوِّرَةِ،
فَهُمْ يَنَالُونَ هَذَا بِالْفَعْلِ مِنْ خَلَالِ تَوَاصِلِهِمْ
مَعَ الْعَالَمِ الْعُلُوِّيِّ، وَيَكْفِيَهُمْ فَخْرًا وَرَضَا

اللهُ فَدْعَاؤُهُمُ الضَّلَالُ، وَدَلِيلُهُمُ الْعُمَى) ^(٧٢)،
وَمِنْ ثُمَّ (فَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بَلَّيْبٍ وَلَا
كُلُّ ذِي سَمْعٍ بَسْمِعٍ وَلَا كُلُّ نَاظِرٍ
بَيْصِيرٍ) ^(٧٣)، وَمِنْ بَابِ أُولَى لِيْسَ كُلُّ
مِنْ ادْعَى الْعِلْمَ وَالْفَقْهَ بِعَالَمٍ أَوْ بِفَقْيَهِ،
وَلَا كُلُّ مِنْ تَلَبَّسَ لِبُوسَ الْحِكْمَةِ
بِحَكِيمٍ، وَلَا كُلُّ مِنْ رَفَعَ شَعَارَاتِ
الْإِصْلَاحِ صَارَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ، ﴿وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا
إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ^(٧٤).

نَحْنُ أَمَامُ حِكْمَةِ إِلَهِيَّةٍ لَيْسَ
كِحْمَكَةَ غَيْرِ الْمَتَّالِهِنِ الَّذِينَ لَا هُمْ
لَهُمْ إِلَّا إِصْلَاحٌ شَأنَ الْإِنْسَانِ فِي الْحَيَاةِ
الْدُّنْيَا وَتَحْقِيقِ الرِّفَاهِيَّةِ وَالتَّقْدِيمِ كَمَا هُوَ
شَأنُ الْكَثِيرِينَ فِي هَذَا الْعَالَمِ.

إِنَّهَا حِكْمَةٌ تَهْدِي إِلَى تَحْقِيقِ
الْسَّعَادَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الشَّامِلَةِ الْكَاملَةِ الَّتِي
تَبْدِأُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا تَكْتَمِلُ إِلَّا بِالْوُصُولِ
إِلَى سَاحَةِ الرِّضَا وَالسَّعَادَةِ الإِلَهِيَّةِ،
حِيثُ يَتَصَالِحُ الْإِنْسَانُ مَعَ الْكَوْنِ صَلْحًا
نَهَائِيًّا وَيُقْتَصِصُ لِلْمَظْلُومِ مِنْ ظَالِمِهِ، وَتَسْقَطُ
هَذِهِ الْقِيُودُ وَالْأَغْلَالُ الْدِنِيُّوِيَّةُ الزَّائِفَةُ.

مِنْهُمْ يَدْ قَارِعَةٌ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ
لَدِيْهِ الْمَنَادِحُ، وَلَا يَخِبُّ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ).
إن هذه الكلمات تكشف لنا عن سر
آخر من أسرار تسميتهم بـ رجال الله وهو
التطابق بين ما يقوله هؤلاء الحكماء وما
يفعلونه في سرهم وإعلانهم ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ *
كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ﴾^(٧٦)، إذ لا يمكن أن يكون رجال
الله من المنافقين بحال من الأحوال، ولا من
الذين يعجبك قولهم في الحياة الدنيا ويشهد
الله على ما في قلوبهم أنهم ألد الخصم.
وأخيرا وليس آخرًا، فإن رجال الله
ليسوا طلاب شهرة أو زعامة، وما
دفعهم للتصدي للشأن العام إلا قيامهم
بالواجب الملقى على عاتقهم، وخشيتهم
من عقاب الله على عدم قيامهم بهذا
الواجب. فالامر ليس شهوة تسلط ولا
رغبة في الهيمنة والتحكم؛ ولذا كانت
آخر سماتهم التي ذكرها أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام هو تشددهم في
محاسبة أنفسهم، (فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ،
فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ).

عن الذات أن تحف بهم الملائكة وتنزل
عليهم بالسكينة، وأن تقر أعينهم بعلمهم
أن أبواب السماء مفتوحة لهم حيث
أعدت لهم مقاعد الكرامات، في مقعد
اطلع الله عليهم فيه، فرضي سعيهم،
وحمد مقامهم، ﴿لَا تَحْسِنَ الَّذِينَ
يَغْرِحُونَ بِمَا أَنْوَا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحَمِّدُوا
بِمَا لَمْ يَفْعُلُوا فَلَا تَحْسِنْهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ
الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٧٥).

رجال الله (الذين أخذوا الذكر من
الدنيا بدلًا، فلم تشغلهم تجارة ولا بيع
عنه يقطعون به أيام حياتهم بينما يجري
غيرهم وراء الدرهم والدينار) من حلة
ومن غير حلة، لا يمكن أن يكونوا من
أثرياء هذه الدنيا!!!

إنهم فقراء إلى رحمة ربهم وهم
أذلاء، ولكن بين يدي ربهم وليس بين
أيدي فقراء هذه الدنيا، المصابين بوهم
الثراء، ظنا منهم أن بوسعم الاستغناء
عن واهب النعم؛ ولذا فهم لا يلجمون
إلى غيرهم ولا يطلبون من سواه، وهم
(رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأُسَارَى ذَلَّةٍ
لِعَظَمَتِهِ)، لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٍ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ

الهوامش

- (١) نهج البلاغة خطبة ٢٢١، ج ١١، ص ١٧٧.
- (٢) النور ٣٥-٣٨.
- (٣) امتحوا: استُقُوا وانزعوا الماء لري عطشك من عين صافية صفت من الكدر.
- (٤) رُوقْتْ: صُفَيْتْ.
- (٥) نهج البلاغة خطبة ١٠٤.
- (٦) سورة ص ٧١-٧٢.
- (٧) من كلمات الإمام علي ١٣٩ نهج البلاغة.
- (٨) الروم ٣٠.
- (٩) المطففين ١٤-١٦.
- (١٠) آل عمران ٧٩.
- (١١) الورقة: ثقل السمع والعشوة ضعف البصر.
- (١٢) الزخرف ٣٦-٣٧.
- (١٣) الأنعام ٣٩.
- (١٤) الجاثية ٢٣.
- (١٥) الأنبياء ١٠.
- (١٦) الأنبياء ٥٠.
- (١٧) الأنبياء ٢٤.

المصادر

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- نهج البلاغة، ج ١١، الخطبة ٢٢١.
- ٣- نهج البلاغة، الخطبة، ١٠٤.
- ٤- من كلمات الإمام علي طاشليان، نهج البلاغة، الخطبة، ١٣٩.
- ٥- نهج البلاغة، الخطبة، ١٨٩.
- ٦- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، د، مصطفى عبد الرزاق، مكتبة الأسرة ٢٠٠٧.
- ٧- العقل والعلم في القرآن الكريم، مكتبة وهب.
- ٨- نهج البلاغة، الخطبة، ٨٧.
- ٩- نهج البلاغة، الخطبة، ١٥٠.
- ١٠- علي والفلسفة للعلامة محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الثقلين، بيروت.
- ١١- حكمة، ٧٥، نهج البلاغة.
- ١٢- حكمة، ٧٤، نهج البلاغة.
- ١٣- نهج البلاغة، الخطبة، ١٨٢.
- ١٤- نهج البلاغة، الخطبة، ٣٨.
- ١٥- نهج البلاغة، الخطبة، ٨٧.

- .٣١-٣٠ (٤١) فصلت .٨ (١٨) ص.
- .٢٥ (٤٢) فصلت .١ (١٩) ص.
- .٢٥٧ (٤٣) البقرة .٤٤ (٢٠) الزخرف
- .١٢٩ (٤٤) البقرة .٤٣ (٢١) النحل
- .١١٠ (٤٥) المائدة .١٠-١١ (٢٢) الطلاق
- .٢ (٤٦) الجمعة .٦٣ (٢٣) الكهف
- .٢٦٩ (٤٧) البقرة .٢٠٠ (٢٤) البقرة
- .١٢ (٤٨) لقمان .١٩٨ (٢٥) البقرة
- .٨ (٤٩) التين .١٠٥ (٢٦) الأنبياء
- .١ (٥٠) يونس .١ (٢٧) الدهر
- .٥-٤ (٥١) القمر .٦٧ (٢٨) مريم
- .١ (٥٢) هود .٧٩ (٢٩) يس
- .٤٤ (٥٣) المائدة .٢٧ (٣٠) الروم
- .٧ (٥٤) آل عمران .٤٥ (٣١) العنكبوت
- (٥٥) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية .٤٣ (٣٢) ص
- د مصطفى عبد الرزاق. ص ٤٩، مكتبة
الأسرة. ٢٠٠٧ .٥٥ (٣٣) الذاريات
- .٥٨ (٥٦) المصدر السابق ص .٤٩ (٣٤) المدثر
- .٦١ (٥٧) المصدر السابق ص .١١ (٣٥) عبس
- .٣٩ (٥٨) الإسراء .٤٦ (٣٦) الحج
- .٢٦٩ (٥٩) البقرة .١٠١ (٣٧) يونس
- .١١٣ (٦٠) النساء .١٨٩ (٣٨) نهج البلاغة خطبة
- (٦١) العقل والعلم في القرآن الكريم، .٢٢-٢٣ (٣٩) النحل
- .٢٥٧ (٤٠) البقرة .٢٥٧ (٤٠)

مكتبة وهة ١٩٩٦. ص ٢٠١-١٩٧.

(٦٢) خطبة ٨٧ نهج البلاغة

(٦٣) شحد القين النصل: ما يقوم به
الحداد من سن لنصل السيف أي حده.

(٦٤) خطبة ١٥٠ نهج البلاغة.

(٦٥) علي والفلسفة الإلهية، العالمة
محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الثقلين،
بيروت ص ٣٣-٣٥.

(٦٦) النساء ٥٤.

(٦٧) الأعراف ١٥٥.

(٦٨) البقرة ١٣-١٦.

(٦٩) حكمة ٧٥ نهج البلاغة.

(٧٠) حكمة ٧٤ نهج البلاغة.

(٧١) خطبة ١٨٢ نهج البلاغة.

(٧٢) خطبة ٣٨ نهج البلاغة.

(٧٣) خطبة ٨٧ نهج البلاغة

(٧٤) البقرة ١١-١٢.

(٧٥) آل عمران ١٨٨.

(٧٦) الصاف ٢-١.

٦

البُعد القرآني

في كلمات

الإمام الهادي عليه السلام

أ.م.د. خولة مهدي شاكر الجراح

كلية الفقه / جامعة الكوفة

المقدمة:

بيت النبوة بداعاً بالإمام علي عليه السلام
ومروراً بفاطمة الزهراء عليها شم الحسن
والحسين عليهما السلام والأئمة التسعة من ولد
الحسين عليهما السلام مكانة أكبر ومتزلة أسمى
فاقت ما لهذا الكتاب العظيم من
المكانة والمتزلة عند غيرهم من
المسلمين، فهذا أمير المؤمنين علي
عليه السلام يقول في شأن القرآن موجهاً
أنظار المسلمين إلى أهمية هذا
الكتاب الإلهي المقدس: (الله الله
أيها الناس فيما استحفظكم من
كتاب)^(٢)، وقال أيضاً: (عليكم
بكتاب الله فإنه الجبل المتين، والنور
المبين، والشفاء النافع والري الناقع،
والعصمة للمستمسك، والنجاة
للمتعلق، لا يعوج فيقام، ولا يزيغ
فيستعبد)^(٣).

وها هو الإمام الهادي عليه السلام يركز
في العديد من فقرات حديثه على
ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم،
ففي حديثه في مسألة إبطال الجبر
والتقويض -في رسالة الذهبية التي بعثها
لأهل الأهواز رداً على فكرة (الجبر)

الحمد لله رب العالمين والصلة
والسلام على النبي الأمين محمد
وآلـه الطيبين الطاهرين. القرآن
هو المـصدر الأول للإسلام، وأقدس
كتاب لدى المسلمين، وخاتـم
الكتب السماوية، وبـه تـثبت نـبوـة
رسـول الله محمد ﷺ، وبـه تقوم
الـحجـة على النـاس جـمـيعـاً إـلـى يـوـم
الـقيـامـة بالـتزـامـ الإـسـلام دـيـنـاً؛ لأنـه
معـجزـة في كلـ وجـهـ منـ وجـوهـهـ،
وـحالـ منـ أحـوالـهـ، بدـاـيـةـ ماـ نـزـلـ مـنـهـ
كـآـخـرـ ماـ اـنـتـهـىـ إـلـيـهـ، وـوـسـطـهـ
كـطـرـفـهـ نـسـيجـ فـرـيدـ وـنـسـقـ وـاحـدـ،
وـمـسـتـوىـ شـاهـقـ. فـهـوـ كـمـاـ عـبـرـ عـنـهـ
الـإـمـامـ الرـضـاءـ عليهـ السلامـ: (إـنـهـ الـمـهـيـمـ
عـلـىـ الـكـتـبـ كـلـهـاـ، وـإـنـهـ حـقـ مـنـ
فـاتـحـتـهـ إـلـىـ خـاتـمـتـهـ، نـؤـمـنـ بـمـحـكـمـهـ
وـمـتـشـابـهـ، وـخـاصـهـ وـعـامـهـ، وـوـعـدـهـ
وـوـعـيـدـهـ، وـنـاسـخـهـ وـمـنـسـوـخـهـ، وـقـصـصـهـ
وـأـخـبـارـهـ، لـاـ يـقـدـرـ أـحـدـ مـنـ الـمـخـلـوقـينـ
أـنـ يـأـتـيـ بـمـثـلـهـ)^(٤).

إنَّ القرآن الكريم كانت له عند أهل

جاء تركيز الإمام عليه السلام على ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - فيما اختلفت فيه الأمة من نزاعات فكرية، وعقائد مذهبية، مما وافق منها الكتاب فهو حُقْ لِرِبِّهِ، وما خالفه فهو زخرف وباطل، ومن دان به فهو خارج عن ربوة الإسلام.

وهنالك لقطات فنية في كلمات الإمام عليه السلام الأخرى اشتغلت على قبسات لامعة من أصوات القرآن الكريم، وهي متعددة الروافد، سوف يوجز البحث بعضاً منها:
أولاً: إجابات الإمام عليه السلام على مسائل يحيى بن أكثم.

من أبرز كلمات الإمام الهادي عليه السلام ذات البعد القرآني ما جاء في إجاباته لقاضي القضاة يحيى بن أكثم في مسائله التي وجهها للإمام وأعدّها لامتحانه، فما كان من الإمام إلا أن نهدى للإجابة وأمر ابن السكينة أن يكتب أجوبته مع علمه

التي تبنتها الأشاعرة، والتقويض الذي قال به المعتزلة، حيث كشفت فقرات الرسالة عن مدى الاختلاف الخطير الناشئ بين المسلمين بسبب هذه المسائل - يؤكّد الإمام عليه السلام ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم بقوله: (... وقد أجمعت الأمة قاطبة، لا اختلاف بينهم: أن القرآن حُقْ لِرِبِّهِ في عند جميع أهل الفرق، وفي حال اجتماعهم مقررون بتصديق الكتاب وتحقيقه، مصيّبون، مهتدون، وذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تجتمع أمتي على ضلالٍ»، فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حُقْ، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً. والقرآن حُقْ لِرِبِّهِ في تنزيله وتصديقه، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه، وأنكر الخبر طائفه من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإذا جدت وأنكرت لزمه الخروج من الملة) ^(٤).

سلیمان علیه السلام عن معرفة ما اعرف
آصف، لكنه صلوات الله عليه
أحب أن يعرف أمتَه من الجن
والإنس أنه الحجة من بعده،
وذلك من علم سليمان أودعه عند
آصف بأمر الله، ففهمه ذلك لئلا
يختلف عليه في إمامته ودلاته،
كما فهم سليمان في حياة داود
لتعرف نبوته وإمامته من بعده،
لتأكد الحجة على الخلق^(٨).

وفي إجابة الإمام الهادي هذه
دلالة إيحائية تشير إلى إمامية أمير
المؤمنين عليه السلام، إذ إن آصف عنده
بعض علم الكتاب بدلالة (من) في
قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ
مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أما أمير المؤمنين
الإمام عليّ فعنه علم الكتاب كله،
فكم أراد سليمان أن لا يختلف
على آصف في إمامته ووصايتها،
فكذلك الرسول الأعظم فيما عهد
به إلى أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن لا
يختلف عليه في إمامته ووصايتها^(٩).

٢- سأّل ابن أكثم عن قوله تعالى:

أن الغرض وراء ذلك سياسي
محض قصد به التعنت لا الإفادة^(٥)
كتب الإمام: (بسم الله الرحمن الرحيم، وأنت فَالْهَمْكَ اللَّهُ الرَّشِيدُ،
أتاني كتابك فامتحننا به من تعنتك لتجد إلى الطعن سبيلاً إِنْ
قصرنا فيها، والله يكافيك على نيتك، وقد شرحتنا مسائلك فأصاغ
إليها سمعك وذلل لها فهمك،
وشغل بها قلبك، فقد لزمتك الحجة والسلام)^(٦).

وهنا نجد الإمام قد أدرك السر من وراء هذه المسائل فوصف ابن أكثم بالتعنت، وبين هدفه منها لغرض الطعن ومع ذلك فهو يحجب فيها بما يفهمه ويذبحه باهتا. وفيما يأتي يعرض الباحث ما جاء في هذه المسائل من بعد قوله تعالى:

١- يقول الإمام عَلِيُّهِ: (سألَ عن قوله عز وجل: ﴿فَالَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ...﴾). قال الإمام علي الهادي: وهو أَصْفَ بن بُرْخَا وَلَمْ يَعْجِزْ

فأوحى الله إلى نبيه (فاسأل الذين يقرءون الكتاب) بمحضر الجهلة: هل بعث الله رسولاً قبلك إلا وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ ولك بهم أسوة، وإنما قال: فإن كنت في شك، ولم يكن في شك، ولكن للمنفعة، كما قال: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْهَلْ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكاذِبِينَ﴾^(١٤).

ولوقال (عليكم) لم يجيروا إلى المباهلة، وقد علم الله أن نبيه يؤدي عنه رسالته وما هو من الكاذبين، فكذلك عرف النبي أنه صادق فيما يقول، ولكن أحب أن ينصف من نفسه^(١٥).

٤- وسائل يحيى بن أكثم عن قوله تعالى: ﴿وَلَوْأَنْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُ مِنْ بَعْدِ سَبْعَةِ أَبْحَرٍ مَا نَفَدَتْ كَلْمَاتُ اللهِ..﴾^(١٦). فأجاب الإمام علي الهادي ع بعد ذكر الآية بقوله: (فهو كذلك)، لأن أشجار الدنيا أقلام، والبحر يمد سبعة

﴿وَرَفَعَ أَبُو يَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجْدًا﴾^(١٠). فأجاب الإمام الهادي ع: (إن سجود يعقوب ع وولده كان طاعة لله ومحبة ليوسف، كما أن السجود من الملائكة لآدم ع لمه ي يكن لآدم، وإنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم ع، فسجود يعقوب وولده ويوسف معهم كان شكر الله باجتماع شملهم، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾^{(١١)(١٢)}.

٣- سؤال يحيى بن أكثم عن قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلْ الَّذِينَ يَقْرَئُونَ الْكِتَابَ..﴾^(١٣). قال الإمام علي الهادي بعد ذكر الآية: (فإن المخاطب به رسول الله، ولم يكن في شك مما أنزل إليه ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة؟، إذ لم يفرق بين نبيه وبيننا في الاستغاء عن المأكل والمشرب والمشي في الأسواق،

يزوج الله عباده الذكران، وقد عوقب قوم فعلوا ذلك؟. فأجاب الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد ذكر الآية (أي يولد له ذكور، ويولده إثناين)، يقال لكل اثنين مقرنين زوجان، ولكل واحد منها زوج. ومعاذ الله أن يكون الله عنى الجليل ما لبست به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم «ومن يفعل ذلك يلق أثاماً» يُضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهاناً^{(٢٤)(٢٣)}.

وفي الإجابة تعريض مهذب يحيى بن أكثم كما لا يخفى.
ثانياً: استنباط الأحكام الشرعية من القرآن الكريم.

قد يفيد الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ من القرآن الكريم حكماً شرعاً وأشكال على بعض الفقهاء علمه، واستعصى على بعض العلماء حكمه، وفيما يأتي يعرض الباحث لبعض من ذلك:

١ - عن العياشي بإسناده عن حمدوه عن محمد بن عيسى قال سمعته يقول: كتب إليه (يعني الإمام

أبحر، وانفجرت الأرض عيوناً، لنفت قبل أن تنفذ كلمات الله...)^(١٧). والأبحر هي: عين الكبريت، وعين اليمن، وعين برهوت، وعين الطبرية، وحمة ماسيدان تدعى لسان، وحمة أفريقيا تدعى سيلان، وعين باحوران^(١٨).

٥- وسائل ابن أكثم عن قوله تعالى: «وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعین..»^(١٩) فاشتهت نفس آدم أكل البر، فأكل وأطعم وفيها ما تشتهي الأنفس فكيف عوقب؟. فأجاب الإمام على الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ (وأما الجنة فإن فيها من المأكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعین، وأباح ذلك كله لآدم والشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد، عهد إليهما أن لا ينظرا إلى من فضل الله على خلائقه بعين الحسد (فَسَيِّي وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)^{(٢٠)(٢١)}.

٦- وسائل ابن أكثم عن قوله تعالى: «أو يُزوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِناثًا»^(٢٢)،

مواطن رسول الله ﷺ، فبلغت ثمانين موطنًا، فرجع إليه فأخبره، ففرح. وأعطاه عشرة آلاف درهم^(٢٨).

٣- كذلك الحال في استيحاء الإمام ع ع مدرك الحكم الشرعي، فقد استفاته المتوكّل برجل نصراني فجرًّا بأمرأة مسلمة وأراد أن يقيّم عليه الحد فأسلم، فأفتى الإمام: يضرب حتى يموت. فأنكر يحيى بن أكثم ذلك وقال: قد هدم إيمانه شركه و فعله. وطلبوها من المتوكّل أن يكتب للإمام ويطلب منه مدرك الحكم^(٢٩)، فأجاب ع ع بعد البسمة: «فلما رأوا بأسنا قالوا آمناً بالله وحده وكفرنا بما كناً به مشركين» فلم يكُن ينفعهم إيمانهم لـما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون^(٣٠).

فقد أبان الإمام من خلال القرآن أن إسلام الرجل قد أعلن في اللحظات الأخيرة خوفاً من الحد الشرعي، وهو لا يقبل منه لأنّه غير صادر عن حالة طبيعية.

٤- وعن أحمد بن محمد قال: قال

الهادي) إبراهيم بن غبسة: إن رأى سيدي ومولاي أن يخبرني عن قوله تعالى: «يسألونك عن الخمر والميسر...»^(٢٥) في الميسر، جعلت فداك. فكتب ع ع (كل ما قوم به فهو الميسر، وكل مسکر حرام)^(٢٦).

٢- كما أفاد الإمام من قوله تعالى: «لقد نَصَرْتُكَمُ الله في مواطن كثيرة»^(٢٧) أحد مصاديق الشيء الكثير. فعن أبي عبد الله الزبيدي: لما سُمِّيَ المتوكّل نذر الله إن رزقه الله العافية أن يتصدق بمال كثير، فلما عوفى اختلف الفقهاء في المال الكبير، فقال له الحسن حاجبه: إن أتيتك يا أمير المؤمنين بالصواب فما لي عندك؟ قال: عشرة آلاف درهم وإلا ضربتك مائة مقرعة، قال: قد رضيت، فأتى أبو الحسن ع ع فسألَه عن ذلك فقال: قل له يتصدق بثمانين درهماً. فأخبر المتوكّل، فسألَه: ما العلة؟، فأتاه، فسألَه، فقال: (إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: «لقد نَصَرْتُكَمُ الله في مواطن كثيرة»)، فعددنا

وإنما تطوع بالإقرار على نفسه، وإذا كان للإمام الذي من الله أن يعاقب عن الله كان له أن يمْنَ عن الله، أما سمعت قول الله: ﴿هذا عطاونا فامنْ أوامسک بغير حساب﴾؟^(٣٧).

دللت هذه الرواية بوضوح على أن الإمام الشرعي المنصوب من قبل الله تعالى له أن يغفو عنمن أقرَّ على نفسه باقتراح جريمة اللواط.

كما أن له أن يعاقب على ذلك، ويختص العقوبة بهذه الصورة، أما من قامت عليه البينة بذلك فليس للإمام أن يغفو عنه^(٣٨).

ثالثاً: ما رواه عن آبائه في تفسير القرآن الكريم.

لقد روى الإمام الهادي عَلَيْهِ الْكَثِير من الروايات عن النبي ﷺ والأئمة المعصومين عَلَيْهِمُ الْكَثِير في مجالات متعددة، بعضها جاء في التفسير، منها:

١- قال الإمام الهادي عَلَيْهِ الْكَثِير: (قال الصادق عَلَيْهِ الْكَثِير: في قوله تعالى على لسان يعقوب عَلَيْهِ الْكَثِير: ﴿فَصَبَرْ جَمِيل﴾^(٣٩) أي بلا شكوى^(٤٠)). ولعل القرينة الدالة على

أبو الحسن (يعني الإمام الهادي) في قول الله عز وجل ﴿وَلَيَطْوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيق﴾، قال: طواف الفريضة طواف النساء^(٣٢).

٥- في جواز كنية الكتابي: نادي الم وكل أحد أصحابه وكان نصراينياً، يا أبا نوح، فأنكر عليه بعض من حضره أن يُكَنِّي الكتابيون فاستفتى الفقهاء فاختلفوا، فبعث إلى الإمام الهادي يسأله فوْقَ الإمام: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(٣٣)، فعلم الم وكل أنه يحلُّ ذلك؛ لأنَّ الله قد كَنَّ الكافر^(٣٤).

٦- سأله أيوب بن نوح الإمام أبا الحسن الثالث عَلَيْهِ الْكَثِير فقال له: إنَّ أهل العراق يقولون: إنَّ الجاموس مسخ، ومعنى ذلك أنه لا يجوز أكله. فردَّ عليه الإمام قائلاً: (أَ وَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ الْإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾؟^{(٣٥)(٣٦)}).

٧- روى الحسن بن علي بن شعبة بسنده عن أبي الحسن الثالث عَلَيْهِ الْكَثِير، قال- في حديث له:- (وَمَا الرَّجُلُ الَّذِي اعْتَرَفَ بِاللَّوَاطِ، إِنَّهُ لَمْ يَقُمْ عَلَيْهِ الْبَيْنَةُ،

روعه التراث الإسلامي وأصالته، ومن خصائصها:

أ- أنها وضعت قواعد السلوك، وأصول الأخلاق، وما تزدهر به الشخصية من القوى الروحية الوعائية.

ب- أنها تشتمل على وثائق سياسية خطيرة، فهي تمثل مدى الاضطهاد الذي مُنيَ به العالم الإسلامي في تلك العصور من قبل الحكام الأمويين والعباسيين الذين لم يألوا جهداً في ظلم الناس وإرغامهم على ما يكرهون.

ج- أنها تمثل انقطاع الأئمة إلى الله والتجاءهم إليه، وإنهم قد آمنوا به بمشاعرهم وعواطفهم وقلوبهم.

وسوف يعرض الباحث بعض أدعية الإمام الهادي عليه السلام التي احتوت على آيٍ من الذكر الحكيم:
١- دعاؤه عند الشدائد:

من أدعيته هذا الدعاء الشريف، وكان يدعو به إذا ألمت به حادثة أو حلّ به خطب، أو أراد قضاء حاجة مهمة له^(٤٧) يقول فيه: (... اللهم دللت عبادك على نفسك فقلت تباركت وتعاليت:

ذلك هو وصف الصبر بالجميل.

٢- قال الإمام الهادي عليه السلام: (قال الصادق عليه السلام: في تفسير قوله تعالى: ﴿تَجَافِي جَنُوبَهُمْ عَنِ الْمُضَاجِع﴾^(٤١)، قال: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العَمَّة^(٤٢)).

٣- قال الإمام الهادي عليه السلام: (قال الصادق عليه السلام: في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَنْحِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^(٤٣)، قال: المراد بها القنوع)^(٤٤).

٤- روى الإمام الهادي عليه السلام عن جده الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنه قال: (إن الله خلق الخلق فعلم ما هم إليه صاثرون، فأمرهم ونهاهم، مما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته، بل اختبرهم بالبلوى كما قال الله تعالى: ﴿لَيَلْوُكُمْ أَيَّكُمْ أَحَسِنُ عَمَلاً﴾^{(٤٥)(٤٦)}.
رابعاً: القرآن الكريم في أدعية الإمام الهادي عليه السلام.

إن أدعية أهل البيت عليه السلام تمثل

٣- دعاؤه ﷺ لدفع النحوس والمخاوف:

جاء فيه: (فصل اللهم على محمد وآل محمد، وأعذني اللهم بهم من شر كل ما أتقى، يا عظيم حجزت الأعداء عني ببديع السماوات والأرض، إنا جعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يصررون) ^{(٥٨)(٥٧)}.

خامساً: الاقتباس القرآني في كلمات الإمام الهادي عليه السلام.

الاقتباس لغة: الشعلة، يُقال: خُذ لي قبساً من نار^(٥٩). وقال ابن فارس في مقاييس اللغة: (الكاف والباء والسين أصل صحيح يدل على صفة من صفات النار، ثم يستعار من ذلك القبس: شعلة النار) ^(٦٠)، كما ورد في قوله تعالى: «إِذ رأى ناراً ف قال لأهله امكحوا إني آنسن ناراً علی آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى» ^(٦١).

أما الاقتباس اصطلاحاً: هو أن يُضمن الكلام (شعرًا كان أم نثراً) شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف ^(٦٢). وقد عرفه الرازبي (ت ٦٠٦هـ): (هوأن

﴿وَإِذَا سَأَلْكَ عَبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دُعَوةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلِي سْتَجِيبُوا لَيٍ وَلِيؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشَدُونَ﴾ ^(٤٨)، وقلت: ﴿يَا عَبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنِطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ^(٤٩)، وقلت: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنَعِمَ الْمُجْيُونُ﴾ ^(٥٠)، أَجل يا ربّ، نعم المدعوان، ونعم الربّ، ونعم المجيب. وقلت: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّاً مَا تَدْعُو فَلِهِ الْأَسْمَاءُ الْحَسَنَى﴾ ^{(٥١)(٥٢)}.

٤- دعاؤه في الاحتجاج:

جاء فيه: ﴿وَإِذَا قَرأتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتَوِراً * وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقِرَاءً﴾ ^(٥٣)، و﴿وَإِذَا قَرأتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ إِنَّهُ لِيُسَّرَّ لِهِ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ^(٥٤)، عليك يا مولاي توكل وانت حسيبي وأملي ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُه﴾ ^{(٥٥)(٥٦)}.

من يقول: جسم، ومنهم من يقول: صورة. فكتب عَلَيْهِ بخطه: سبحان من لا يحد ولا يوصف، ليس كمثله شيء، وهو السميع العليم^(٦٧).

إن الله تعالى يستحيل أن ينعت بالحد الذي تكون منه حقائق الأشياء الممكنة، كما يستحيل أن يوصف بالأوصاف المستلزمة لتعدد الصفة والمواصف، فإن صفاته تعالى عين ذاته حسبما حققه المتكلمون^(٦٨). نجد الإمام عَلَيْهِ اقتبس كلامه من الآية الحادية عشر في سورة الشورى.

٢- حديثه في استحالة وصفه تعالى: أدلى الإمام أبوالحسن الهادي عَلَيْهِ في حديث له مع الفتح بن يزيد الجرجاني أعرّب فيه عن استحالة وصف الخالق الحكيم بصفة تحيط بكنهه وحقيقة، وقد جاء فيه: (إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنّي يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناهه، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلّ عما يصفه الواصفون،

يضمن الكلمة من القرآن الكريم أو آية منه في الكلام تزييناً لنظامه وتفخيمًا لشأنه)^(٦٣)، وقد وسع العلامة الحلي (ت ٧٢٥ هـ) ذلك ليشمل الحديث الشريف، فيقول: (هو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث ولا ينبه عليه للعلم به)^(٦٤)، وقد حصر بعض العلماء الاقتباس على القرآن الكريم وحده^(٦٥).

وفيما يأتي يذكر الباحث بعضاً من المواضع التي اقتبس فيها الإمام من القرآن الكريم:

١- حديثه في الرد على من قال بالتجسيم:
أ- روى حمزة بن محمد، قال: (كتبت إلى أبي الحسن عَلَيْهِ أسأله عن الجسم والصورة، فكتب عَلَيْهِ: سبحان من ليس كمثله شيء، لا جسم ولا صورة)^(٦٦).

ب- روى إبراهيم بن محمد الهمданى، قال: (كتبت إلى الرجل -يعنى أبو الحسن عَلَيْهِ- إن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم

الأمر منكم^(٧١). وقال: «ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم^(٧٢). وقال: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها»^(٧٣). وقال: «فاسألو أهل الذكر أن كتم لا تعلمون»^(٧٤). يا فتح، كما لا يوصف الجليل جل جلاله والرسول والخليل وولدا البطل، فكذلك لا يوصف المؤمن المسلم لأمرنا»^(٧٥).

وعرض هذا الحديث إلى الاستحالة في وصف الله بصفة تحكي واقعه وتلم بذاته، فذلك أمر ممتنع، وكذلك بنسبة إلى الرسول الأعظم عليه السلام وأوصيائه الأئمة المعصومين، بل حتى المؤمن المسلم لأمر أهل البيت، فإن الأوصاف تقصّر عن أن تلم بتراثه الشريفة وصفاته الفاضلة.

٣- الزيارة الجامعة:

أثرت عن الإمام الهادي عليه السلام مجموعة من الزيارات الرائعة زار بها آباءه الأئمة الطاهرين عليهم السلام وهي مليئة بالاحتجاج على أحقيّة أهل البيت عليهم السلام بالخلافة الإسلامية، كما احتوت على وثائق مهمة

وتعالى عما ينعته الناطعون، نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه القريب، وفي قربه بعيد، كيف الكيف فلا يقال كيف، وأين الأين فلا يقال أين، إذ هو منقطع الكيفية والأينية، وهو الواحد الصمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فجل جلاله). وهنا الإمام عليه السلام اقتبس من قوله تعالى في سورة الإخلاص.

كذلك يشير الإمام عليه السلام إلى استحالة وصف النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه والأئمة المعصومين عليهم السلام فيقول: (أم كيف يوصف بكنه محمد صلوات الله عليه، وقد قرنه الجليل باسمه، وشركه في عطائه، وأوجب لمن أطاعه جراء طاعته إذ يقول: «وما نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ»^(٧٦). وقال يحيى قول من ترك طاعته، وهو يعذبه بين أطباق نيرانها وسرابيل قطرانها: «يا ليتنا أطعنا الله وأطعمن الرسولا»^(٧٧). أم كيف يوصف بكنهه من قرن الجليل طاعتهم - يعني بهم أئمة أهل البيت - بطاعة رسوله حيث قال: «أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ

المتوجب، ورسوله المرتضى، وأرسله بالهادى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون^(٨٠).

وهنا اقتبس الإمام كلامه من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهَدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَهِّرَهُ عَلَى الْدِينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٨١).

نتائج البحث:

- ١- أكد الإمام عليه السلام ضرورة الرجوع إلى القرآن والتمسك به؛ لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
- ٢- يبدو مما تقدم استظهار الإمام كتاب الله تعالى، وجعله نصب عينيه في تفسيره دلائلًا بما يقطع التخاصم والنزاع ولا سيما أن إجابات الإمام غير قابلة للرد أو الجدل لأنها طبقت المفصل.
- ٣- تعدد المجالات التي يتضح فيها بعد القرآني لدى الإمام الهادي عليه السلام، حيث نجد في إجاباته على المسائل، واستنباطه للأحكام، ومسائله الكلامية، وأدعيته، وزياراته.

من آثارهم وفضائلهم ومناقبهم، ومن هذه الزيارات الزيارة الجامعة، حيث جاء فيها:

(...) السلام على الدعاة إلى الله، والأدلة على مرضاه الله، والمستقررين في أمر الله، والتأمين في محبة الله، والمخلصين في توحيد الله، والمظاهرين لأمر الله ونهيه، وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، ورحمة الله وبركاته^(٧٦).

لقد اقتبس الإمام عليه السلام قوله من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنَ وَلَدًا سَبِّحَانَهُ بَلْ عَبَادُ مَكْرُومُونَ * لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(٧٧).

كذلك قوله عليه السلام: (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كما شهد الله لنفسه وشهدت له ملائكته وأولوا العلم من خلقه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم)^(٧٨). وهنا اقتبس الإمام عليه السلام قوله من قوله تعالى: ﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولَئِي الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقَسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٧٩).

وقوله: (أشهد أن محمداً عبده

العقول عن آل الرسول/ تحقيق: محمد
صادق بحر العلوم/ المطبعة الحيدرية/
النجف الأشرف/ ١٣٨٤هـ.

٧- شهاب الدين محمود الحلبي، حسن
التوسل إلى صناعة الترسل / تحقيق: أكرم
عثمان يوسف/ دار الحرية/ بغداد/ ١٩٨٧هـ
٨- ابن شهر آشوب/ رشيد الدين (٥٨٨هـ)
مناقب آل أبي طالب/ المطبعة الحيدرية،
النجف الأشرف/ ١٣٧٥هـ.

٩- الصدوق/ محمد بن علي بن
الحسين (٣٨١هـ)، التوحيد/ المطبعة
الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٨٣هـ.

١٠- الصدوق/ سابق، عيون أخبار
الرضا/ دار العلم/ قم/ ١٣٧٧هـ.

١١- الصدوق/ سابق، من لا يحضره الفقيه/
تحقيق السيد حسن الموسوي الخرساني/
مطبعة النجف/ النجف الأشرف/ ١٣٧٧هـ.

١٢- الطبرسي/ أحمد بن علي بن أبي
طالب (٥٨٨هـ)، الاحتجاج/ دار النعمان،
النجف الأشرف/ ١٣٨٦هـ.

١٣- الطوسي/ أبو جعفر محمد بن
الحسن (٦٤٠هـ)، الأمالي/ طبعة النجف
الأشرف.

مصادر البحث:

* القرآن الكريم

١- الأربلي / علي بن عيسى بن أبي
الفتح (٦٩٣هـ)

كشف الغمة في معرفة الأئمة / مطبعة
النجف/ النجف الأشرف/ ١٣٥٨هـ

٢- باقر شريف القرشي
موسوعة سيرة أهل البيت عليهما السلام / الإمام
علي الهادي عليهما السلام / تحقيق: مهدي باقر
القرشي / مطبعة نكارش/ ١٤٣٠هـ.

٣- الحر العاملي / محمد بن الحسن
(١١٠٤هـ)

وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل
الشريعة/ دار إحياء التراث/ بيروت.

٤- ذبيح الله المحلاطي - مآثر الكباء
في تاريخ سامراء/ المطبعة الحيدرية/
النجف الأشرف.

٥- الرازي/ فخر الدين (٦٠٦هـ)، نهاية
الإيجاز في دلالة الإعجاز، تحقيق: إبراهيم
السامرائي و محمد بر كات حمدي، دار
الفكر للنشر والطباعة/ عمان/ ١٩٨٥م

٦- ابن شعبة/ الحسن بن علي الحراني
الحلبي (من علماء القرن الرابع)، تحف

- ٢٠- القزويني / جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة / شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي / ط٥- منشورات دار الكتاب اللبناني - بيروت / ١٩٨٠ م.
- ٢١- الكليني / أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (٣٢٩ هـ)، الكافي / تحقيق: علي أكبر الغفاري / المطبعة الإسلامية / طهران / ١٣٨٨ هـ
- ٢٢- المجلسي / محمد باقر (١١١١ هـ)، بحار الأنوار / دار الكتب الإسلامية / طهران / ١٣٨٦ هـ.
- ٢٣- محمد حسن آل ياسين (١٤٢٧ هـ)، الإمام علي بن محمد الهادي / المطبعة العربية / بيروت / ٢٠٠١ م.
- ٢٤- محمد حسين علي الصغير (معاصر)، موسوعة أهل البيت الحضارية / الإمام علي الهادي ع / مؤسسة البلاع للطباعة والنشر / ١٤٢٩ هـ.
- ٢٥- محمد عبده، شرح نهج البلاغة / دار النهضة - بيروت.
- ٢٦- هادي النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت / ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣ هـ.
- ١٤- الطوسي / سابق، تهذيب الأحكام / تحقيق السيد حسن الموسوي الخرساني / دار الكتب الإسلامية / النجف الأشرف / ١٣٧٧ هـ.
- ١٥- الطوسي / سابق، مصباح المتهدج / منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات / ١٤١١ هـ.
- ١٦- علي صدر الدين ابن معصوم المد니، أنوار الربيع في أنواع البديع / ط١ - النعمان / النجف الأشرف / ١٩٦٨ م / تحقيق: شاكر هادي شكر.
- ١٧- العياشي / أبوالنضر محمد بن مسعود (٣٢٠ هـ)، تفسير العياشي / تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي / المكتبة العلمية الإسلامية / قم / ١٣٧١ هـ
- ١٨- ابن فارس / بن زكريا، معجم مقاييس اللغة / تحقيق: عبد السلام هارون / ط١ / دار إحياء الكتب العربية / القاهرة / ١٣٦٦ هـ.
- ١٩- الفراهيدي / الخليل بن أحمد العين / تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي / ط٢ / مؤسسة دار الهجرة / ١٤١٠ هـ.



- الهوامش:
- ١- الصدوق/عيون أخبار الرضا علیه السلام /٤٧٧ ، ابن شهر آشوب/ .٤٨١
 - ٢- نهج البلاغة /١٤٩/٢ .١١٢/٢
 - ٣- المصدر نفسه /٤٩/٢ ، هادي النجفي / موسوعة أحاديث أهل البيت علیهم السلام /٣٣٧/١ .٦١
 - ٤- ابن شعبة/ تحف العقول /٤٥٨ -٤٧٥
 - ٥- محمد حسين علي الصغير / موسوعة أهل البيت الحضارية- الإمام علي الهادي علیه السلام /٢١٧ .٢٧
 - ٦- ابن شعبة/ تحف العقول /٤٧٧ -٤٤٣
 - ٧- النمل: ٤٠
 - ٨- ابن شعبة/ تحف العقول /٤٧٧ -٤٨١ ، ابن شهر آشوب/ المناقب /٣ .٤٤٣
 - ٩- محمد حسين علي الصغير / موسوعة أهل البيت الحضارية- الإمام علي الهادي علیه السلام /٢١٧ .٥٠
 - ١٠- يوسف: ١٠٠ .١٠١
 - ١١- يوسف: ١٠١ .٢١٩
 - ١٢- ابن شعبة/ تحف العقول /٤٤٣ /٣ .٤٤٣
 - ١٣- يونس: ٩٤ .٦١
 - ١٤- آل عمران: ٦١ .٤٧٧
 - ١٥- ابن شعبة/ تحف العقول /٤٧٧
 - ١٦- لقمان: ٢٧ .٤٨١
 - ١٧- ابن شعبة/ تحف العقول /٤٧٧
 - ١٨- ظ: باقر شريف القرشي / موسوعة سيرة أهل البيت علیهم السلام /٣٣/٢٩٨ .٤٤٣
 - ١٩- الزخرف: ٧١ .١١٥
 - ٢٠- طه: ٢٠ .٤٧٧
 - ٢١- ابن شعبة/ تحف العقول /٤٧٧ -٤٨١ ، ابن شهر آشوب/ المناقب /٣ .٤٤٣
 - ٢٢- الشورى: ٥٠ .٦٩
 - ٢٣- الفرقان: ٦٨ -٤٧٧
 - ٢٤- ابن شعبة/ تحف العقول /٤٧٧ -٤٨١ ، ابن شهر آشوب/ المناقب /٣ .٤٤٣
 - ٢٥- البقرة: ٢١٩ .٤٤٣

- ٢٦- العياشي / تفسير العياشي / ١٠٦/١ .
- ٢٧- التوبة: ٢٧ .
- ٢٨- الكليني / الكافي / ٤٦٣ ، ابن شهر آشوب / المناقب / ٤/٤ .
- ٢٩- ظ: القرشي / موسوعة سيرة أهل البيت عليهما السلام / ١٠٦/٣٣ .
- ٣٠- غافر: ٨٤ .
- ٣١- الحر العاملي / وسائل الشيعة / ٣٣١ / ١٨ .
- ٣٢- الكليني / الكافي / ٥١٢/٤ .
- ٣٣- المسد: ١ .
- ٣٤- محمد حسن آل ياسين / الإمام علي بن محمد الهادي / ٦٥ .
- ٣٥- الأنعام: ١٤٤ .
- ٣٦- العياشي / تفسير العياشي / ٣٨٠/١ .
- ٣٧- ص: ٣٧ .
- ٣٨- القرشي / موسوعة سيرة أهل البيت عليهما السلام / ١٠٦/٣٣ .
- ٣٩- يوسف: ١٨ .
- ٤٠- محلاتي / آثار الكبراء في تاريخ كربلاء .
- ٤١- السجدة: ١٦ .
- ٤٢- الطوسي / الأمالى / ٢٩٤ ، المجلسي / بحار الأنوار / ٧٣/١٨٤ .
- ٤٣- النحل: ٩٧ .
- ٤٤- الطوسي، الأمالى، ٢٧٥ ، المجلسي / بحار الأنوار / ٦٨/٣٤٥ .
- ٤٥- هود: ٧ .
- ٤٦- الطبرسي / الاحتجاج / ٢/١٥٨ .
- المجلسى / بحار الأنوار / ٥/٢٦ .
- ٤٧- القرشي / موسوعة سيرة أهل البيت عليهما السلام / ١٥٤ / ٣٣ .
- ٤٨- البقرة: ١٨٦ .
- ٤٩- الزمر: ٥٣ .
- ٥٠- الصافات: ٧٥ .
- ٥١- الإسراء: ١١٠ .
- ٥٢- الطوسي / مصباح المتهدج / ٣٤٣ - ٣٤٧ .
- ٥٣- الإسراء: ٤٥ - ٤٦ .
- ٥٤- النحل: ٩٨ - ٩٩ .
- ٥٥- الطلاق: ٣ .
- ٥٦- المجلسى / بحار الأنوار / ٩١ .
- ٥٧- يس: ٩ .
- ٥٨- الطوسي / مصباح المتهدج / ٩٢ .

- ٥٩- ظ: العين: الفراهيدي: ١/٣٨٣.
- ٦٠- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: ٥/٣٩.
- ٦١- سورة طه، الآية: ١٠.
- ٦٢- ظ: الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني: ١/٣٨١.
- ٦٣- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: الرازى: ١٤٧.
- ٦٤- حسن التوسل إلى صناعة الترسل: العلامة الحلى: ٣٢٣.
- ٦٥- أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم المدنى: ٢١٢/٢.
- ٦٦- الصدوق/التوحيد: ٩٧.
- ٦٧- الصدوق/التوحيد: ١٠٠
- ٦٨- القرشى / موسوعة سيرة أهل البيت عليهما السلام: ٣٣/١١٢.
- ٦٩- التوبه: ٧٤.
- ٧٠- الأحزاب: ٦٦.
- ٧١- النساء: ٥٩.
- ٧٢- النساء: ٨٣.
- ٧٣- النساء: ٥٨.
- ٧٤- النحل: ٤٣.
- ٧٥- الأربلي/كشف الغمة: ٢٨٦/٢-٢٨٧.
- ٧٦- الصدوق/ من لا يحضره الفقيه/ ٢/٦٠٩، الطوسي / تهذيب الأحكام/ ٦/٩٥.
- ٧٧- الأنبياء: ٢٦-٢٧.
- ٧٨- الصدوق/ من لا يحضره الفقيه/ ٢/٦٠٩، الطوسي / تهذيب الأحكام/ ٦/٩٥.
- ٧٩- آل عمران: ١٨.
- ٨٠- الصدوق/ من لا يحضره الفقيه/ ٢/٦٠٩، الطوسي / تهذيب الأحكام/ ٦/٩٥.
- ٨١- التوبة: ٣٣.

٧

دور آيات الأحكام
في فهم الأحكام
الشرعية

أ.م.د. طارق حسن كسار

جامعة ذي قار / كلية العلوم الإسلامية

خلاصة البحث:

وقد ألفت العديد من الكتب في آيات الأحكام، وقد عكف الفقهاء على دراسة الآيات المتعلقة بالأحكام الشرعية لغرض استنباط الأحكام الشرعية، وهذا البحث الموسوم بـ(دور آيات الأحكام في فهم الأحكام الشرعية)، والذي صدرته بمقدمة ثم بمبثعين، وقد كانت الخطة الأولية للبحث كما يأتي:

* **المبحث الأول: أهمية آيات الأحكام والبحث فيها**
المطلب الأول: تعريف آيات الأحكام
المطلب الثاني: الاهتمام بدراسة آيات الأحكام.

المطلب الثالث: نشأة البحث في آيات الأحكام وتطوره.

المطلب الرابع: عدد آيات الأحكام
* **المبحث الثاني: دور آيات الأحكام في الاجتهاد الفقهي.**

المطلب الأول: كيفية تشخيص آيات الأحكام ومناهج تفسيرها.
المطلب الثاني: دور آيات الأحكام في الاستنباط الفقهي.

لقد تضمنت الآيات الشريفة في القرآن الكريم مضامين عدّة، إذ يمكن تقسيمها إلى آيات المعارف والعقائد، وآيات التهذيب والأخلاق، وآيات العلوم والفنون، وآيات التاريخ والقصص، وآيات الإمامة والولاء، وآيات الأحكام.

ومن جملة هذه المضامين آيات الأحكام، إذ يعد القرآن الكريم - كما هو معلوم - المصدر الأول لأحكام الشريعة المقدّسة، بل وفيه تبيان كل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، وقد اعتمد الفقهاء على القرآن الكريم في استنباط الأحكام الشرعية وتأتيه بعده المصادر الأخرى كمفصله ومبيّنه وموضحة لما ورد في القرآن الكريم. وقد ذكر الفقهاء أنّ من جملة الأمور التي يشرط التوفّر عليها الكلّ من أراد استنباط الأحكام الشرعية معرفة الآيات الكريمة التي تتعلق بالأحكام الشرعية وفهم تفسيرها.

الفقهية التي تتعلق بمصالح العباد
في دنياهم وأخراهم^(٣).

والظاهر أنه لا يقصد معنى اصطلاحي خاص من هذه التعريفات، وإنما المقصود الإشارة إلى المعنى اللغوي لآيات الأحكام وهو: الآيات التي يمكن أن يستفاد منها حكم شرعي. ويمكن القول: إنها الآيات التي تشتمل على الأحكام الفقهية سواء أكانت تكليفية أم وضعية.

المطلب الثاني:

الاهتمام بدراسة آيات الأحكام. لقد أخذت آيات الأحكام حيزا كبيرا من ضمن الآيات الشريفة، وقد تناول القرآن الكريم أكثر من خمسين موضوعا فقهيا خاصا فضلا عن الموضوعات الفرعية، وتأتي أهمية البحث في هذه الآيات لكون الفقيه يبحث عن ما يهمه في مجال الاستنباط ويتمثل الاهتمام الأول بالكتاب الكريم والسنة الشريفة، فإذا لم يوجد ما يدل على الحكم من القرآن الكريم

المطلب الثالث: نماذج من آيات الأحكام.

نسأل الله التوفيق في إعداد هذا البحث والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول:
أهمية آيات الأحكام والبحث فيها.

المطلب الأول:

تعريف آيات الأحكام
لم يشر الباحث على تعريف آيات الأحكام عند العلماء السابقين؛ ولعل السبب في ذلك هو وضوحها وعدم الحاجة لذلك، لكن وجدت بعض التعريفات للمعاصرین، فقد عُرّفت بأنّها الآيات التي تضمنّت تشريعات كليّة، وهي تتناول بيان رؤوس الأحكام الفقهية وأصول التشريع الإسلامي من الوجهة العملية^(١)، أو بأنّها الآيات التي تتعلّق بغرض الفقيه لاستنباطه منها حكماً شرعاً^(٢)، أو بأنّها الآيات التي تتضمّن الأحكام

قوامين بالقسط^(١).
ونرى الكثير يستدل بشكل موسع
من خلال الروايات رغم ما فيها
من اختلاف في صحتها ويهمل ما
جاء في القرآن الكريم من آيات
الأحكام؛ لذلك ينبغي الاهتمام
بدراسة آيات الأحكام ومعرفة ما
تضمنه من أحكام من خلالها، أو
من خلال ضم بعض الآيات الأخرى؛
لأهميةها في مجال استنباط الأحكام
الشرعية ومن مصدر موثوق يطمئن
إليه قطعا.

المطلب الثالث:
نشأة البحث في آيات الأحكام
وتطورها.

لا شك أن تاريخ موضوع آيات
الأحكام يرجع إلى زمن النبي ﷺ،
وإلى نزول أول آية فقهية من
القرآن؛ لأنه مع نزول الآية الأولى
التي تستلزم العمل بمفادها، كان
الناس في ذلك الزمان جاهلين
بالكم والكيف المطلوب، فقد كان
الناس يرجعون إلى النبي، ﴿وأنزلنا

فإنه يلتجأ إلى السنة الشريفة، وأما
الإجماع والعقل فإنهما كاشفان
عن الحكم.

والفقير أولى من غيره أن يهتم
بآيات الأحكام؛ لأنه يعرف ما
يمكن استنباطه منها، يقول محمد
باقر الأيواني: إن تصدِّي الفقيه
لمهمته وهي ضالتِه المنشودة لا
يعادلها تصدِّي غيره لها ممن ليس
من أرباب الفقه، فالمفيسر إذا لم
يكن فقيها يأخذ الآية ويشبعها
بحثاً من جوانب بلاغية وعلمية وتاريخية
وما شاكل ذلك، ولا يركز البحث في
الجانب الفقهي والأحكامي الذي
يمكن أن يستفاد منها^(٤).

فالفقير يستفيد من الآية حسب
مورداتها، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٥)،
يستفيد الفقير محبوبية الكون على
طهارة وأن بإمكان المكلف الوضوء
أو الغسل لهذه الغاية.

ويستفيد مثلاً حجية الإقرار من قوله
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا

وهناك بالطبع ما يوافق هذا المضمون في المجمع الروائية والتفسيرية الشيعية، حيث نقل الكليني عن عبدالله بن المغيرة، قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿وَأَعْدَدُ لَهُم مَا أَسْتَطَعْتُم مِّنْ قُوَّةٍ﴾ قال: الرمي^(١٠)، وإن كان العياشي ينقل عن الإمام الصادق علّيَّ^(١١) أنه قال: سيف وترس^(١٢)، ويقول الشيخ معرفة: «كان رسول الله هو المرجع الأول لفهم غوامض الآيات (ومنها آيات الأحكام)، وحل مشاكلها، مدة حياته الكريمة؛ إذ كان عليه البيان كما كان عليه البلاغ... وقد تصدى النبي لتفصيل ما أجمل في القرآن إجمالاً، وبيان ما أبهم منه، إما بياناً في أحاديثه الشريفة وسيرته الكريمة، أو تفصيلاً جاء خلال تشرعياته من فرائض وسنن وأحكام وآداب، كانت سنته قوله عملاً وتقريراً كلهاً بياناً وتفسيراً لمجملات الكتاب العزيز، وحل مهامه في التشريع والتسنين. فقد كان

الى ذكر لتبيين للناس ما نزل إليهم^(٧).

فيسألونه عن العمل بهذه الآية ويعطي الجواب اللازم حسب المورد وبما يناسب وظيفة الرسول التبينية في المورد؛ لذا يمكن أن نقول: إن تفسير آيات الأحكام يرجع إلى الحقبة النبوية.

أ- في عصر النبوة:

يقول الذهبي: إن الأصحاب كانوا كلما واجهتهم مشكلة في فهم القرآن يراجعون النبي، ويحصلون على الجواب؛ لأن بيان القرآن كان وظيفته.

ومن ثم يذكر الذهبي نماذج عدة من تفسير النبي ﷺ، ومن جملتها أنه فسر الآية ﴿وَأَعْدَدُ لَهُم مَا أَسْتَطَعْتُم مِّنْ قُوَّةٍ﴾^(٨)، حيث قال ﷺ: (ألا وإن القوة الرمي)^(٩).

وهنا نلاحظ أن هذا البيان الصادر عن النبي ﷺ قد فسر القوة بالرمي، وهذا تفسير لآلية الجهاد، وإبراز لمصداق حكم فقهى.

يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَاقْرُؤُوا مَا تَيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً^(١٦).

ب - في عصر الإمامة:

استمرت هذه الحركة العلمية بعد انتهاء عهد النبي، وذلك في عهد الأئمة، وتم تبيين المسائل الفقهية الجزئية والكلية، حتى بلغ الأمر أن بُينَت أكثر المسائل تفصيلاً، استناداً للقرآن الكريم.

ومن النماذج التي يشار إليها في هذا المجال المسألة المعروفة في الوضوء، ومسح الرأس والقدم خاصة. فعن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ألا تخبرني من أين علمت وقلت: إن المسح ببعض الرأس وببعض الرجلين؟ فضحك فقال: يا زرارة قاله رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ ونـزـلـ بهـ الـكـتـابـ منـ اللهـ عـزـ وـجـلـ؛ لأنـ اللهـ عـزـ وـجـلـ قالـ: «فاغسلوا وجوهكم» فعرفنا أن الوجه كله ينبغي أن يغسل ثم قال: «وأيديكم إلى المرافق»، فوصل اليدين إلى

قوله: (صلوا كما رأيتـونـيـ أـصـليـ)^(١٢)، شرعاً وبياناً لما جاء في القرآن من قوله تعالى: «وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ»^(١٣)، ولقوله: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا)^(١٤).

وهناك احتمال قوي أن أول الأشياء التي احتاجها الناس في عصر النزول في ما يتعلق بتفسير آيات القرآن هو تفسير آيات الأحكام، وإن لم تأخذ هذا العنوان. وإذا ما سلمنا أن الأوامر التي أعطاها القرآن كانت لأجل التطبيق - وهو الصحيح - فمن الطبيعي أن يبين للناس ما هو تكليفهم في المرة الأولى، فسورة المزمل - التي تعد من أوائل السور نزولاً - قد طرح فيها ستة مواضيع فقهية: قراءة القرآن بالمقدار المستطاع، السفر، الجهاد، إقامة الصلاة، أداء الزكاة، والقرض، حيث قال جل وعلا: «فَاقْرُؤُوا مَا تَيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَعَسَّفُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ

فيه، ويمكن القول إن الكلبي هو صاحب السبق في هذا المضمار؛ لأن ولادة الشافعي بعد وفاة الكلبي بتسعة سنين، وأن القاسم بن أصبغ ولد بعد ٤٣ سنة من وفاة الشافعي.

ويمكن ذكر بعض الكتب المؤلفة في آيات الأحكام عند فقهاء الإمامية ومنها:

١- فقه القرآن للفقيه قطب الدين الرواندي (ت ٥٧٣ هـ)، وهو أبرز علماء الشيعة وله مؤلفات فقهية وقرآنية عديدة.

وكان كتابه فقه القرآن حسب الأبواب الفقهية من كتاب الطهارة إلى كتاب الديات.

٢- كتاب (متشابه القرآن ومختلفه) تأليف الشيخ الجليل رشيد الدين محمد بن علي بن شهر أشوب المازندراني (ت ٥٨٨ هـ)، وقد خصص فيه فصلاً تحت عنوان «باب فيما يحكم عليه الفقهاء» وحاول استيعاب آيات الأحكام.

٣- كتاب (النهاية في تفسير خمسمائة

المرفقين بالوجه فعرفنا أنه ينبغي لهما أن يغسلا إلى المرفقين، ثم فصل بين الكلام فقال: ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾، فعرفنا حين قال: ﴿برؤوسكم﴾ أن المسح ببعض الرأس لمكان الباء، ثم وصل الرجلين بالرأس كما وصل اليدين بالوجه فقال: ﴿وأرجلكم إلى الكعبين﴾، فعرفنا حين وصلهما بالرأس أن المسح على بعضهما، ثم فسر ذلك رسول الله ﷺ للناس فضيوعه^(١٧).

ومن المؤلفين الأوائل في هذا المجال بعد هاتين المرحلتين هو محمد بن سائب الكلبي، ذكر ابن النديم أن أول من صنف في علم أحكام القرآن هو محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ)^(١٨)، وكان غالباً ما وضعه هو من آراء ابن عباس (رض)، بينما أورد السيوطي أن الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) أول من صنف فيه^(١٩)، بينما ذكر في طبقات النهاة أن القاسم بن أصبغ القرطبي هو أول من ألف

وأما في الفقه السنّي فقد كانت لهم مؤلفات عدّة يمكن ذكر أبرزها:

١- أحکام القرآن للجصاص (ت ٣٧٠ هـ)، وهو من أهم كتب الحنفية، وقد تضمن الإشارة للمذاهب الأربع، وتناول البحث في كل سورة وما تتضمنه من أحکام.

٢- أحکام القرآن الكيا الهراسي (ت ٥٠٤ هـ)، وهو من كتب التفسير الفقهية لدى الشافعية، وقد ناقش بعض ما ورد في أحکام القرآن للجصاص من نظريات.

٣- أحکام القرآن لمحي الدين بن عربي المالكي (ت ٦٣٨ هـ)، وتناول الأحكام الموجودة في كل سورة ابتداءً من سورة الفاتحة فضلاً عن أسباب النزول، والمطالب التفسيرية المتعلقة بالآيات.

٤- ومن المؤلفات الأخرى كتاب (آيات الأحكام) للسايس المصري الشافعي وقد درس لطلبة جامعة الأزهر ويتعلق بالمذاهب الأربع.

٥- ويمكن ذكر كتاب (روائع البيان

آية) لفخر الدين بن المتصوّج (ت / أواخر القرن الثامن).

٤- وفي القرن التاسع كتاب (منهاج الهدایة في تفسیر خمسة آیة) لجمال الدين ابن المتصوّج (ت / ٨٢٠ هـ)، وكتاب (آیات الأحكام) لناصر بن أحمد بن المتصوّج، وكتاب (كنز العرفان) للفاضل المقداد السيوري (ت / ٨٢٦ هـ).

٥- وفي القرن العاشر (زبدة البيان في أحكام القرآن) للمقدس الأربيلبي (ت / ٩٩٣ هـ).

٦- وفي القرن الحادى عشر كتاب (مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام) لجود الكاظمي (١٠٦٥ هـ).

٧- وفي القرن الثاني عشر كتاب (قلائد الدرر) لأحمد الجزائري، وقد انتهى من تصنيفه عام (١١٣٨ هـ). وأضراب هؤلاء من الفقهاء الذين أثروا في هذا المجال.

وقد تناول الفقهاء في دراستهم المعاصرة ما يخص آيات الأحكام، ويطول البحث بذكرها.

الآيات، وهو من الكتاب في مجال آيات الأحكام، مالكي المذهب.

ولكن الأرجح أن أعلى رقم وصل إليه عدد الآيات هو الألفان فما زاد، وهو ما ذكره القرطبي^(٢٠)، وهناك من قال بأنها أقل من خمسمائة، منهم: الشيخ محمد خضري بك، الذي يعتقد بأن عدد آيات الأحكام لا يتجاوز ثلاثة، ثم هناك السيوطي والشيخ الطنطاوي اللذان اقتصرا على اعتبار مائة وخمسين آية فقط ذات صلة بالأحكام^(٢١).

لذلك فإن ضبط آيات الأحكام في عدد معين أمر صعب؛ لأن العقول تختلف في فهم الآية ففي قوله تعالى: ﴿لَا يمسه إِلَّا المطهرون﴾^(٢٢)، قد فهم بعضهم أنه المس المادي، بينما بعضهم الآخر فهم منها المس المعنوي، أي أنه لا يعرف دقائق الأمور في القرآن إلا المطهرون من الزلل وهم أهل البيت ع عليهما السلام. وأيضاً من أسباب الاختلاف في عددها هو عدمأخذ المكررات بعين الاعتبار عند إحصاء الآيات الفقهية،

في تفسير آيات الأحكام من القرآن) لمحمد علي الصابوني، وقد تناول التحليل اللغظي والمعنى الإجمالي للآية وسبب نزولها وارتباطها بالآيات الأخرى ووجوه الإعراب مع النكبات البلاغية فضلاً عن الأحكام الشرعية وحكمه التشريع. وغير ذلك الكثير من المؤلفات في هذا الموضوع المهم من تفسير القرآن.

المطلب الرابع:

عدد آيات الأحكام

إن التأكيد على العدد خمسمائة آية في فقه القرآن يستند إلى المشهور بين الفقهاء، حتى صار هذا العدد عنواناً لبعض التأليفات عند الفريقين، وقد اختار مقاتل بن سليمان عنوان «تفسير الخمسمائة آية في الأحكام» المؤلف في فقه القرآن.

وهناك آراء أخرى في ما يتعلق بعدد آيات الأحكام، ومن جملة هذه الآراء ما يعتقد عبد الله بن مبارك من أن آيات الأحكام تشكل تسعمائة آية من آيات القرآن. وقد قام محمد بن عبد الله بن العربي بتفسير هذا العدد من

الآخرين، وإذا دخلت ضمن آيات الأحكام ازداد العدد؛ لذا فمن المناسب أن نقول: إن العدد قد يفوق الخمسين آية ولكن ليس بشكل مفرط.

وقد اختلفت الآراء في تحديد نسبة الآيات المستعملة على الأحكام الفقهية في القرآن الكريم، ففي روايات أهل البيت عليهما السلام أنّها ربع القرآن أو ثلثه أو أكثر، فقد روى الكليني في الصحيح عن أبي بصير عن أبي جعفر ع قال: «نزل القرآن أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام»^(٢٥).

وعن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين ع يقول: «نزل القرآن أثلاثًا: ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام»^(٢٦).

وفي رواية عن أبي عبد الله ع قال: «إن القرآن نزل أربعة أرباع: ربع حلال، وربع حرام، وربع سنن وأحكام، وربع خبر ما كان قبلكم ونبأ ما يكون بعدكم وفصل ما بينكم»^(٢٧).

ومن الواضح كون الحلال والحرام

أو أنهم راعوا في ذلك عنوان الحكم، وهو ما سيؤدي بالطبع إلى قلة العدد المطروح، ويحتمل أن السبب وراء الأعداد الكبيرة المذكورة هو اتباع نوع من الرؤية في تحديد آيات الأحكام، حيث أرادوا أن يحصلوا على بعض الاستفادات الفقهية من خلال آيات لا يظهر كونها من آيات الأحكام، كآيات الأمثال، وآيات القصص، وآيات القسم، وغيرها. ويمكن تعليل الاختلاف بأنه عدم ملاحظة الآيات لوحدها يقل العدد، أما إذا ضممنا إليها آيات آخر فيزداد العدد كحمرة القذف فإنها لا تستفاد من قوله تعالى: ﴿يُوْمَ تَشَهِّدُ عَلَيْهِمْ أَسْتَهْمُ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢٨)، لكن عندما نضم إليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْسَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢٩)، يمكن الاستفادة منها. وتوجد الكثير من الآيات التي تتضمن الآداب الإسلامية في التعامل مع

المبحث الثاني:
دور آيات الأحكام في الاجتهاد الفقهى.

المطلب الأول:
كيفية تشخيص آيات الأحكام ومناهج تفسيرها.
 إن آيات الأحكام - كما هو معروف - متوزعة في الكتاب الكريم، ولابد للفقيه المفسر أن يمتلك الأدوات التي تعينه على معرفة آيات التفسير وتشخيصها لغرض التوجّه لاستنباط الأحكام الشرعية، مع الاعتماد أيضاً على ما ورد في السنة الشريفة من روایات صحيحة وبمعونة العقل والإجماع الكافيين عن الحكم.

ومن جملة هذه الأمور الواجب على الفقيه معرفتها ما يأتي:
أولاً: لابد للفقيه من معرفة أسباب النزول، فقد تختص آيات معينة بمورد معين فلا يشمل هذا الحكم للمكلفين كوجوب صلاة الليل على النبي ﷺ فهو أمر خاص له في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزِمْلُ قُمِ الْلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا...﴾^(٢٩).

من الأحكام الفقهية، فطبقاً لهذه الرواية تكون آيات الأحكام نصف القرآن تقريباً.

ونقل عن السيوطي في كتاب الإتقان عن القاضي أبي بكر بن العربي قوله: «وأما علوم القرآن فالثلاثة: توحيد، وتدكير، وأحكام. فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله.

والتدكير منه الوعد والوعيد، والجنة والنار، وتصفيه الظاهر والباطن، وأحكام منها التكاليف كلّها»^(٢٨).

بل إن القواعد الفقهية هي التي أخذناها من الآيات، من مثل قوله تعالى: ﴿يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يَرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٣٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ﴾^(٣٣)، فالآياتان تدلان على نفي العسر والحرج.

وكذلك استفادة القواعد الأصولية منها، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيَّ فَتَبَيَّنُوا أَنَّ تُصِيبُوهُ قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوهُ عَلَى مَا فَعَلُوتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٣٤)، إذ يُستدل بها على حجية خبر الواحد.

رابعاً: فضلاً عن معرفة الفقيه بالتفاصيل القرآنية والإمام بما جاء في القرآن الكريم بصورة تفصيلية حتى يتسعى له معرفة آيات الأحكام من غيرها، ومما يساعد في معرفة آيات الأحكام وتشخيصها - وبلا شك - هو الإمام بعلوم اللغة العربية، إذ تختلف الألفاظ في مواتها وهباتها فقد ورد: ﴿فَاعْلُوْلُوا الْخَيْرَ﴾^(٣٥)، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ تَقْصُرُوا﴾^(٣٦)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾^(٣٧)، وهناك الجملة

ويتمكن معرفة ذلك من خلال الروايات الواردة في شأن نزول الآية، ولكن بعد الفحص والتدقيق في مدى صحة هذه الروايات.

ثانياً: وكذلك على الفقيه المفسر أن يتبع السياق القرآني، بعض الآيات قد لا يستفاد منها الحكم الشرعي المعين، ولكن عند ضمها إلى آيات أخرى - كما ذكر سابقاً - فيتمكن استفادة الحكم الشرعي. ففي سورة المطففين في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٣٠)، فإنه لا تعد هذه الآيات من آيات الأحكام إذا أقصرنا النظر إليها، لكن عند ملاحظة الآيات السابقة، ومن خلال السياق القرآني في قوله تعالى: ﴿وَيُلْلُهُمْ لِلْمُطَفَّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوْهُمْ أَوْ وَزَنُوْهُمْ يُخْسِرُوْنَ﴾^(٣١)، تستفيد منها حرمة التطفيق من خلال التهديد الصريح.

ثالثاً: وكذلك لا بد للفقيه من معرفة القواعد الفقهية التي تشتمل عليها الآيات،

والطابع العامّ الغالب على ما كتبه المؤلّفون من الشيعة هو المنهج الثالث. والمؤلّفون من العامة قد استخدمو المنهج الأوّل، وقد أُلف بعضهم على أساس المنهج الرابع في الآونة الأخيرة.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى كتاب (تفسير آيات الأحكام للسيد الطباطبائي) الذي يتميّز بأسلوب خاصّ، حيث يتناول هذا التفسير آيات الأحكام على وفق ورودها في المصحف الشريف بالبحث والتحقيق. فيذكر الآية ثم يذكر كونها مكية أو مدنية ثم يشرع ببيان معناها والحكم أو الأحكام التي تستفاد منها.

ويمتاز هذا التفسير عن أمثاله ونظائره بمقارنة ما استفيد من الآية الكريمة بآراء المذاهب الإسلامية الأخرى، وبيان آراء فقهائهم ومفسّريهم، وما ورد من الروايات في الموضوع من طرقيهم، مشيراً إلى موارد الالتفاق والاختلاف، فهو في الحقيقة بحث تفسيريّ فقهيّ مقارن.

الخبرية المثبتة **«الطلاق مرتان إمساك»**^(٣٨)، بينما توجد الجملة الخبرية المنفيّة **«ليس على الضعفاء»**^(٣٩)، وهكذا.

وأما المناهج في تفسيرها، فقد اعتمد المفسرون لآيات الأحكام أربعة

مناهج في تفاسيرهم، وهي:

١- تفسير آيات الأحكام على وفق الترتيب الوارد في القرآن. وهذا يطرح على ضوء ورود الآيات في المصحف الشريف بترتيب سورة وآياته، بدءاً بالحمد فالبقرة فأَل عمران، وهكذا دواليك.

٢- تفسير آيات الأحكام على وفق ترتيب السور حسب نزولها.

٣- تفسير آيات الأحكام طبقاً لأبواب الفقه. وهو السير على ترتيب الكتب الفقهية التي تقسم الفقه عادةً إلى أربعة أقسام: العبادات، والعقود، والإيقاعات، والأحكام.

٤- تفسير آيات الأحكام طبقاً للمسائل الفقهية على أساس الأهميّة وشدّة الحاجة إليها بحسب متطلبات الزمان والمكان.

المطلب الثاني:

دور آيات الأحكام في الاستنباط

الفقهي

لا شك أن لمعرفة آيات الأحكام فائدة عظيمة للباحث الفقهي، بل نرى أن العلماء يشترطون في المجتهد أن يكون عالما بذلك. والعلم بآيات الأحكام هي الطريق لمعرفة ما شرعه الله، فبها نعرف الحلال والحرام.

فآيات الأحكام هي تلك الآيات الموجودة في القرآن، والتي يُترقب أن يكون لها دلالة على موقف عملي للمكلفين، وبعبارة أخرى: هي الآيات التي تتحدث - بشكل أو باخر - عن قضية شرعية أو قانونية في الإسلام. وكذلك جملة من الآيات تشتمل على قواعد فقهية وأصولية والتي من خلالها تستنبط الأحكام الفقهية مثل:

١. قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ
بَئَثَتَ رَسُولًا﴾^(٤٠)، فقد استفيد منها في بحث البراءة في أصول الفقه، واعتمدت دليلاً على أصلية البراءة الشرعية.

٢. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنْ

الْحَقِّ شَيْئًا﴾^(٤١)، حيث استفيد منها في عدم حجية خبر الواحد وأمثاله.

٣. قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
إِنْ يَتَهْوُا يُغَفَّرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(٤٢)، حيث فهم منها بعضهم قاعدة الجب وسقوط الحدود والعقوبات الثابتة قبل الإسلام.

وكذلك توجد جملة من الآيات تدل على الحكم الشرعي مباشرة، فمن جهة يمكن تنويع الآيات إلى ما يفيد الحكم مباشرةً، وما تكون له فائدة غير مباشرة. فمثال قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَ اللَّهُ
الْبَيْعَ﴾^(٤٣)، هو مثال للآلية التي لها دلالة مباشرة على الحكم.

أمّا مثال: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾^(٤٤)، فهو مثال للآلية التي لها دلالة غير مباشرة، وذلك عبر ضم آية: ﴿وَحَمْلُهُ
وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٤٥)، حيث سيصبح المجموع - من وجهة نظر بعض الفقهاء، وكما تقيده بعض الروايات - دالاً على أقل مدة الحمل.

وقدرة الفقيه القرآني الذي يدعى اشتغال القرآن على كل الأحكام أو

المطلب الثالث:

نماذج من آيات الأحكام

نقتصر في هذا البحث على بعض النماذج من آيات الأحكام التي يطول البحث كلما أكثرنا منها. ففي قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فِي إِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِ﴾^(٤٦)، يقول صاحب تفسير الأمثل: «واختلف المفسرون في وقت نزول الآية، منهم من قال إنها نزلت في عمرة القضاء) في السنة السابعة للهجرة، وكان من شروط النبي ﷺ مع المشركين في هذه السفرة رفع الصنمين من الصفا والمروة، وقد عملوا بهذا الشرط، لكنهم أعادوهما إلى محلهما.

وهذا أدى إلى كراهة المسلمين السعي بين الصفا والمروة، فنزلت الآية لتنهئهم عن هذه الكراهة»^(٤٧).

فهذه الآية توحى بدلالة الآية على جواز السعي بين الصفا والمروة، مع أنَّ هذا السعي واجب، لكن عندما نعرف

يدعى اشتتماله على أكثر الأحكام، تكمن في استنطاقه النصوص القرآنية للحصول على أكبر عدد ممكن من الأحكام الشرعية مباشرةً، أو بطريق غير مباشر كما تقدم.

فكَلَّما نجح الفقيه القرآني - على مستوى التجربة الميدانية الاجتهادية - في توفير عدد أكبر من الأحكام عبر النص القرآني فإنه يكون قد عزَّ - بالتجربة والاستقراء - نظريته في جامعية القرآن بمعناها الأعلى (كل)، أو الأدنى (أغلب).

وقد بيَّنت الكثير من الآيات تفصيلات أحكام الإرث والمحارم بسبب الرضاع، أو النسب وغيرها مما ذكر من الموارد الأخرى، وآيات الدين والتي أفاد منها الباحث الفقيهي في استنباط الأحكام الشرعية مباشرةً.

العطش قتلوكم كيف شاءوا، فأنزل الله عليهم المطر وزالت تلك العلل، وقويت قلوبهم، ونزلت الآية^(٤٩).

وقد ناقش الشيخ آل راضي سبب النزول وقال عن السند بأنه ضعيف مع معارضتها بروايات أخرى، والمعروف تاريخياً أن المسلمين هم الذين سبقو المشركين على آبار بدر، ولم يُنقل عن المؤرخين أن المشركين سبقو إليها، وهذا مما يزيد في شكنا في صحة رواية سبب النزول على الرغم من شهرتها، ولذا لا يمكن الاعتماد عليها^(٥٠).

المعنى الإجمالي:

يعشيشكم العناس: أي يجعل العناس غاشياً عليكم ومحيطاً بكم، والنعاس هو أول النوم. أمنة: الأمان، وأما الأمان من الله أو من العدو. الرجز: الرجس وهو الشيء القذر. والمهم في الآية هو بيان آيات الأحكام فيها فقد قال تعالى: ﴿وَيَنْزَلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطْهُرَ كُمْ بِهِ﴾، فهي تدل على طهارة ومطهرية الماء المطلق باعتبار أن الذي يطهر لا بدّ

السبب وهو وجود الأصنام في المسعى وقلق المسلمين من السعي بينهما مع وجود الأصنام، نفهم أنّ نفي الجناح في الآية ليس عن السعي، بل عن حالة وجود الأصنام وأنت تسعى، فيختلف فهمنا للآية الكريمة - نسبياً - إذا صحّ سبب النزول هذا.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشِيَكُمُ النَّعَاصِ أَمْنَةً مِّنْهُ وَيَنْزَلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطْهُرَ كُمْ بِهِ وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزُ الشَّيْطَانِ وَلِيُرِبِّطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثْبِتَ بِهِ الْأَقْدَام﴾^(٤٨)، فالمشهور في سبب نزولها أنها نزلت في بدر بسبب أن الكفار سبقو المسلمين إلى الماء فاضطرب المسلمون ونزلوا إلى تل من رمل سيال لا تثبت فيه أقدامهم، وأكثرهم خائفون لقتلتهم وكثرة الكفار، فباتوا تلك الليلة على غير ماء فاحتلم أكثرهم، فتمثل لهم إبليس وقال: تزعمون أنكم على الحق وأنتم تصلون بالجنابة وعلى غير وضوء، وقد اشتد عطشكם، ولو كنتم على الحق ما سبقوكم إلى الماء، وإذا أضعفكم

وقوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون *
الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾^(٥٢)
فالخشوع من خش: خشع يخشع
خشوعاً واحتسب وتحسب: رمى بصره
نحو الأرض وغضبه وخفض صوته.
وقوم خش: متلذذون. وخش بصره:
انكسر^(٥٣)، والخشوع جامع لكل ما قيل
في تفسيره من الخوف^(٥٤)، ويشمل
سكون الجوارح وغض البصر وخفض
الجناح وتنكيس الرأس وعدم الالتفات
يميناً وشمالاً. وهذه المعاني مظاهر
خارجية ولوازم جانبية للخشوع الذي
يستلزمها.

روي أن النبي ﷺ رأى رجلاً
يعثث بلحبيته في صلاته، فقال: أما إنك
لو خشع قلبك لخشعت جوارحه، وفي
هذا دلالة على أن الخشوع في الصلاة
يكون بالقلب وبالجوارح^(٥٥).

وينقل عن الإمام علي بن الحسين ع
إذا قام في الصلاة كأنه ساق شجرة لا
يتحرك منه شيء إلا ما حرّكت الريح
منه^(٥٦).

والآيات الكريمة في أول سورة

أن يكون ظاهراً في نفسه، ويُستفاد
أيضاً مطهريته للحدث والخبث
﴿ليطهركم به﴾، ﴿ويذهب عنكم رجز
الشيطان﴾، والذي قد يكون الجنابة
(الحدث الأكبر)، أو الخبث وهو
المني الحاصل بسبب النجاسة.
وهناك معنى آخر ذكره بعضهم^(٥٧)
وهو القول المنسوب لأبي عباس وهو
أن مفاد الآية: إن الله سبحانه نزل الماء
من السماء ليزيل وسوسة الشيطان، إذ
إن إنزال الماء يلقي الطمأنينة في قلوب
المسلمين ويزيد لهم يقيناً بأن الله معهم
ولن يتخلّ عنهم في هذه الساعات
الحرجة، وأنزل عليهم الماء ليطهر به
نفوسهم بسبب ما أصابهم من وساوس
الشيطان وأراجيفه.

فحينئذ سيختلف تفسير الآية، فإذا
كان الرجز هو الجنابة، فيثبت أن الماء
مطهر لحدث الجنابة، وأما ما قيل من
أن الرجز هو الخبث وهو المني، فسيكون
مفاد الآية مطهريّة الماء للخبث وهو
المني، أما على قول ابن عباس فتدل
على التطهير المعنوي.

الخاتمة:

بعد انتهاء البحث في هذا الموضوع المتشعب والذي اقتصرنا فيه على بعض ما مكتنا الله تعالى فيه تبين جملة من الأمور:

١. تشكل آيات الأحكام نسبة معتد بها في القرآن الكريم وقد يزداد العدد أو ينقص حسب فهم الآيات أو تكرارها أو ضمها مع غيرها؛ لذلك رأينا اختلاف العلماء في تحديد عدد آيات الأحكام ونسبتها.

٢. إن بعض الآيات صريحة في بيان الحكم الشرعي وواضحة، أما بعضها الآخر فتدل على الحكم بصورة غير مباشرة يمكن للباحث التفسيري الفقهى ملاحظتها.

٣. لا بد أن تتوفر في المفسر الجنبة الفقهية ومعرفته بالقواعد الفقهية والقواعد الأصولية، فضلاً عن ما يضطلع به من علوم القرآن وعلوم اللغة العربية وغير ذلك من العلوم المختلفة، حتى يتسعى له تفسير الآيات واستنباط الحكم الشرعي منها بمعونة الروايات الصحيحة السندي.

(المؤمنون) هي في مقام بيان بعض صفات المؤمنين؛ إذ تدل الآيات على مطلوبية هذه الصفات، وأن الخشوع ممدوح ومطلوب شرعاً وهو أعم من مطلوبيته وجوباً أو استحباباً، إذاً تستبطن الآية مطلوبية الخشوع في الصلاة وهي مستبطة لكثير من المستحبات والمكرهات، فالمستحبات مثل النظر إلى محل السجود أثناء القيام والطمأنينة وحضور القلب وغير ذلك، وأما المكرهات مثل العبث بالجسد والثياب والتأوه والالتفاتات بالعين يميناً وشمالاً وغير ذلك.

وأيضاً تدل الآيات على مطلوبية أصل الفعل وهو الصلاة باعتبار أنها مطلوبة بإيقاع كيفية خاصة فلا بد أن تكون هي مطلوبة، وإلا فمطلوبية الخشوع في الصلاة دون أن تكون الصلاة نفسها مطلوبة خلاف الملازمية العرفية، وهذه المطلوبية بنحو الوجوب.

- المصادر:**
- * القرآن الكريم.
 - ١. الأیروانی، باقر، دروس تمہیدیة في تفسیر آیات الاحکام، مطبعة: برهان، ١٤٢٣ھ.
 - ٢. الحر العاملی، وسائل الشیعة (آل البيت) ط٢، مطبعة: مهر قم ١٤١٤ھ.
 - ٣. حنبل، أحمد، مسند أحمد، دار صادر، بيروت.
 - ٤. الرواندی، قطب الدين، فقه القرآن، ط٢، مطبعة الولاية قم المقدسة، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشی النجفی.
 - ٥. الذهبی، محمد حسين التفسیر والمفسرون، الناشر: مکتبة هبة، القاهرة، ١٩٧٦.
 - ٦. آل راضی، محمد هادی، آیات الاحکام، ط١، مطبعة الہادی، ١٤١٩ھ.
 - ٧. زکی، إبراهیم دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، إبراهیم طبعة أفغانستان ١٩٣٦.
 - ٨. السیوطی، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفی شیخ مصطفی، مطبعة الرسالة.
٤. لقد اهتم النبي ﷺ وأهل بيته بيان الأحكام الشرعية من خلال الآيات القرآنية عند تفسيرها أو في مقام الجواب عنها.
- ومن ثمَّ توالت التأليفات في هذا الموضوع المهم الذي يعني بالقرآن الكريم بعده المصدر الأساس في التشريع الإسلامي.
٥. على الكليات الإسلامية والحوزات العلمية الاهتمام بهذا الجانب، فلا تكون دراسة الفقه والأصول بمعزل عن هذا الجانب الحيوي الضروري الذي يختص بالآيات مباشرة والذي يمكن من خلاله معرفة أحكام فقهية رئيسة وفرعية عند التعمق في هذا العلم.
- وهذا مجمل ما يمكن التوصل إليه في نهاية البحث، والحمد لله رب العالمين.

- قم، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، ١٤١٦هـ.
١٦. مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.
١٧. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب - ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.
١٨. النديم، محمد بن أبي يعقوب، الفهرست ابن النديم، تحقيق رضا تجدد طبعة مصر.
٩. السلقيني، إبراهيم محمد، الميسّر في أصول الفقه، ط٢، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٩٦.
١٠. الطنطاوي الجوهرى، الجواهر في تفسير القرآن الكريم ١:٣، الطبعة الرابعة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢هـ.
١١. الفيروز آبادى، محمد بن يعقوب، تنوير المقباس من تفسير بن عباس، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٢.
١٢. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.
١٣. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ط٣، تحقيق علي أكبر غفارى، طبع ونشر: دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٨هـ.
١٤. المجلسى - محمد باقر، بحار الأنوار، ط٢، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ.
١٥. معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ١:١٧٤،

الهواش:

- ١٤- النساء: ١٠٣.
- ١٥- محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ١: ١٧٤.
- ١٦- المزمل: ٢٠.
- ١٧- الحر العاملی وسائل الشيعة (آل البيت) - ج ١ ص ٤١٣.
- ١٨- ابن النديم الفهرست ١: ٥٧.
- ١٩- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٤: ٣٥.
- ٢٠- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٢٩.
- ٢١- الإتقان في علوم القرآن ٢: ١٦٥، الطنطاوي الجوهرى، الجواهر في تفسير القرآن الكريم ١: ٣.
- ٢٢- الواقعة ٧٩
- ٢٣- النور ٢٤
- ٢٤- النور ٢٤
- ٢٥- الكافي، الكليني، ٢: ٦٢٧
- ٢٦- الكافي، الكليني، ٢: ٦٢٧
- ٢٧- الكافي، الكليني، ٢: ٦٢٧
- ٢٨- الإتقان السيوطي ج ٢ ص ٤٣٢
- ٢٩- المزمل ٢-١
- ٣٠- المطففين ٦-٤
- ١- فقه القرآن، الرواندي ج ١، ص ٨ الميسّر في أصول الفقه، إبراهيم السلقيني ص ٣٧٧.
- ٢- إبراهيم زكي وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ج ٢، ص ٧٢٢.
- ٣- الذهبي، التفسير والمفسرون ج ٢، ص ٤٣٢.
- ٤- الأيرواني، دروس تمہیدیہ فی تفسیر آیات الأحكام ج ١ ص ١٢.
- ٥- البقرة ٢٢٢.
- ٦- النساء ١٣٥.
- ٧- النحل ٤٤.
- ٨- الأنفال ٦٠.
- ٩- أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٤: ١٥٧.
- ١٠- الكليني، محمد بن يعقوب الكليني، ٥: ٤٩.
- ١١- الحر العاملی، وسائل الشيعة ١: ٤٢٧.
- ١٢- بحار الأنوار ٧٩: ٣٧٥
- ١٣- الأنعام: ٧٢

- ٥١ - (تنوير المقباس من تفسير بن عباس: ١١٤).
- ٥٢ - المؤمنون ٢-١.
- ٥٣ - لسان العرب - ابن منظور ج ٨ ص ٧١.
- ٥٤ - الكافي، الكليني ٣ / ٣١١، ٣٢٠.
- ٥٥ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٨١ ص ٢١٢.
- ٥٦ - وسائل الشيعة (الإسلامية) - الحر العاملي ج ٤ ص ٦٨٥.

- ٣١- المطففين ١.
- ٣٢ - المائدة ١٨٥
- ٣٣- الحج ٧٨
- ٣٤ - الحجرات ٦
- ٣٥- الحج ٧٧
- ٣٦ - النساء ١٠١
- ٣٧- البقرة ١٧٨
- ٣٨ - البقرة ٢٢٩
- ٣٩ - التوبية ٩١
- ٤٠ - الإسراء: ١٥
- ٤١ - يونس: ٣٦
- ٤٢ - الأنفال: ٣٨
- ٤٣ - البقرة: ٢٧٥
- ٤٤ - لقمان: ١٤
- ٤٥ - الأحقاف: ١٥
- ٤٦ - البقرة: ١٥٨
- ٤٧ - مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج ١ ص ٤٥٥.
- ٤٨ - الأنفال: ١١.
- ٤٩ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٣-٧٧ ص ٤.
- ٥٠ - آل راضي، محمد هادي، آيات الأحكام، ص ١١٩.

٨

فَهْمُ القرآن

بَيْنَ التَّأْصِيلِ وَالتَّجَدِيدِ عَلَى
مُسْتَوَى الْقِرَاءَةِ الْقُرْآنِيَّةِ

أ. د. جبار كاظم شنبارة الملا

كلية العلوم الإسلامية / جامعة بابل

المُسْتَخْلِصُ:

وبهذا نكون قد بَيَّنَا أثراً القراءة القرآنية في تحقيق الفهم القرآني، وسلطنا الضوء على أثرها في علوم الشرعية.

الكلمات المفتاحية: (تأصيل، تجديد، فهم، قراءة، قرآن).

مُقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على النبي المؤيد المنصور المسدّد أبي القاسم محمد ﷺ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين علیهم السلام، وعلى صحبه الأخيار المنتجبين. لقد عنى المفسرون في (فهم القرآن) بدءاً من سورة الفاتحة، وانتهاءً بسوره الناس، وشاركهم في الأمر المتخصصون بعلوم القرآن، والفقهاء، وعلماء أصول الفقه في آيات (الأحكام)، وعلماء العقيدة والكلام في آيات (العقائد). والمتقدّمون كلّهم لهم إسهامات في فهم النص القرآني، والقراءة القرآنية رافد من روافد ذلك الفهم عندهم.

ينطلق هذا البحث من فرضية كبرى مفادها قائم على التَّفَرِيقَ بَيْنَ (تفسير القرآن)، و(فهم القرآن)، فالتفسيْر واحد، والفهم متعدد، ومن ثم فإن كل ما كان متعددًا - وعلى وفق هذه الفرضية - فهو من فهم القرآن، وإن عدد تفسيرًا، عند أرباب الفن من المتقدمين، والمتاخرين على حد سواء.

والذي نراه أنَّ (القراءة القرآنية) نافذةٌ من نوافذ فهم القرآن، لا من نوافذ تفسيره، فهي تتحقق (مستوى) من مستويات الفهم، وتُسْبِّحُ في تَعَدُّدِ (الأفهَام)، أو (الفُهُوم)، ولما كان سبيلاً تحصيل القراءة هو الرواية الواردة عن طريق مدرسة أهل البيت علیهم السلام.

لذا فإنَّ الوقوف عليها يكشف عن جنبةٍ من جوانب (التلازم المعرفي) بين القرآن والعترة في دائرة فهم القرآن على مستوى القراءة القرآنية.

أهمية البحث:

لتفسير النَّصِّ القرآنيِّ إِنْ ثَبَتْ مِنَ
وَسِنَدًا، وَخَلَّتْ مِمَّا يُخَدِّشُ بِهِما،
أَوْ مِنَ الْمَعَارِضِ النَّصِّيِّ: الْقَرَآنِيِّ،
أَوِ الرَّوَايَيِّ - وَبِهِذَا تَتَضَّحُ الْقِرَاءَةُ
بِوَصْفِهَا مَسْتَوًى مِنْ مَسْتَوَيَاتِ السُّنَّةِ
الْبَيَانِيَّةِ الصَّادِرَةِ عَنِ الْعُتْرَةِ، وَيَتَأَكَّدُ
الْتَّلَازِمُ الْمَعْرُوفِيُّ بَيْنَ الْقَرَآنِ
وَالْعُتْرَةِ.

إِنَّ الْقِرَاءَاتِ الْقَرَآنِيَّةِ عَلَى مَبْنَىِ
الْمُتَقْدِمِينَ مُتَوَاتِرَةٌ، وَعَلَى وَفْقِ هَذَا
المَبْنَىِ، إِنْ كَانَتْ صَادِرَةً عَنِ
الْعُتْرَةِ - أَوْ عَنِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ نَقَلَتْهَا الْعُتْرَةُ - فَبِهَا
يُفَسَّرُ النَّصُّ؛ اسْتَنَادًا إِلَى قَاعِدَةِ
(تَفْسِيرُ الْقَرَآنِ بِالْقِرَاءَةِ)، وَبِهِذَا
تَبَرَّزُ الْقِرَاءَةُ بِوَصْفِهَا مَسْتَوًى مِنْ
مَسْتَوَيَاتِ السُّنَّةِ الْبَيَانِيَّةِ الصَّادِرَةِ عَنِ
الْعُتْرَةِ، وَبِهِذَا يَتَأَكَّدُ الْتَّلَازِمُ الْمَعْرُوفِيُّ
بَيْنَ الْقَرَآنِ وَالْعُتْرَةِ.

أَمَّا عَلَى مَبْنَىِ الْمُعَاصرِينَ فَهِيِ
إِمَّا اجْتِهَادٌ، وَإِمَّا أَخْبَارٌ آحادٌ، فَإِنْ
كَانَتْ اجْتِهَادًا فَهِيِ قَوَاعِدُ لِفَهْمِ
النَّصِّ الْقَرَآنِيِّ، إِلَّا أَنَّهَا تَنْدَرُجُ
تَحْتَ (الْعَقْلِ)؛ لِذَلِكَ فَهِيِ خَارِجٌ
مَدَارُ الْبَحْثِ.

وَإِنْ كَانَتْ أَخْبَارٌ آحادٌ فَهِيِ
قَوَاعِدُ لِفَهْمِ النَّصِّ الْقَرَآنِيِّ، طَالِمًا
هِيِ صَادِرَةٌ عَنِ الْعُتْرَةِ، أَوْ صَادِرَةٌ عَنِ
النَّبِيِّ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
ثُمَّ نَقَلَتْهَا الْعُتْرَةُ - نَعَمْ، هِيِ قَوَاعِدُ

مشكلة البحث:

إنَّ بِهَا الْبَحْثُ أَسْعَى جَاهْدًا؛
لأَجِيبُ عَلَى إِشْكَالِيَّةِ مَعْرِفَيَّةِ مَفَادِهَا:
هَلْ التَّفْسِيرُ وَالْفَهْمُ وَاحِدٌ، أَمْ أَنَّهُمَا
اثْنَانِ؟ وَعَلَى الْفَرْضِ الثَّانِيِّ، أَيِّ: إِنَّهُمَا
اثْنَانِ، وَعِبَارَةُ أَخْرَى: إِنَّ التَّفْسِيرَ
غَيْرُ الْفَهْمِ، فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا؟ وَلَوْ
سَلَّمَنَا وَقُلْنَا بِالْفَرْقِ، فَأَيِّهِمَا يَكُونُ
وَاحِدًا، وَأَيِّهِمَا يَكُونُ مَتَعَدِّدًا؟.

وَطَالَمَا إِنَّا بِهَا الْبَحْثُ نَتَكَفَّلُ
بِالإِجَابَةِ عَلَى تِلْكَ التَّسْأُولَاتِ -
الْمَذْكُورَةُ آنَفًا - كُلَّهَا، فَيَقِينًا إِنَّا
نَكُونُ قَدْ سَاهَمْنَا بِحَلِّ هَذِهِ الإِشْكَالِيَّةِ.

فرضية البحث:

انطلقَ فِي هَذَا الْبَحْثِ مِنْ
مَجْمُوعَةِ فَرْضِيَّاتِ رَئِيسَةٍ يَمْثُلُ
مَجْمُوعَهَا فَرْضِيَّةُ الْبَحْثِ الْمَركَبَيَّةِ،
عَلَى التَّفْصِيلِ الْآتَىِ:
أَوَّلًا: إِنَّ الْفَهْمَ غَيْرُ التَّفْسِيرِ.
ثَانِيًّا: إِنَّ التَّفْسِيرَ وَاحِدٌ، وَالْفَهْمُ
مَتَعَدِّدٌ.

ثَالِثًا: إِنَّ الْفَهْمَ يَمْكُنُ أَنْ يَتَحَوَّلَ
إِلَى تَفْسِيرٍ، رَابِعًا: إِنَّ الْفَهْمَ إِنْ صَدَرَ
عَنِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ الْأَحْكَامُ، يَمْكُنُ أَنْ
يَتَعَدَّدَ فِي بَابِ (الْأَحْكَامِ)، إِلَّا أَنَّهُ -
هَنَا - يُرَادُ بِهِ الْعِلْمُ، وَإِنَّ سُمَّيَّ
فَهْمًا، خَامِسًا: إِنَّ الْمُتَحَصِّلَ مِنَ
الْقِرَاءَةِ فَهْمٌ فِي إِطَارِهِ الْعَامِ، وَإِنَّ
صَارَ فَهْمًا فِي إِطَارِهِ الْخَاصِّ،
سادِسًا: طَالَمَا إِنَّ الْقِرَاءَةَ مَسْتَوِيَّ مِنْ
مَسْتَوَيَاتِ الْفَهْمِ، وَمَرْدَهَا أَنَّهَا
رَوَايَةٌ - عَلَى مَبْنَى التَّوَاتِرِ عِنْدِ
الْمُتَقَدِّمِينَ، أَوْ عَلَى مَبْنَى الْأَحَادِ
عِنْدِ الْمُعَاصرِينَ - لَذَا تَكُونُ مَسْتَوِيَّ
مِنْ مَسْتَوَيَاتِ التَّلازِمِ الْمَعْرُوفِيِّ بَيْنِ
الْقَرآنِ وَالْعُتْرَةِ، أَمَّا عَلَى مَبْنَى (الْاجْتِهَادِ)،

٤- الإعلام أنَّ للفهْم قواعده،
مثلاً للتفْسِير قواعده.

٥- التَّنبِيَهُ إِلَى أَنَّ الفَهْمَ يَقْرُبُ
إِلَى حدٍّ مَا مِنَ التَّأْوِيلِ فِي تَعْدِدِهِ.

٦- إِثْبَاتُ أَنَّ للفهْمِ أَسْبَابًا تؤدي
لِالْخَتْلَافِ، يُمْكِنُ أَنْ نُسَمِّيهَا (أَسْبَابُ
الْخَتْلَافِ لِلفهْمِ)، مثلاً هُنَاكَ أَسْبَابُ
الْخَتْلَافِ لِالتَّفْسِيرِ، وَأَسْبَابُ الْخَتْلَافِ
لِالفَهْمِ، وَمِنْ أَسْبَابِ الْخَتْلَافِ لِلفهْمِ
الاستنادُ إِلَى قاعدة: (فَهْمُ الْقُرْآنَ
بِالْقِرَاءَةِ).

٧- الإِرْشَادُ إِلَى أَنَّ الفَهْمَ - فِي
الْأَعْمَلِ الْأَغْلَبِ - مُبْنَىٰ عَلَى مَا
يُعْرَفُ عِنْدَ بَعْضِ الْفَقَهَاءِ (لَوْ خَلِينَا
نَحْنُ وَالْقِرَاءَةَ)، أَيْ غَضْبُ النَّظَرِ عَنْ
شَذْوَذِهَا، وَعَدْمُ صَحَّتِهَا، أَوْ وَجْودُ مَا
يُعَارِضُهَا، أَوْ مَا يُخَدِّشُ فِي صَحَّتِهَا،
وَيَجْعَلُهَا غَيْرَ مَعْتَدِدَ بِهَا. نَعَمْ فِي بَابِ
الْتَّرجِيحِ بَيْنَ (الْفَهْمِ) الْمُتَعَدِّدَةِ نَتَخَلِّي
عَنْ مَقْوِلَةِ (لَوْ خَلِينَا نَحْنُ وَالرَّوَايَةَ)،
وَنَسْتَنِدُ لِلنَّظَرِ، فِي الْمُتَنَ، وَالْمُعَارِضِ،
وَبِكُلِّ مَا يُخَدِّشُ فِي صَمِيمِ الدَّلَالَةِ، أَوْ فِي
صَمِيمِ صَدُورِهَا عَنِ الْمَعْصُومِينَ.

فَهِيَ مِنْ بَابِ التَّلَازِمِ الْمَعْرُوفِيِّ بَيْنِ
الْقُرْآنِ وَالْعُقْلِ، إِنْ صَحَّتِ التَّسْمِيَّةُ؛
لَاَنَّ الْقِرَاءَةَ إِنْ كَانَتْ اجْتَهَادًا فَهِيَ
مَسْتَوًى مِنْ مَسْتَوَيَاتِ فَهْمِ الْقُرْآنِ
بِالْعُقْلِ، لَا بِالْقِرَاءَةِ، وَهَذَا الْأَمْرُ إِنْ
ثَبَّتَ فَهُوَ خَارِجٌ مَدَارُ الْبَحْثِ.

أَهْدَافُ الْبَحْثِ:

إِنِّي فِي هَذَا الْبَحْثِ أَهْدَفُ إِلَى
أَمْوَارِ عَدَّةٍ، يُمْكِنُ إِجْمَالُهَا بِمَا
يَأْتِيَ:

١- رفع اللَّبَسِ الْحَاكِلِ بَيْنِ التَّفْسِيرِ
وَالْفَهْمِ، فَهُمَا أَمْرَانِ مُتَغَيِّرَانِ، لَا
مُتَغَيِّرَانِ.

٢- إِثْبَاتُ أَنَّ الْمُتَحَصِّلَ مِنَ الْقِرَاءَةِ
الْقَرَآنِيَّةِ فَهُمُ فِي إِطَارِهِ الْعَامِ.

٣- بِيَانِ أَنَّ الْاِسْتَنَادَ إِلَى الْقِرَاءَةِ
بِوَصْفِهَا مَسْتَوًى مِنْ مَسْتَوَيَاتِ الْفَهْمِ
يُوَضِّحُ بَيْانَ التَّلَازِمِ الْمَعْرُوفِيِّ بَيْنِ الْقُرْآنِ
وَالْعُتَرَةِ، بِنَاءً عَلَى قاعدة: (فَهْمُ الْقُرْآنِ
بِالْقِرَاءَةِ)، وَهِيَ مَنْدُرَجَةٌ تَحْتَ سَتَّهُمْ
الْبَيَانِيَّةِ إِنْ ثَبَّتَ أَنَّهَا عَنْهُمْ صَدَرَتْ، أَوْ
عَنْ طَرِيقِهِمْ مَعَ اللَّهِ مِنَ النَّبِيِّ نَقْلَتْ.

خطة البحث:
جعلت البحث قائماً على مقدمة،
ومبحثين، ثم خاتمة ونتائج، فثبتت
المصادر والمراجع.

تناول المبحث الأول: فهم
القرآن في ضوء قراءة: ﴿...فاغسلوا
وجوهكم وأيديكم من المراقب...﴾.
وتناول المبحث الثاني: فهم القرآن
في ضوء قراءة: ﴿...والصلة الوسطى...﴾.

٨- بيان أنَّ (فهم القرآن بالقراءة)
قاعدة من قواعد الفهم، لا من
قواعد التفسير.

الدراسات السابقة:

لم أجد - في حدود تبعي -
دراسة على هذا النحو، نعم هناك
مادة معرفية أفادت منها، وتلك
المادة وردت في بحثين، أما الأول
 فهو «دلالة (إلى) في آية الوضوء
قراءة تحليلية في مبنى الشيخ
القمي ونقد الشيخ ابن العتاقي
له»^(١).

اما الثاني فهو «التفسير الفقهى
عند الشيخ ابن العتاقي قراءة
نقدية في فقه العبادات»^(٢)، إلا أنَّ ما قيل
هناك غير ما قيل هنا؛ لاختلاف
الدَّواعي، والهدف، والمنهج، وطرق
المعالجة؛ للوصول إلى النتائج.

المبحث الأول:

فهم القرآن في ضوء قراءة:
 (...فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنَ
 الْمَرَاقِقِ...)^(٣).

ذهب القمي إلى أن غسل الأيدي من المرفقين، وقد فهم ذلك من النص القرآني؛ استناداً إلى أن (إلى) بمعنى (من)؛ ومما يؤيد ذلك قوله : «يعني: من المراقب»^(٤).

وعلى وفق هذه الدلالة يكون النص القرآني قد حدد بداية غسل الأيدي من المراقب. والقمي إنما ذهب إلى هذا الرأي؛ لأنّه تبنّى قاعدة: (فهم القرآن في ضوء القراءة القرآنية)، المنقولة لنا عن طريق (الأخبار)، فهو رائد من رواد الاتجاه الإخباري، وهو المنهج السائد في القرون الهجرية الأولى، فقد روى الكليني: أبو جعفر، ثقة الإسلام محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ) عن: محمد بن الحسن وغيره، عن سهل بن زياد، عن عمار بن الحكم، عن

عن الهيثم بن عروة التميمي، قال: سألت أبا عبد الله عاشوراً - يعني الإمام الصادق عاشوراً - عن قوله تعالى: ﴿...فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَاقِقِ...﴾^(٥) فقلت: هكذا؟، ومسحت من ظهر كفي إلى المرفق فقال: «ليس هكذا تنزيلها، إنما هي فاغسلوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنَ الْمَرَاقِقِ»، فقام، ثم أمر يده من مرفقه إلى أصابعه»^(٦).

وقد أورد الشيخ الطوسي: أبو جعفر، شيخ الإسلام محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) الخبر نفسه عن الشيخ الكليني بواسطة، إذ قال: عن أبي القاسم، جعفر بن محمد، عن محمد بن يعقوب - أي: الشيخ الكليني - عن محمد بن الحسن وغيره، عن سهل بن زياد، عن علي بن الحكم، عن الهيثم بن عروة التميمي، ثم أورد الخبر^(٧)، إلا أنَّ الشيخ الطوسي على وفق منهجه في كتابه (التهدية) الذي قدم فيه خدمة جليلة لمذهب أهل البيت ع؛ لأنَّ ممَّا بُني عليه هذا

قول بخلاف ظاهر القرآن؛ بناءً على أنَّ (إلى) بمعنى الانتهاء والغاية - عندهم - والقول بهذا يتطلب أن يكون المرفق غاية في الموضوع، لا أن يكون المبدأ به؟^(١٢).

و واضح من تعاطي الشيخ الطوسي مع هذه القراءة أنَّه استند إليها بوصفها أصلًا دافعًا (نافِيًّا) - أيًّا: أصل ينفي بمقتضاه أنَّ يكون المرفق غاية - لا أصلًا مثبتًا، أيًّا: لم يستند إليه لإثبات أنَّ غسل اليدين يبدأ من المرفق؛ لأنَّ الإمامية لهم موقفٌ موحدٌ من القراءات اتَّبعوا فيه نهج عَلَيْهِ السَّلَام، ولا سيما الإمامان الباقران الصادقان، فقد روی عن الحُسْنَى بن محمد، عن عليّ بن محمد، عن الوشّاء، عن جَمِيلَ بْنِ دَرَاجٍ، عن محمد بن مسلم، عن زُرَارة، عن الإمام أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَام، قال: «إنَّ القرآنَ وَاحِدٌ نَزَّلَ مِنْ عِنْدِ وَاحِدٍ، وَلَكِنَّ الْخَتْلَافَ يَجِيءُ مِنْ قَبْلِ الرُّوَاةِ»^(١٣)، وقد روی عن عليّ بن

الكتاب بيان نوع أسانيد الحديث؛ وممَّا يؤيِّد ذلك قوله: «...أذكُر وجهَ الفساد - أيًّا: في الأحاديث إمامًا من ضعف إسنادها...»^(٨) بين أنَّه حديث ضعيف سندًا^(٩).

وممَّا يؤيِّد ذلك أنَّه وضع بجنبه من جهة اليمين (ضع)، وهو ممَّا يرمِّزُ به عنده للحديث (ضعيف السنَد)^(١٠). ولما كان الحديث ضعيفًا سندًا؛ لذا نجد الشيخ الطوسي لم يستند إلى هذه القراءة التي جاءت في متن الحديث في تأييد ما ذهبت إليه الإمامية من أنَّ غسل اليدين - في الموضوع - يبدأ من المرفق إلى أطراف الأصابع؛ وممَّا يؤيِّد ذلك قوله: «وعلى هذه القراءة - يعني: (من المُرافق) - يُسْقُطُ السُّؤالُ من أصله»^(١١)، وهو سُؤالٌ افتراضي افترضه الشيخ الطوسي - على طريقة: فإن قيل، قلنا - أيًّا: فإن قيل من المعتبرين على بدء الإمامية بغسل المرفق: كيف يمكنكم القول بأنَّ غسل اليدين يبدأ من المرفق إلى أطراف الأصابع؟، وهو

إِلَيْهِ الْخَصْمُ، لَا أَصْلًا مُثْبِتًا لِمَا ذَهَبُوا
إِلَيْهِ.

ويمكن حمل هذه الرواية -على مبني أصحاب الاتجاه الاجتهادي- أنها في معرض بيان الغسل، لا في معرض تحديد دلالة (إلى) في النص القرآني؛ ومما يؤيد ذلك -على وفق رواية الشيخ الكليني، لا على وفق رواية الشيخ الطوسي في التهذيب؛ لأنَّ ما استشهد به لم يذكر في رواية الشيخ الطوسي -أنَّ الهيثم بن عروة التميمي لم يسأل الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن النَّصَ القرآني المذكور آنفًا كيف يُقرأً؟، وإنَّما سأله عن بيان التطبيق، أي: سأله عن كيفية غسل اليدين من الناحية العملية؛ ومما يؤيد ذلك قوله الذي ورد بصيغة سؤال، إذ قال: (هَكَذَا -أَي: أَهَكَذَا الغَسْلَ؟ ثمَّ أَجْرَى أَمَامَهُ عَمَلِيًّا الغَسْلَ
الْمُسْتَفَهَمَ عن بَيَانِ صَحَّتِهِ، مِنْ عَدْمِهَا، إذ قَالَ: (ثُمَّ مَسَحْتُ مِنْ ظَهْرِ كَفَّيِ إِلَى الْمِرْفَقِ)، فجاءَ البَيَانُ مِنْ

إِبرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَذِيْنَةَ عَنْ الفَضِيلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: قَلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: «كَذَبُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ، وَلَكُنُّهُ نَزَلَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ عَنْدِ الْوَاحِدِ»^(١٤).

وقد استند في إثبات ما ذهب إليه إلى اللغة، والسنَّة النَّبُوَيَّةِ.

وقد سار الرَّاوِينَ: أبو الحسن، قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣ هـ) - وهو من فقهاء مدرسة بغداد الفقهية أيضًا - على منوال الشيخ الطوسي في الاستناد إلى القراءة المذكورة آنفًا في إبطال مدعى من ذهب إلى أنَّ (إلى) بمعنى الغاية؛ ومما يؤيد ذلك قوله: «وَيُؤكِّدُ ذَلِكَ قِرَاءَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ مِنَ الْمَرَاقِقِ»^(١٥).

وفي هذا تأكيد لما ذهبَتْ إليه من أنَّ فقهاء الإمامية -من أصحاب الاتجاه الاجتهادي- يستندون إلى القراءة بوصفها أصلًا نافيًا لما ذهبَ

نرجح المعنى الأول؛ لأنَّه معنى ثابت عن أئمَّة أهل البيت علَيْهِمُ الْكَفَافُ، بحسب دعوى الشَّيخ الطوسي - وإنما قلتُ دعوى؛ لأنَّ بعض فقهاء مدرسة الحلة الفقهية لم يتبنُوا هذه الدَّلالة، فلو كانت ثابتةً عن أئمَّة أهل البيت علَيْهِمُ الْكَفَافُ لما جاز لهم ذلك - في حين إنَّ المعنى الثاني غير ثابت لأمور عدَّة.

أمَّا الأمر الأول: فهو أنَّه قراءةٌ غير ثابتة وردت في متن حديث مرويٍّ عن الإمام الصادق علَيْهِمُ الْكَفَافُ. وأمَّا الأمر الثاني: فهو أنَّ الحديث الذي تضمن متنه القراءة حديث ضعيف من جهة السند.

وأمَّا الأمر الثالث: فهو أنَّ هذه القراءة - لو غُضَّ النَّظر عن سندها - قابلة للتَّأویل، وهو الحقُّ؛ وممَّا يؤيِّد ذلك قول صاحب الجوادر (ت ١٢٦٦هـ)، إذ قال: «قد يقال: المراد بالتنزيل التَّأویل، كما يقال: يمكن تنزيله على كذا، فيكون مقصوده إرادة عدم الغسل منكوساً»^(١٨).

الإمام الصادق علَيْهِمُ الْكَفَافُ مُوضِّحاً له أنَّ الغسل يبدأ من المِرْفق، إذ قال: «ثُمَّ أَمَرَ يَدَهُ مِنْ مِرْفَقِهِ إِلَى أَصَابِعِهِ» وهو ما يمكن الإفادة منه أنَّ غسل اليدين يبدأ من المِرْفق، أي: إنَّ الإفادة حاصلةٌ من النَّصِّ الروائي (البياني)، لا من النَّصِّ القرآني.

وأما قوله علَيْهِمُ الْكَفَافُ: (ليس هكذا تنزيلها)، فيمكن حمله على أنَّ التَّزول يقتضي تطبيق البدء بالمرفق، لا الانتهاء به، أي: من النَّاحية الإجرائية، لا في أصل القراءة. ومهم ما يكن من أمر، فإنَّ الشَّيخ الطوسي قد ضعَّفَ سند الرواية في التَّهذيب^(١٩).

ثمَ جاء بما يعارضها في الخلاف؛ إذ ذكر أنَّ (إلى) في الآية الكريمة المباركة بمعنى (مع) عند أئمَّة أهل البيت علَيْهِمُ الْكَفَافُ، وممَّا يؤيِّد ذلك قوله: «وقد ثبتَ عن الأئمَّة علَيْهِمُ الْكَفَافُ أنَّ المراد بها - أي: المراد بـ(إلى) - في الآية: مع»^(٢٠). وفي باب التَّرجيح بينَ كون (إلى) بمعنى (مع)، و(إلى) بمعنى (من)

والمعنى: عندما أضع رَحْلِي فوق ناقتي؛ استعداداً للسفر، لسان حالها يقول: ما باله لا يشع من السَّفَر فوقِي؟^(٢٢). وبعبارة أخرى: إِنَّ الشَّاعِرَ وَصَفَ أَنَّهُ يُتَعَبُ ناقته بطول السَّفَرِ، فلو كانت مِمَّا يتكلَّم؛ لقالَتْ هذِه المَقَالَة^(٢٣)، وعموماً فمهما يكن من أمر، فعلى فرض إمكان تضمنه هذا المعنى، فهو غير متحقّق هنا؛ لأنَّه إذا ثبت ورود معنى عن أئمَّة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فلا يُعدُّ عنه لمعنى آخر، وإنْ كان مُحْتمَلاً عندَ أهل اللغة. وإنْ لم يُثْبِت المعنى (إلى) بمعنى (من) عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فقد ثَبَّتَ في البيان الصَّادر عنهم أَنَّ الغسل يبدأ من المرفق. نعم قد يقال: إنَّ (إلى) تأتي بالمعنيين بمعنى (من)، وبمعنى (مع) رفعاً للتأني^(٤٤). خلاصة رأي الشِّيخ القمي: إنَّ النَّصَ القرآني حَدَّ بداية الغسل مِنْ المرفق؛ بناءً على أنَّ (إلى) بمعنى (من)؛ استناداً لقراءةٍ وردتْ في متنٍ حديثٍ عن الإمام الصادق عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، واستفيد منه أنَّ المرفق داخلاً في الغسل؛ لأنَّ ابتداء

وأَمَّا الأمر الرابع: فهو أَنَّ هذه القراءة وإنْ صَحَّتْ من جهة الدلالة، فهي مَرْجُوحة، لا راجحة من جهة السَّند، إِنْ وُضِعَتْ قُبَّالَة (إلى) بمعنى (مع)، لو سَلَّمنَا بصدورها عن أهل الْبَيْت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لأنَّ ما ثَبَّتَ عنهم - في أقل تقدير على مبنى الشِّيخ الطوسي - يُقدمُ على مالم يُثْبِتُ في باب التَّرْجِيح. وبعبارة أخرى: إنَّ (إلى) بمعنى (مع) مُعارضَة لدلالة (إلى) بمعنى (من)، وراجحة عليهَا؛ للأسباب المذكورة آنفاً، أما إذا قلنا بالتأويل، ومقصوده إرادة عدم الغسل من코ساً، أو يراد بكون (إلى) بمعنى (مع) دخول المرفق، فلا ينافي جعلها بمعنى (من)^(١٩). وممَّا يجدر ذكره: أنَّ اللُّغويَّين قد ذكروا أَنَّ الحرف (إلى) يأتي لـ (الابتداء)، أي: بمعنى (من) واستشهدوا له بقول الشاعر ابن الأحمر: عَمْرُو بن أحمد الباهلي (من البحر الطويل): تَقُولُ وَقَدْ عَالَيْتُ بِالْكُورِ فَوْقَهَا أَيْسَقَى فَلَا يَرَوِي إِلَيَّ أَبْنُ أَحْمَراً^(٢٠). والشاهد فيه: (إلى)، أي: بمعنى (مني)^(٢١).

المبحث الثاني:
فَهُمُ الْقُرْآنِ فِي ضَوْءِ قِرَاءَةٍ:
...وَالصَّلَاةُ الْوُسْطَى...^(٢٦)

الفرع الأول: الْوُسْطَى: العَصْرُ
القراءة: (والصلوة الوسطى: صلاة
العصير)، ومائزر هذه القراءة أنها وردت
من دون (واو)، ويفهم منها أن الصلاة
الوسطى هي صلاة العصر، وهي قراءة
ابن مسعود، وإحدى قراءتي حفصة
وقراءة منسوبة إلى الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ،
على التفصيل الآتي:

١- قرأ ابن مسعود^(٢٧) - أبو عبد
الرَّحْمَنِ، عبد الله بن مسعود الْهُذَلِيِّ
(ت/٣٢هـ) - حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ
وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى: صَلَاةُ الْعَصْرِ^(٢٨)،
وبه قال أبو هُرَيْرَةَ: عبد الرَّحْمَنِ بن
صَخْرِ الدَّوْسِيِّ (ت/٥٩هـ)، وأبو
أَيُّوب: خالد بن زيد الأنصاري (ت/٥٢هـ)،
وأبو سعيد الخدري: سعد بن
مالك (ت/٧٤هـ)، وعيادة السَّلْمَانِيَّ:
أبو عمرو، عبيدة بن عمرو الكوفي
(ت/٧٢هـ)، والحسن البصري: أبو سعيد،
الحسن بن يسار (ت/١١٠هـ)، والضحاك:

الغاية داخل في الغاية حتى عند من
ينكر دخول الغاية^(٢٥)، وهو رأي
مَرْجُوحٌ، لا رَاجِحٌ كَمَا ثَبَّتَ، عند
حمل القراءة على الظاهر، أو عدم
إرادة كون (إلى) بمعنى (مع) دخول
المرفق.

وقد تبَنَّى الْقُمِيُّ المعنى الأوَّلُ، وقد
أفاد ذلك من البيان الرَّوَائِيِّ، ومن
المعلوم أنَّ الرَّوَايَةَ جاءَتْ في معرض
البيان، لا في معرض تحديد الدَّلَالَةِ،
وإنْ كانَ المعنى مما أقرَّه اللَّغويُّونَ،
وعلَى وفق هذه الدَّلَالَةِ يكونُ الابتداءُ
بالمرفق متاحصلاً من النَّصِّ القرآني؛
وبناءً على هذه الدَّلَالَةِ، فهو داخل في
الغسل؛ لأنَّ ابتداءَ الغاية داخل في
الغاية.

عَلَى وَفْقِ مَا رَوَاهُ هُوَ نَفْسُهُ - أَيْ:
الْقُمِيُّ - عَنْ أَبِيهِ، عَنْ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ،
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
الْإِمَامِ الصَّادِقِ أَنَّهُ قَرَأَ: «حَافِظُوا عَلَى
الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى: صَلَاةُ
الْعَصْرِ وَقَوْمُوا اللَّهَ قَاتِنِينَ»^(٣٧).

٤- وَتَبَنَّى الشَّرِيفُ الْمُرْتَضِيُّ: أَبُو
الْقَاسِمِ، عَلِمُ الْهَدِيِّ عَلِيُّ بْنُ الْحَسِينِ
(ت١٤٣٦هـ) مَا تَبَنَّاهُ الشَّيْخُ الْقُمِيُّ،
وَاسْتَدَلَّ عَلَى مَبْنَاهُ بِالْإِجْمَاعِ، وَقِرَاءَةِ
ابْنِ مُسْعُودٍ^(٣٨).

الفَرْعُ الثَّانِي: الْوُسْطَى: الظُّهُرُ
القراءة: (والصلوة الوسطى وصلوة
العصر)، وممازِر هذه القراءة أنها وردت
بـ(واو)، ويفهم منها أن الصلاة الوسطى
هي صلاة الظُّهُرُ، وهي قراءة عائشة،
وإحدى قراءاتي حفصة، وقراءة ابن
عباس، وقراءة منسوبة إلى الإمام الصادق،
على التفصيل الآتي:

١- رَوَى أَبُو دَاؤُودُ: سليمان بن الأشعث
الأَذْدِي السِّجْسَتَانِيُّ (ت٢٧٥هـ)،
والتَّرمِذِيُّ: أبو عيسى، محمد بن عيسى
بن سُورَة (ت٢٧٩هـ)، عَنْ عَائِشَةَ بَنْتِ

أَبُو القَاسِمِ، الضَّحَّاكَ بْنَ مَزَاحِمِ
الْهَلَالِيِّ (ت١٠٢هـ)^(٢٩)، وابن المُنْذِرِ:
أَبُو بَكْرٍ، الْحَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ
(ت٣١٩هـ) الَّذِي حَكَاهُ عَنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ت٤٠هـ)^(٣٠)، وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: النَّعْمَانُ بْنُ
ثَابَتِ الْكُوفِيِّ (ت١٥٠هـ)^(٣١) -
وَأَصْحَابِهِ^(٣٢) - وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: أَبُو
عَبْدِ اللَّهِ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ الشَّيْبَانِيِّ
الْهَذَلِيِّ (ت٢٤١هـ)^(٣٣) مِنَ الْمَذَاهِبِ
الْإِسْلَامِيَّةِ، وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ طَرِيقِ
مَدَرَّسَةِ الصَّحَابَةِ^(٣٤).

٢- قِرَاءَةُ حَفْصَةَ الزَّمْخَشْرِيِّ
٣- ذَكَرَ الْقُمِيُّ أَنَّ الصَّلَاةَ الْوُسْطَى
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ
وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقَوْمُوا اللَّهَ قَاتِنِينَ»^(٣٥)
هِيَ صَلَاةُ الْعَصْرِ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ
(ت١٤٨هـ)^(٣٦).

وَلَعَلَّ أَوَّلَ مَنْ تَبَنَّى ذَلِكَ مِنَ الْإِمَامِيَّةِ
هُوَ الشَّيْخُ الْقُمِيُّ - بِحَسْبِ تَبَعُّبِيِّ - وَمَمَّا
يَجِدُونَ ذِكْرَهُ أَنَّ مُسْتَدَدًّا رَأَيَ الشَّيْخُ
الْقُمِيُّ قِرَاءَةً مَنْسُوبَةً إِلَيِّ الْإِمَامِ الصَّادِقِ

محمد بن مسلم عن أبي جعفر الإمام الباقي (ت/١١٤هـ) قال: قلت له الصلاة الوسطى، فقال: «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين»، والوسطى هي الظهر، وكذلك كان يقرؤها رسول الله ﷺ.^(٤٣)

٥- هذه القراءة - وإن كانت شاذة^(٤٤) ولا يعتد بها إلا أن ابن طاوس الحلي: أبو القاسم، رضي الدين علي بن طاوس (ت/٦٦٤هـ) استند إليها في إثبات كون الصلاة الوسطى صلاة الظهر؛ استناداً إلى العطف الوارد في الرواية، الذي يقتضي المغايرة، وبعبارة أخرى: لما كانت صلاة العصر معطوفة على الصلاة الوسطى؛ لذا فهي غيرها^(٤٥)، وتتابعه المحقق الحلي: أبو القاسم، جعفر بن الحسن (ت/٦٧٦هـ)، في هذا المبني، وأعاد صياغته من وجه نظر لغوية - نحوية - وخلاصته: الواو - في (وصلاة العصر) - للعطف، والعطف يقتضي المغايرة، ورفض أن يقال: إنها زائدة؛ لأنَّ الزِّيادة منافية للأصل، فلا يُصار إليها إلا لوجب^(٤٦)، وهو مُتنَفٍ،

أبي بكر التميمية (ت/٥٨هـ) عن رسول الله (ت/١١هـ) أنه قرأ: حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين^(٤٧).

٢- عن زيد بن أسلم، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي يونس - مولى عائشة زوج النبي ﷺ - قال: «أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً، وقالت: إذا بلغت هذه الآية فاكتب «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر»، ثم قالت عائشة: سمعتها والله من رسول الله ﷺ».^(٤٨)

٣- عن زيد بن أسلم، عن عمرو بن نافع، قال: «كنت أكتب مصحف حفصة - زوج النبي ﷺ - فقالت: إذا بلغت هذه الآية فاكتب «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر».^(٤٩)

٤- ورويت الرواية نفسها عن طريق ابن عباس: أبي العباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب - ابن عم النبي - (ت/٦٩هـ).^(٥٠)

٥- روى العياشي: (ت/٣٢٠هـ) عن

الصحيحة الواردۃ عن أهل البيت علیہم السلام، فقد روى عن أبي بصير أنه قال: سمعت أبا عبد الله الإمام الصادق علیه السلام يقول: صلاة الوسطى صلاة الظهر، وهي أول صلاة أنزل الله علی نبیه»^(٤٩).

وتابعه العلامة الحلى: أبو منصور، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ) فيما قال، وانتهى إلى أن الواو للعاطف على بابها^(٤٧)، وثبتت الواو للعاطف لازمه أن تكون الصلاة الوسطى صلاة أخرى غير صلاة العصر، فمن تمسك بكونها صلاة العصر، لا يصح له الاستدلال بهذه القراءة، ويطلب بدليل آخر.

٦- يتضح مما تقدم أن هذه القراءة التي تمسك بها فريق من مدرسة الصحابة، وفي ضوئها تبنوا أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، بحيث أضحت ذلك الرأي مشهوراً عندهم فهم منها فريق من فقهاء مدرسة أهل البيت علیہم السلام أنها صلاة الظهر، لا صلاة العصر، قال الشيخ الصدوق: «فهذه الأخبار يعني المروية عن عائشة وحفصة - حجة لنا على المخالفين»^(٤٨)؛ لدلالتها على أن الصلاة الوسطى هي صلاة الظهر، ولعل أول من قال بهذا الرأي الشيخ الطوسي، وادعى عليه الإجماع، ثم أصبح مشهوراً، وتأيده الروايات

الخاتمةُ وَنَتَائِجُ الْبَحْثِ:

ما خلصت إليه من بحثي هذا، يمكن أن أوجزه بما يأتي :

١- إن المتحصل من القراءة القرآنية فهم. فإن كانت القراءة اجتهاداً، فهي قاعدة من قواعد فهم النص القرآني المندرجة تحت السنة (الظنية)، وإن كانت القراءة أخبار آحاد، فهي قاعدة من قواعد فهم النص القرآني المندرجة تحت السنة (القطعية)، وإن كانت (متواترة) - على مبني من يرى ذلك، وهو مبني في نظر - فالقراءة قاعدة من قواعد فهم النص القرآني المندرجة تحت السنة (القطعية)، فإن كان طريقها وارداً عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهي تقع ضمن دائرة التلازم المعرفي بين القرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام.

٢- إن الفهم يتعدد؛ والتعدد راجع لتنوع القراءة تارة، فعلى هذا المستوى القراءة متعددة، وتبعاً لهذا التعدد تأتي الأفهام، أو الفهوم متعددة، وتارة تكون الفهوم متعددة داخل القراءة الواحدة، فالتنوع راجع لمستويات الفهم، ولطبيعة

القراءة الواحدة تارة أخرى.

وهو أمر ناتج من تحليل القراءة، على وفق توظيف قواعد الفهم التي ناتجها هذا التعدد.

٣- هناك فرق بين التفسير والفهم، فالتفسير هو ما كان واحداً لا متعدداً، أو المفروض أن يكون كذلك، في حين إن الفهم هو ما كان متعدداً، فالفهم يماثل التأويل في هذا الأمر، وبعبارة أخرى: إن الفهم متعدد، مثلما أن التأويل متعدد، ومثلما أن التأويل إن صدر عن المعصوم صار تفسيراً، فالفهم كذلك إن صدر عن المعصوم صار تفسيراً أيضاً؛ لأن فهم المعصوم علم، نعم سجل القرآن تعدد الفهم الصادر عن المعصومين عليهم السلام، في باب الأحكام، وهناك حكم مشدّد، وهناك حكم مخفف، فال الأول ناظر إلى الجرم، وناظر إلى تعويض المتضرر، والثاني ضم لهما النظر إلى طبيعة الجرم، أو المسؤول عن الجرم، وهذه صورة من صور الرقي والحضارة. يقدمها القرآن في أنصع تجلياتها، قال تعالى: ﴿وَدَاؤُودَ وَسُلَيْمَانَ

إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشْتُ فِيهِ
 غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ *
 فَفَهَمْنَا هَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا
 وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاؤُودَ الْجِبَالَ
 يُسَبِّحُنَّ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٥٠﴾ .

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم

١. أولاً: المصادر القديمة

٢. ابن أحمر: أبو الخطاب، عمرو بن أحمد الباهلي (ت/٧٥٥هـ)

- شعر عمرو بن أحمر الباهلي،
 جمع وتحقيق / د. حسين عطوان /
 منشورات: مجمع اللغة العربية بدمشق /
 دمشق، د. ت.

٣. البيهقي: أبو بكر، أحمد بن الحسين (ت/٤٥٨هـ)

- السنن الكبرى المعروفة بـ (سنن البيهقي)، تحرير: محمد عبد القادر عطا / ط٣، دار الكتب العلمية / بيروت، ١٤٢٤هـ

٤. الترمذى: أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة الضحاك السلمى (ت/٢٧٩هـ)

- الجامع الكبير، المعروف بـ (سنن الترمذى)، تحرير: بشار عواد معروف / دار الغرب الإسلامي، ط١٩٩٦م.

٥. الحلى (العلامة): الحسن بن يوسف بن المطهر (ت/٧٢٦هـ).

٨. الزَّمْخُشْرِيُّ: أَبُو الْقَاسِمِ، جَارُ اللَّهِ
مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ (ت ٥٣٨هـ)
الْكَشَافُ عَنْ حَقَائِقِ غَوَامِضِ
الْتَّزِيلِ وَعُيُونِ الْأَقَاوِيلِ فِي وُجُوهِ
الْتَّأْوِيلِ، تَحْ: مُحَمَّدُ عَبْدُ السَّلَامِ
شَاهِينِ / ط٤، دَارُ الْكِتَبِ الْعُلْمِيَّةِ /
بَيْرُوت، ١٤٢٧هـ
- الْكَشَافُ عَنْ حَقَائِقِ غَوَامِضِ
الْتَّزِيلِ وَعُيُونِ الْأَقَاوِيلِ فِي وُجُوهِ
الْتَّأْوِيلِ، تَحْ: د. عَبْدُ الرَّزَّاقِ الْمَهْدِيِّ /
ط١، دَارِ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ /
بَيْرُوت، ١٤٣٧هـ
٩. السَّرْخِسِيُّ: شَمْسُ الْأَئِمَّةِ مُحَمَّدُ
بْنُ أَبِي سَهْلٍ (ت ٤٩٠هـ)
الْمَبْسوِطُ / دَارُ الْمَعْرِفَةِ، د. ط /
بَيْرُوت، ١٤١٤هـ
١٠. الصَّدُوقُ: أَبُو جَعْفَرٍ، مُحَمَّدُ بْنُ
عَلَيٍّ بْنِ الْحَسِينِ بْنِ بَابُوِيِّهِ الْقُمِيِّ
(ت ٣٨١هـ)
مَعْانِي الْأَخْبَارِ، تَحْ: عَلَيٌّ أَكْبَرُ
الْغَفَّارِيُّ / ط١، مَنشُوراتُ: مَؤْسَسَةِ
الْأَعْلَمِيِّ لِلْمَطَبُوعَاتِ / بَيْرُوت، ١٤١٠هـ
- تذكرة الفقهاء، تَحْ: مَؤْسَسَةِ آلِ
البيت لِإِحْيَاءِ التُّرَاثِ / ط١، مَطْبَعَةِ
مَهْرِ، مَنشُوراتُ: مَؤْسَسَةِ آلِ الْبَيْتِ
لِإِحْيَاءِ التُّرَاثِ / قَمِ الْمَشْرَفَةِ، ١٤١٤هـ
- مَتَهِيُّ الْمَطْلَبِ فِي تَحْقِيقِ
الْمَذْهَبِ، تَحْ: قَسْمُ الْفِقْهِ فِي مَجْمَعِ
الْبَحْثِ الْإِسْلَامِيَّةِ / ط٥، مَنشُوراتُ:
مَجْمَعِ الْبَحْثِ الْإِسْلَامِيَّةِ / مَشْهَدِ
الْمَشْرَفَةِ، ١٤٢٩هـ.
٦. الْحَلَّيُّ (الْمُحَقِّقُ): أَبُو الْقَاسِمِ،
نَجَمُ الدِّينِ جَعْفَرُ بْنُ الْحَسِنِ (ت ٦٧٦هـ)
الْمُعْتَبَرُ فِي شَرْحِ الْمُختَصِّرِ / ط١،
مَؤْسَسَةِ التَّارِيخِ الْعَرَبِيِّ / بَيْرُوت، ١٤٣٢هـ
٧. أَبُو دَاوُدٍ: سَلِيمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ
الْأَزْدِيُّ السَّجْسَتَانِيُّ (ت ٢٧٥هـ)
سُنْنُ أَبِي دَاوُدٍ، تَحْ: مُحَمَّدُ مُحْيَيِّ
الْدِينِ عَبْدُ الْحَمِيدِ / مَنشُوراتُ: الْمَكْتَبَةِ
الْعَصْرِيَّةِ / بَيْرُوت، د.ت.
- الرَّاوِنْدِيُّ: أَبُو الْحَسِنِ، قَطْبُ
الْدِينِ سَعِيدُ بْنِ هَبَّةِ اللَّهِ (ت ٥٧٣هـ)
فِقْهُ الْقُرْآنِ، تَحْ: أَحْمَدُ الْحَسِينِيُّ /
ط٢، مَطْبَعَةِ الْوَلَايَةِ، مَنشُوراتُ: مَكْتَبَةِ
آيَةِ اللَّهِ الْمَرْعَشِيِّ النَّجْفِيِّ الْعَلَامَةِ / قَمِ

١٤. العاملِيُّ (الْحُرُّ): محمد بن الحَسَن بن عَلَيٍّ (ت/١١٠٤هـ)، حُسْنَى النُّورِيُّ (ت/١٢٢٠هـ)

- وسائل الشِّيعَة ومستدرَكُها / ط٢، مؤسَّسة النَّشَر الإسلاميَّ / قم المشرفة، ١٤٣٤هـ

١٥. ابن العتائقيُّ: كمال الدِّين عبد الرَّحْمَن بن محمد بن إبراهيم الحلبيُّ (ت/٧٩٠هـ)

- مختصر تفسير القمي، تحرير: محمد جَوَاد الحُسَيْنِي الجَلَلِيُّ / ط، مطبعة دار الحديث / منشورات: مركز بحوث دار الحديث / قم المشرفة، ١٤٣٢هـ

١٦. العياشِيُّ: أبو النَّصْر، محمد بن مسعود ابن عَيَّاش السَّلَمِي السَّمْرُقَنْدِيُّ (ت/٣٢٠هـ)

- تفسير العياشِيُّ، تحرير: هاشم الرَّسُولِيُّ المُحَلَّلِيُّ / ط٢، مؤسَّسة الأعلمِيَّ للطبعات / بيروت، ١٤٣١هـ

١٧. ابن قدامة المقدسيُّ: أبو محمد، مُوقَّف الدِّين عبد الله بن أَحْمَد الدِّمشقِيُّ الحنبليُّ (ت/٦٢٠هـ)

- الكافي في فِقه الإمام أَحْمَد / ط١،

- معاني الأخبار / ط١، دار المرتضى / بيروت، ١٤٢٩هـ

١١. ابن طَاؤس: أبو القَاسِم، رضيَّ الدِّين عَلَيْهِ بْنُ مُوسَى (ت/٦٦٤هـ) - فلاجُ السَّائل ونجاحُ المَسَائل في عملِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، تحرير: غلام حُسْنَى المَجِيدِيُّ / منشور ضمن موسوعة آل طَاؤس (مؤتمر آل طَاؤس الْحَلَّيِ) / د.ط / د.ت.

١٢. الطُّوسِيُّ: أبو جعفر، شيخ الطَّائفة محمد بن الحَسَن (ت/٤٦٠هـ) - تهذيب الأحكام، تحرير: عليٌّ أكبر الغفارِيُّ / ط١، مطبعة مروي، منشورات: دار الكتب الإسلامية / طهران، ١٣٨٥هـ - الخلاف، تحرير: عليٌّ الخُراسانيُّ، جَوَاد الشَّهْرستانِيُّ، مهدي نَجَف / ط٤، منشورات: مؤسَّسة النَّشَر الإسلاميَّ / قم المشرفة، ١٤٢٩هـ

١٣. العاملِيُّ (الْحُرُّ): محمد بن الحَسَن بن عَلَيٍّ (ت/١١٠٤هـ)

- وسائل الشِّيعَة إلى تحصيل مسائل الشَّرِيعَة / ط، عين الدُّولَة / قم المشرفة، ١٣٢٤هـ

- دار الكتب العلمية / بيروت، ١٤١٤هـ
١٨. القرطبي: أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد (ت/٦٧١هـ) - الجامع لأحكام القرآن، المعروف بـ (تفسير القرطبي)، تـ: أحمد البردوبي، وإبراهيم أطفيش / ط٢، دار الكتب المصرية / القاهرة، ١٣٨٤هـ
١٩. القمي: أبو الحسن، علي بن إبراهيم بن هاشم (حيـ / ٣٠٧هـ) - تفسير القمي، تـ: مؤسسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) / قم المشرفة، ١٤٣٨هـ
٢٠. الكليني: أبو جعفر، ثقة الإسلام محمد بن يعقوب (ت/٣٢٩هـ) - الكافي / ط١، منشورات: الفجر / بيروت، ١٤٢٨هـ.
- الكافـي، تـ: عليـ أكبر الغفارـي / ط٤، المطبعة حيدري، منشورات: دار الكتب الإسلامية / طهران، ١٣٦٥شـ.
- المجلسـي: محمدـ باقرـ (ت/١١١١هـ) - بحار الأنوارـ الجامعةـ لدرـرـ أخـبارـ الأئـمـةـ الأـطـهـارـ، تـ: لـجـنةـ مـنـ الـعـلـمـاءـ / منـشـورـاتـ: دـارـ إـحـيـاءـ التـرـاثـ العـرـبـيـ /
- بيروـتـ، دـ.ـ تـ.
٢٠. المـرتـضـىـ (الـشـرـيفـ): أـبـوـ القـاسـمـ، عـلـمـ الـهـدـىـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـيـنـ (تـ/٤٣٦ـهـ) - رسـائـلـ الشـرـيفـ المـرـتـضـىـ (الـمـجـمـوعـةـ الأولىـ)، تـ: أـحـمـدـ الـحـسـيـنـيـ / منـشـورـاتـ: مؤـسـسـةـ النـورـ لـلـمـطـبـوـعـاتـ، دـ.ـ طـ / بيـرـوـتـ، دـ.ـ تـ.
٢٠. هـاشـمـ الـبـحرـانـيـ: أـبـوـ الـمـكـارـمـ، هـاشـمـ بـنـ سـلـيـمـانـ الـمـوسـوـيـ الـكـتـكـانـيـ التـوـبـلـيـ (تـ/١١٠٧ـهـ)، وـقـيلـ: (تـ/١٠٩ـهـ) - الـبـرـهـانـ فـيـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ، تـ: لـجـنةـ مـنـ الـعـلـمـاءـ وـالـمـحـقـقـينـ الـاـخـتـصـاصـيـنـ / ط٢، منـشـورـاتـ: مؤـسـسـةـ الـأـعـلـمـيـ للـمـطـبـوـعـاتـ / بيـرـوـتـ، ١٤٢٧ـهـ
٢٠. ابنـ هـشـامـ الـأـنـصـارـيـ: أـبـوـ مـحـمـدـ، جـمالـ الدـيـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ يـوـسـفـ (تـ/٧٦١ـهـ) - مـعـنـيـ الـلـبـبـ عـنـ كـتـبـ الـأـعـارـيبـ، تـ: أـبـوـ عـبـدـ اللـهـ، عـلـيـ عـاـشـورـ الـجـنـوبـيـ / بيـرـوـتـ، ١٤٢٨ـهـ
٢١. المـرـاجـعـ الـحـدـيـثـةـ
٢٢. أـحـمـدـ مـخـتـارـ عـمـرـ (الـدـكـتورـ)،

يُصْدِرُهَا مَرْكُزُ الْعَلَّامَةِ الْحَلَّىِ، التَّابُعُ
لِلْعَتَبَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ، الْعَدْدُ: ٥/
الْحِلَّةِ الْمُشَرَّفَةِ، ١٤٣٩ هـ
• خَامِسًا: مُقَدَّمَاتُ الْكُتُبِ
• عَلَيَّ أَكْبَرُ الْغَفارِيِّ

- مقدمة كتاب (تهذيب الأحكام)
للشيخ الطوسي، تحرير: عليّ أكبّر الغفاري /
ط١، مطبعة مروى، منشورات: دار الكتب
الإسلامية / طهران، ١٣٨٥ هـ.

عبد العال سالم مُكرّم (الدُّكتور).
- معجم القراءات القرآنية / ط٢،
مطبعة الأسوة، منشورات: دار الأسوة
للطباعة والنشر / طهران، ١٤٢٦ هـ
• محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦ / هـ)
- جواهر الكلام في شرح شرائع
الإسلام، تحرير: مؤسسة النشر الإسلاميَّيِّ
التَّابُعَة لِجَمَاعَةِ الْمَدْرِسِينَ / قم
الْمُشَرَّفَةِ، ١٤٣٣ هـ

• رابعاً: البحوث والمجلات
• جبار كاظم الملا (الدُّكتور)
- دلالة إلى في (آية) الوضوء قراءة
تحليلية في مبنى الشيخ القمي ونقد
الشيخ ابن العثائقي له (بحث) / منشور
في مجلة المحقق التي يصدرها مركز
العلامة الحلى، التابع للعتبة الحسينية
المقدّسة، العدد: ٤ / الحلة المشرفة،
١٤٣٩ هـ

• سكينة عزيز الفتلي (الدُّكتورة)
- التفسير الفقهى عند الشيخ ابن
العثائقي قراءة نقدية في فقه العبادات
(بحث) / منشور في مجلة المحقق التي

الهؤامش:

- (١٢) المصدر نفسه / ١٥٩.
- (١٣) الكليني / الكافي، ٢ / ٦٣٠.
- (١٤) المصدر نفسه / ٢٦٣٠.
- (١٥) الرأويني / فقه القرآن، ١٥ / ١٥.
- هاشم البحرياني / البرهان في تفسير القرآن، ٢ / ٤٠٨.
- (١٦) ظ: الطوسي / تهذيب الأحكام، ١ / ٦٠-٦١.
- (١٧) الطوسي / الخلاف، ١ / ٧٨.
- محمد حسن النجفي / جواهر الكلام، ٢ / ٢٨٨.
- (١٩) المصدر نفسه / ٢٨٨.
- ديوان ابن الأحمر / ٨٤.
- ابن هشام الانصارى / معني اللبيب، ١ / ٦٧.
- (٢٢) الأشموني / شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٢ / ٧٤.
- (٢٣) ابن الأحمر / ديوان ابن الأحمر / ٨٤ (الهامش).
- محمد حسن النجفي / جواهر الكلام، ٢ / ٢٨٨.
- (٢٥) المصدر نفسه / ٢٨٨ / ٢.
- (٢٦) الحر العاملى / وسائل الشيعة، ٣ / ٦.
- (١) ظ: د. جبار كاظم الملا / دلالة إلى) في آية الوضوء (بحث) / ٥٣-٨٦.
- (٢) ظ: د. سكينة عزيز الفتلي / التفسير الفقهى عند الشيخ ابن العتائقي (بحث) / ٢١-٦١.
- (٣) الكليني / الكافي، ٣ / ٢١، الحر العاملى / وسائل الشيعة، ١ / ٢٨٥.
- (٤) ابن العتائقي / مختصر تفسير القمي / ١٣٩.
- (٥) المائدة / ٦.
- (٦) الكليني / الكافي، ٣ / ٢١، الحر العاملى / وسائل الشيعة، ١ / ٢٨٥.
- (٧) الطوسي / تهذيب الأحكام، ١ / ٦١-٦٢.
- (٨) المصدر نفسه / ١ / ٢ (مقدمة المؤلف).
- (٩) المصدر نفسه / ١ / ٦٠.
- (١٠) علي أكبر الغفارى / مقدمة كتاب (تهذيب الأحكام) للشيخ الطوسي، ١ / ٢١.
- (١١) الطوسي / تهذيب الأحكام، ١ / ٦١.

- (تح: مؤسسة الإمام المهدي)، ابن العتائي / مختصر تفسير القمي، ١/٨٧.
- (٣٧) القمي / تفسير القمي، ١ / ١٢١، الطوسي / تهذيب الأحكام، ٢ / ١٢١، الحر العاملی / وسائل الشیعة، ٣ / ٢٤١، القرآن، العلامة الحلي / منتھی المطلب، ٣ / ٢٨٦.
- (٣٨) رسائل الشّریف المرتضی (المجموعة الأولى)، ١ / ٢٧٥.
- (٣٩) أبو داؤد / سنن أبي داؤد، ١ / ١١٢، الترمذی / سنن الترمذی، ٥ / ٢١٧.
- (٤٠) الصّدوق / معانی الأخبار / ٣١٣.
- (٤١) المصدر نفسه / ٣١٢.
- (٤٢) الزّمخشري / الكشاف (تح: عبد الرّزاق المهدی).
- (٤٣) العياشي / تفسير العياشي، ١ / ١٢٧، الحر العاملی / وسائل الشیعة، ٤ / ٢٢، المجلسي / بحار الأنوار، ٧٩ / ٢٨٨.
- (٤٤) ظ: المجلسي / بحار الأنوار، ٩ / ٢٨٥، د. أحمد مختار عمر، د. عبد العال سالم مكرم / معجم القراءات القرآنية، ١ / ١٨٥.
- (٤٥) ابن طاوس / فلاح السائل / ١٨٩.
- (٤٦) المحقق الحلي / المعتر، ٢ / ١٢١.
- (٢٧) رسائل الشّریف المرتضی (المجموعة الأولى)، ١ / ٢٧٥.
- (٢٨) الحر العاملی / وسائل الشیعة، ٣ / ٦.
- (٢٩) القرطبي / الجامع لأحكام القرآن، ٣ / ٢١٠، العلامة الحلي / منتھی المطلب، ٤ / ١٨٣.
- (٣٠) العلامة الحلي / تذكرة الفقهاء، ٢ / ٣٨٨.
- (٣١) السّرخسي / المبسوط، ١ / ١٤١، المحقق الحلي / المعتر، ٢ / ٥٢، العلامة الحلي / منتھی المطلب، ٤ / ١٨٣.
- (٣٢) القرطبي / الجامع لأحكام القرآن، ٣ / ٢١٠، العلامة الحلي / منتھی المطلب، ٤ / ١٨٣.
- (٣٣) ابن قدامة المقدسي / الكافي، ٢ / ١٢١، المحقق الحلي / المعتر، ٢ / ٥٢، العلامة الحلي / منتھی المطلب، ٤ / ١٨٣.
- (٣٤) البيهقي / السنن الكبرى، ١ / ٤٦١، العلامة الحلي / منتھی المطلب، ٤ / ١٨٣.
- (٣٥) البقرة / ٢٣٨.
- (٣٦) القمي / تفسير القمي، ١ / ١٢١.



.٥٣ - ٥٢

(٤٧) العَلَّامَةُ الْحِلَّيُّ / منتهى المطلب،

.١٨٥ / ٣

(٤٨) الصَّدُوقُ / معاني الأخبار / ٣١٣.

(٤٩) المصدر نفسه / ٣١٢ .

(٥٠) الأنبياء / ٧٨ - ٧٩ .

٩

منهج أهل البيت
في بيان أساس التعامل
مع النص الديني

م. م. صلاح عودة عبد الأمير
م. م. زين العابدين عودة عبد الأمير
تربيـة الهندـية

خلاصة البحث:

إن القرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول لدى المسلمين عامة، فلا يخفى على أحدٍ ما لهذا الكتاب المقدس من منزلةٍ عظيمةٍ في نفوس المسلمين كلهم، فكان وما زال موضوعاً لكثير من الدراسات عنه، في مختلف جوانبه التشريعية والفكيرية والاجتماعية واللغوية. وإن ما تناولوه من علومه وفنونه إن دلّ على شيء فإنما يدل على إعجازه وصدق معناه وجليل خطابه.

ومن بعض تلك الأسس التي نصوا عليها صراحة، ومن أهم القواعد التي أسست في ضوء مرويات المعصومين عليهما فضل القرآن، وإكرام القارئ، والتدبر والتلاوة... الخ.

وتناول البحث القواعد المتعلقة بقارئ النص، وهذه الدراسة لبعض القواعد وليس استقراءً تاماً لجميعها، انطلاقاً من حديث الثقلين أحدهما أكبر من الآخر.

مقدمة:

إن هذه القواعد التي أرسّها المعصوم عليهما السلام، لبيان قدسيّة القرآن الكريم وكيفية التعامل معه؛ لأنَّه المصدر الشرعي الأول لدى المسلمين عمّا فضلا عن كونه كلام الله -عزوجل- فلابد من معرفة كيفية التعامل والتعاطي مع هذا الكتاب المقدس.

فرضية البحث وإشكاليته:

لكي نفهم الكلام الإلهي وكيفية التعامل معه لابد من الرجوع إلى مجموعة من القواعد التي توفر إمكانية التعامل مع القرآن الكريم لأي شخص، وما هذا البحث إلا محاولة للكشف عن بعض الأسس والقواعد في ضوء مرويات أهل البيت عليهما السلام؛ لأنهم أعلم الناس بكتاب الله.

جل ثناؤه أَيْ أَجَأٌ إِلَيْهِ تبارك
وتعالى عوذًا أو عيادة ذكر أيضًا
أنهم يقولون: فلان عياذ لك أَيْ
ملجأً، وقولهم: معاذ الله معناه أَعُوذ
بِالله وَكَذَا أَسْتَعِيْدُ بِالله... والجمع
عوذ^(٢).

وما يفهم من المعنى اللغوي أن
الاستعاذه هي الاستجارة والاتجاء
إلى الشيء، أَيْ التجئ إلى الله من شر
الشيطان الرجيم، والمراد من
الشيطان: (هو كل متمرد من الجن
والأنس كما جاء في القرآن الكريم:
﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ﴾^(٣) ... والمراد
بالرجيم: المطرود من السماء المرمي
بالشهاب الثاقب، وقيل المرجوم
باللعنة)^(٤).

ثانيًا: الاستعاذه اصطلاحاً هي
قولك: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
الرجيم عند قراءة القرآن الكريم^(٥).
المقصد الثاني: حكم التعوذ في
الصلوة: قال المصنف (قدس سره):
للقراءة سنتان سابقتان عليها هما^(٦):
إِولًاً- الاستفتاح، فإذا كبر المصلحي

المبحث الأول:
القرآن الكريم والصلاه:
المطلب الأول:
القرآن الكريم والتعوذ:
أمر الله تعالى بالاستعاذه من
الشيطان الرجيم؛ إذ لا يكاد يخلو
الإنسان من وسوسته.

المقصد الأول:
التعوذ في الصلاه: وفيه:
أولاً: التعوذ لغة: قال الخليل
الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) (رحمه الله):
(عوذ: أَعُوذُ بِاللهِ، أَيْ: أَجَأٌ إِلَيْهِ
عوذًا وعيادة، ومعاذ الله: معناه: أَعُوذ
بِاللهِ، ومنه: العوذة، والتعويذ، والمعاذة
التي يعوذ بها الإنسان من فزع أو
جنون^(١)).

وقد فصل ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)
(رحمه الله) في بيان معناه قائلاً:
(عوذ) العين والواو والذال أصل
صحيح يدل على معنى واحد وهو
الاتجاء إلى الشيء ثم يحمل عليه
كل شيء لصف بشيء أو لازمه قال
الخليل (رحمه الله): تقول: أَعُوذُ بِاللهِ

وفي متهى المطلب: قال (قدس سره): (ويستحب التَّعُوذُ أَمَامُ القراءةِ بَعْدَ التَّوْجِهِ وَهُوَ مذهبُ علَمائِنَا أَجْمَعٍ ... لَنَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(١٢) ... وَمِنْ طَرِيقِ الْخَاصَّةِ: مَا رَوَاهُ الشَّيْخُ فِي الْحَسْنِ، عَنِ الْحَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ثُمَّ تَعُوذُ مِنَ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ اقْرَأْ فَاتِحةَ الْكِتَابِ)^(١٣); وَلَأَنَّ وَسْوَسَةَ الشَّيْطَانِ إِنَّمَا تَعْرُضُ عَنْدَ اشْتِغَالِ الْعَبْدِ بِالطَّاعَاتِ، فَيُسْتَحِبُّ التَّعُوذُ مِنْهُ دُفْعًا لِمُفْسِدِه)^(١٤).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(١٥)، قال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) (قدس سره) في مجمع البيان: (إذا أردت يا محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ قراءة القرآن، فاستعد بالله من شر الشيطان المرجوم المطرود الملعون، وهذا كما يقال: إذا أكلت فاغسل يديك، وإذا صليت فكير، ومنه: ﴿إِذَا قُمْتُ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾^(١٦)،

استحب له قبل القراءة أن يدعوا بدعاء الاستفتح، فيقول: (وجهت وجهي إلى آخره؛ لأن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: كان إذا استفتح النبي ﷺ كبر ثم قال: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حينما مسلما وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياتي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)^(٧)؛ لأنَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ أول مسلمي هذه الأمة، أما نحن فنقول: وأنا من المسلمين.

ثانياً - يستحب بعد دعاء الاستفتح التَّعُوذُ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٨) ولأنَّ النبي ﷺ كان يتَعُوذُ في صلاته قبل القراءة فيقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم^(٩)، وقول الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: ثُمَّ تعوذ من الشيطان الرجيم، ثم تقرأ فاتحة الكتاب^(١٠)، وصورتها: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ لأنَّه لفظ القرآن، ويجوز: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم^(١١).

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ﴾^(٢١)
وهذا عام في جميع الموضع،
وأيضاً إجماع الفرقـة^(٢٢).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى
لو كان التعوذ واجب في الصلاة،
لا يتحمل وجوبه في غير الصلاة.
المطلب الثاني:

صور التعوذ وتكرارها في الصلاة:
المقصد الأول: صور التعوذ:

قال العالمة الحلي (قدس سره)
للتعوذ صور^(٢٣):

أولاً - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
ثانياً - يستحب الإسرار بها ولو في
الجهيرية.

ثالثاً - يستحب التعوذ في الركعة
الأولى خاصة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا
قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٢٤)، (وليس المراد
كل آية بل قراءة واحدة، والصلاحة
كلها واحدة)^(٢٥).

وفي نهاية الإحکام: (وصورتها:
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ لأنه
لفظ القرآن، ويجوز: أعوذ بالله السميع

والاستعاذه: استدعاـء الأدنى بالأعلى
على وجه الخصـوع والتذلل، وتأويـله:
استـعدـ باللهـ منـ وسـوسـةـ الشـيـطـانـ
عـندـ قـراءـتكـ، لـتـسـلـمـ فـيـ التـلاـوةـ مـنـ
الـزـلـلـ، وـفـيـ التـأـوـيلـ مـنـ الـخـطـلـ،
وـالـإـسـتـعاـذهـ عـنـدـ التـلاـوةـ مـسـتـحـبةـ غـيرـ
واـجـبـ بـلـ خـلـافـ، فـيـ الصـلاـةـ،
وـخـارـجـ الصـلاـةـ وـقـدـ تـقـدـمـ ذـكـرـ اـخـتـلـافـ
الـقـرـاءـ فـيـ لـفـظـ الـإـسـتـعاـذهـ فـيـ أـوـلـ
الـفـاتـحةـ)^(٢٦).

والظاهر من كلام المصنـفـ (قدس
سرـهـ) أنه يستحبـ التعـوذـ قبلـ
الـقـرـاءـةـ فـيـ أـوـلـ كـلـ صـلـاـةـ^(٢٧)، (فيـ
الـفـرـائـضـ وـالـنـوـافـلـ)^(٢٨)؛ لـقـولـ الإـمامـ
الـصـادـقـ عـلـيـهـ ثـمـ تعـوذـ مـنـ الشـيـطـانـ
الـرـجـيمـ ثـمـ اـقـرـأـ فـاتـحةـ الـكـتـابـ)^(٢٩)،
وـالـتـعـوذـ مـسـتـحـبةـ فـيـ غـيرـ الصـلاـةـ
وـهـوـ ظـاهـرـ كـلـامـ المـصـنـفـ (قدس
سرـهـ)، وـهـذـاـ موـافـقـ لـمـاـ ذـكـرـهـ
الـشـيـخـ الطـوـسيـ (تـ ٤٦٠ـهـ) (قدس
سرـهـ)ـ فـيـ مـجـمـعـ الـبـيـانـ وـادـعـيـ الإـجـمـاعـ
عـلـيـهـ فـيـ الـخـلـافـ قـالـ: (يـسـتـحـبـ أنـ
يـتـعـوذـ قـبـلـ الـقـرـاءـةـ... دـلـيـلـنـاـ قـولـهـ تـعـالـىـ:

قال الشيخ: يستحب الإسرار به ولو جهر لم يكن به بأس^(٣٠)، وفي رواية حنّان بن سدير قال: (صلّيت خلف أبي عبد الله عليه السلام فتعوذ بإجلاله، ثمَّ جهر ببسم الله الرحمن الرحيم)^(٣١).

الثالث: يستحب التعوذ في أول ركعة من الصلاة خاصة ثمَّ لا يستحب في باقي الركعات. وهو مذهب علمائنا لنا:قصد هو التعوذ من الوسوسات وهو حاصل في أول الركعة فيكتفى به في الباقي...)^(٣٢).

المقصد الثاني:
تكرار التعوذ وعدم تكرارها
في الصلاة:

قال المصنف (قدس سره): (لو نسيه في الأولى لم يأت به في الثانية لفوات محله)^(٣٣)، وفي متى المطلب: (لو تركها عمداً أو نسياناً حتى قرأ مضى في قراءته ولا يعيدها ولا في الركعة الثانية، لنا: فعل فات محله فيفوت بفواته كالاستفتح)^(٣٤).

العليم من الشيطان الريجيم، ويستحب الإسرار ولو في الجهرية؛ لأنَّه ذكر مشروع بين التكبير والقراءة فسن فيه الإسرار كدعاء الاستفتح عندهم، وإنما يستحب في الركعة الأولى خاصة؛ لأنَّ الصلاة فعل واحد، فيكتفى فيه الاستعاذه الواحدة كالتجهيز؛ لأنَّه عليه السلام كذا فعل)^(٢٦).
وفي تحرير الأحكام قال (قدس سره): (... وصورته: أَعُوذ بالله من الشيطان الريجيم، ويجوز أَعُوذ بالله السميع العليم من الشيطان الريجيم، قال الشيخ: ويستحب الإسرار به^(٢٧)، التعوذ مستحب في أول ركعة من الصلاة خاصة، ولا يستحب في الباقي...)^(٢٨).

وفي متى المطلب: (التعوذ أن يقول: أَعُوذ بالله من الشيطان الريجيم... لأنَّه لفظ القرآن المجيد. ولو قال: أَعُوذ بالله السميع العليم من الشيطان الريجيم، قال الشيخ: كان جائزًا، لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢٩)، الثاني:

وفي تذكرة الفقهاء: (يجب الجهر بالبسملة في مواضع الجهر... في أول الحمد وأول السورة عند علمائنا؛ لأنها آية من السورة تتبعها في وجوب الجهر... ومن طريق الخاصة قول صفوان: صليت خلف الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُوْنَ أَيَّامًا وَكَانَ يَقْرَأُ فِي فاتحة الكتاب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِذَا كَانَتْ صَلَاةً لَا يَجْهَرُ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ جَهْرًا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَأَخْفَى مَا سُوِّيَ ذَلِكَ).^(٤٠)

وفي منتهى المطلب: (لا خلاف بين علمائنا القائلين بوجوب الجهر أنَّه يجب الجهر بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في المواضع التي تجهر فيها بالقراءة؛ لأنَّها آية من الحمد والسورة فيجب الجهر بها... ومن طريق الخاصة: ما رواه الشَّيخُ فِي الصَّحِيفَةِ، عَنْ صَفْوَانَ قَالَ: (صَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمُوْنَ أَيَّامًا فَكَانَ يَقْرَأُ فِي فاتحة الكتاب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِذَا كَانَتْ صَلَاةً لَا يَجْهَرُ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ جَهْرًا بِسْمِ اللَّهِ

ثُمَّ بَيْنَ (قَدْسَ سَرِّهِ) قَائِلًا: (لَوْ تَرَكَهَا عَمَدًا أَوْ نَسِيَانًا حَتَّى قَرَأَ مَضِيَ فِي قِرَاءَتِهِ وَلَا يَعِدُهَا وَلَا فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ)، أي البسملة في الصلاة.^(٣٥) وفي تحرير الأحكام: (ولَوْ تَرَكَهَا عَمَدًا أَوْ نَسِيَانًا حَتَّى قَرَأَ مَضِيَ فِي قِرَاءَتِهِ وَلَا يَعِدُهَا فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ).^(٣٦)

والمأمور إذا أدرك الإمام بعد فوات الأولى لم يستفتح ولا يتغَوَّذ^(٣٧)، أي أن المأمور إذا أدرك الإمام بعد فوات الأولى (الرَّكْعَةُ الْأُولَى) لم يستفتح (دُعَاءُ الْاسْتِفْتَاحِ) وهو: وجهت وجهي إلى آخره، ولا يتغَوَّذ وصورتها: (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ).

المطلب الثالث:

القرآن والبسملة: وفيه:

المقصد الأول:

الجهر بالبسملة في مواضع الجهر: قال المصنف (قدس سره) في (تحrir الأحكام): (يجب الجهر بالبسملة في مواضع الجهر...).^(٣٨)

الإخفات، بل يستحب الجهر بها في مواضع الإخفات، في أول الحمد وأول السورة؛ لأنها بعض السورة فيتبعها في وجوب الجهر، (ومن طريق الخاصة)^(٤٧)، قال صفوان: (صليت خلف الصادق عَلَيْهِ الْأَيَّامُ وَكَانَ يَقْرَأُ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) إِذَا كَانَتْ صَلَاةً لَا يَجْهَرُ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ جَهْرًا بِ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وَأَخْفَى مَا سُوِيَ ذَلِكَ)^{(٤٨)، (٤٩)}.
وقال المصنف (قدس سره) في (متهى المطلب): (قال أكثر علمائنا يستحب الجهر بها في مواضع الإخفات)^(٥٠)، قال علم الهدى (ت ٤٣٦ هـ) (قدس سره): (ومن أصحابنا من يرى الجهر بها في كل صلاة للإمام، أما المنفرد فيجهر بها في صلاة الجهر، ويختبئ بها في الإخفات)^(٥١)، وقال ابن إدريس (ت ٥٩٨ هـ) (قدس سره): إنما يستحب الجهر بها في أولتي الظاهر والعصر دون أواخرهما، وثالثة المغرب وأخرى العشاء^(٥٢)، لنا: (عن صفوان قال: صليت خلف أبي عبد الله عَلَيْهِ الْأَيَّامُ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَأَخْفَى مَا سُوِيَ ذَلِكَ)^(٤١)، وعن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال: صلَّى بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ فِي مَسْجِدِ بْنِي كَاهْلٍ فَجَهَرَ مَرْتَّبَتِينَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَقَتَّ فِي الْفَجْرِ وَسَلَّمَ وَاحِدَةً مَمَّا يَلِي الْقَبْلَةِ)^(٤٢)، وفي الموثق، عن مسمع البصري قال: صلَّى مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ قَرَأَ السُّورَةَ...)^(٤٣)؛ لأنها آية من الحمد وغيرها فكان لها حكم باقي الآيات^(٤٤).

المقصد الثاني:
حكم الجهر بالبسملة في مواضع الإخفات:
قال المصنف (قدس سره): (...ويستحب في مواضع الإخفات)^(٤٥)، أي البسملة، وفي قواعد الأحكام: (ويستحب الجهر بالبسملة في أول الحمد والسورة في الإخفاتية)^(٤٦).
وفي نهاية الأحكام: (والتسمية تابعة للقراءة في وجوب الجهر لا

أن يكون مِراده أَوْلُ الْحَمْدِ وَأَوْلُ
السُّورَةِ لَا الظَّهَرُ وَالْعَصْرُ كَمَا فَهَمَهُ
هُوَ).^(٥٦)

وفي تحقيق ذلك قال المصنف
(قدس سره) في كتابه (مختلف
الشيعة): (اتفقَ الْمُوجَبُونَ لِلْجَهْرِ
بِالْقِرَاءَةِ عَلَى وجوبِهِ فِي الْبِسْمَةِ
فِيمَا يَجْهَرُ فِيهِ، وَإِنَّمَا الْخَلَافُ وَقَعَ
فِي مَوَاضِعِ الْأُولَى: أَوْجَبَ ابْنُ
الْبَرَاجِ (ت٤٨١هـ) (قدس سره) الْجَهْرَ
بِهَا فِيمَا يَخْافُتُ فِيهِ وَأَطْلَقَ^(٥٧)، وَأَوْجَبَ
أَبُو الصَّالِحِ (ت٤٤٧هـ) (قدس سره)
الْجَهْرَ بِهَا فِي أَوْلَى الظَّهَرِ وَالْعَصْرِ
فِي ابْتِداِ الْحَمْدِ وَالسُّورَةِ الَّتِي تَلِيهَا^(٥٨)
وَالْمَشْهُورُ الْاسْتِحْبَابُ، لَنَا: الْأَصْلُ
بِرَاءَةُ الذَّمَّةِ مِنَ الْوَجُوبِ؛ وَلَأْنَهَا
جَزءٌ السُّورَةِ الَّتِي تَجْبُ الْإِخْفَاتِ
فِيهَا فَيُعَيِّنُ فِيهَا الْمَسَاوَةُ؛ لَكِنْ
صَرَنَا إِلَى الْاسْتِحْبَابِ عَمَلاً بِقَوْلِ
الْأَصْحَابِ، احْتَجَوْا بِمَا رَوَاهُ صَفَوَانُ
فِي الصَّحِيفَةِ: (قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ طَائِلَةً أَيَامًا فَكَانَ يَقْرَأُ
فِي فَاتِحةِ الْكِتَابِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

أَيَامًا كَانَ يَقْرَأُ فِي فَاتِحةِ الْكِتَابِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَإِذَا كَانَ
صَلَاةً لَا يَجْهَرُ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ جَهْرًا
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَأَخْفَى مَا
سُوِيَ ذَلِكَ).^(٥٩)

وَمَا رَوَاهُ الشَّيْخُ: عَنْ أَبِي حَمْزَةِ
الثَّمَالِيِّ: (قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسِينِ عَلَيْهِ
يَا ثَمَالِيَ إِنَّ الصَّلَاةَ إِذَا أُقِيمَتْ جَاءَ
الشَّيْطَانُ إِلَى قَرِينِ الْإِمَامِ فَيَقُولُ:
هَلْ ذَكَرَ رَبِّهِ؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ، ذَهَبَ،
وَإِنْ قَالَ: لَا، رَكِبَ عَلَى كَتْفِيهِ، فَكَانَ
إِمَامُ الْقَوْمِ حَتَّى يُنْصَرِفُوا: قَالَ: فَقَلَّتْ:
جَعَلَتْ فَدَاكَ أَلَيْسَ يَقْرُؤُنَ الْقُرْآنَ؟ قَالَ:
بَلِّي لَيْسَ حِيثُ تَذَهَّبُ يَا ثَمَالِيَ إِنَّمَا
هُوَ الْجَهْرُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)^(٥٤)
وَذَلِكَ مَطْلُقُ فِي جَرِيَّةِ إِطْلَاقِهِ
إِلَى أَنْ يَظْهُرَ الْمَقِيدُ، وَتَخْصِيصُ
ابْنِ إِدْرِيسِ (ت٥٩٨هـ) (قدس سره)
اسْتِحْبَابُ الْجَهْرِ بِمَا يَعْيَنُ فِيهِ
الْقِرَاءَةُ مَمَّا لَا وَجْهٌ لَهُ، وَتَمَسُّكُهُ
بِالْاحْتِيَاطِ غَيْرِ دَالٍ عَلَيْهِ، وَاحْتِجاجُهُ
بِقَوْلِ الشَّيْخِ فِي الْجَمْلَةِ: وَيَسْتَحِبُّ الْجَهْرُ
بِهَا فِي الْمَوْضِعَيْنِ^(٥٥)، فَاسْدُ، لَا حِتمَالٌ

المخافطة، الثالث: قال علي بن بابويه (ت ٣٨١هـ) (قدس سره): (واجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في جميع الصلوات)^(٦٣)، وفي المبسوط^(٦٤)، والخلاف^(٦٥)، والنهاية^(٦٦): يستحب الجهر بها فيما لا يجهر فيه من الصلوات، وكذا في الاقتصاد^(٦٧)، وقال السيد المرتضى (ت ٤٣٦هـ) (قدس سره) في الجمل: ويفتح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم، يجهر بها في كل صلاة جهراً كانت أو إخفاتاً^(٦٨)، وقال الشيخ (ت ٤٦٠هـ) (قدس سره) في الجمل: (والجهر بـ بسم الله الرحمن الرحيم فيما لا يجهر بالقراءة فيه في الموضعين)^(٦٩)، قال ابن إدريس (ت ٥٩٨هـ) (قدس سره): المستحب إنما هو الجهر في الركعتين الأولتين من الصلاة الإخفاتية دون الأخيرتين، فإنه لا يجوز الجهر فيهما بالبسملة^(٧٠)، وكلام المتقدمين يقتضي عموم استحباب الجهر بها في غير الجهرية؛ لأنها مما يستحب الجهر بها في الإخفاتية،

الرحيم) فإذا كانت صلاة لا يجهر فيها بالقراءة جهراً (بسم الله الرحمن الرحيم) وأخفى ما سوى ذلك^(٧١)، ومداومته على الجهر تدل على الوجوب، والجواب: المنع من الوجوب، فإنه علّى^(٧٢) كان يداوم على المستحب كما يداوم على الواجب، الثاني: المشهور استحباب الجهر بالبسملة فيما يختلفت فيه للمنفرد والإمام، ونقل ابن إدريس (ت ٥٩٨هـ) (قدس سره) عن بعض أصحابنا: أن الجهر بها في كل صلاة إنما هو للإمام، وأما المنفرد فيجهر بها في الجهرية، ويختلفت بها فيما عدتها^(٧٣)، وأظن أن المراد بذلك هو ابن الجنيد (ت ٣٨١هـ) (قدس سره)؛ لأنه هو من أفتى بذلك في كتاب الأحمدى^(٧٤)، لنا: إنه قول أكثر علمائنا فيكون راجحاً على غيره، احتجوا بأن الأصل وجوب المخافطة بها فيما يختلفت به؛ لأنها بعض الفاتحة خرج عنه ما إذا كان إماماً لرواية صفوان^(٧٥)، فيبقى المنفرد على الأصل، والجواب: المنع من عموم وجوب

والعصر، ولو أراد الآخرين من كل فريضة لما قال في الموضعين، بل في الموضع، وأيضاً فلا خلاف في سقوط الذم عن ترك الجهر ويخشى من الجهر لحقوق الذم فيكون تركه أولى، وأيضاً قد روى زرارة عن الباقر ع ^{عليه السلام} أن الآخرين لا قراءة فيها ^(٧١)، والجواب: أنه لا يلزم ومن عدم التعيين عدم استحباب الجهر بالبسملة فيما والاحتياط معارض بأصله براءة الذمة عن وجوب الإلتفات في البسمة، وبافي أدلة تكرار لهذين، قوله: إن مراد الشيخ بالموضعين الظهر والعصر ليس بواضح، ويمكن أن يكون مراده قبل الحمد وبعدها ^(٧٢).

المقصد الثالث:
حكم الجهر بالبسملة وإلتفاتها للنساء:
 قال المصنف (قدس سره) في نهاية الأحكام: (إنما يجب الجهر على الذكر، فلا يجب على الأنثى وإن

وكذا في الركعات الأولى. احتاج ابن إدريس بأن الصلاة إما جهرية وإما إلتفاتية، فالإلتفاتية الظهر والعصر، والجهر بالبسملة في الركعتين الأولىين مستحب؛ لأن فيهما تعيين القراءة، فأما الآخرين فلا تعيين فيهما القراءة، ولا خلاف في أن الصلاة الإلتفاتية لا يجوز الجهر فيها بالقراءة، والبسملة من جملة القراءة، وإنما ورد في الصلاة الإلتفاتية التي تعيين فيها القراءة، ولا تعيين إلا في الأولىين فحسب، وأيضاً طريقة الاحتياط تقتضي وجوب ترك الجهر بالبسملة في الآخرين؛ لأنه لا خلاف في صحة الصلاة مع ترك الجهر، وفي أيضاً لا خلاف في وجوب الإلتفات في الآخرين، فمن أدعى استحباب الجهر في بعضها وهو البسمة، فعليه الدليل قال: وقول الشيخ (قدس سره): باستحباب الجهر في الموضعين يريد به الظهر

القمي قال: سألت أبا الحسن الأول عَلَيْهِ الْكَفَافُ عن الرجل يصلي بقوم يكرهون أن يجهر بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال: لا يجهر^(٧٦)،^(٧٧) وفي تحرير الأحكام: (... ويجوز الإسرار بها مع التقية، وإن وجب الجهر)^(٧٨).

المبحث الثاني:

سورة الحمد والصلاوة:

المطلب الأول:

حكم البسمة من أول سورة
الحمد

ذكر المصنف (قدس سره) في
(الرسالة السعدية): (... أنه يجب
قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) في
أول الحمد وأول كل سورة...).

وفي قواعد الأحكام: (القراءة

وليست ركنا بل واجبة بطل
الصلاوة بتركها عمداً، ويجب الحمد
ثم سورة كاملة في ركعتي الثانية
وال أولى من غيرها، والبسمة آية
منها ومن كل سورة).

وفي منتهى المطلب: البسمة آية من

خللت بنفسها إجماعاً؛ لأن صوتها
عورة، ولا تخافت دون إسماع
نفسها وما لا يتعين فيه القراءة، لا
يسقط استحباب الجهر بالبسملة فيه
على الأقوى^(٧٩).

وفي تذكرة الفقهاء: (لا جهر
على المرأة بإجماع العلماء؛ لأن
صوتها عورة، ولا تخافت دون
إسماع نفسها).

وفي منتهى المطلب: (ليس على
المرأة جهر في شيء من الصّلوات
كافّة وهو قول كل من يحفظ عنه
العلم؛ لأنّ صوتها عورة فلا يجوز
لها إبرازه إلى الرجال، نعم لا
تقصر في الإخفاء عن إسماع
نفسها لو كانت تسمع).

المقصد الرابع:

حكم الجهر بالبسملة حال التقية:
قال المصنف (قدس سره): (يجوز
الإسرار بها حالة التقية وإن وجب
الجهر بها، للضرورة وينويده: ما رواه
الشيخ: (عن أبي جرير زكريّا بن إدريس

فدادك ما تقول في رجل ابتدأ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في صلاته
وَحْدَهُ فِي أَمِّ الْكِتَابِ فَلَمَّا صَارَ إِلَى
غَيْرِ أَمِّ الْكِتَابِ مِنَ السُّورَةِ تَرَكَهَا؟
فَقَالَ الْعَبَّاسِيُّ: لِيَسْ بِذَلِكَ بِأَسِّ
فَكَتَبَ عَلَيْهِ بَخْطَهُ: يَعِدُهَا مَرْتَينَ
عَلَى رَغْمِ أَنْفِهِ: يَعْنِي الْعَبَّاسِيُّ^(٨٤)،
وَفِي الصَّحِيحِ: (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
مُسْلِمٍ) قَالَ: سَأَلَتْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ
عَنِ السَّبْعِ الْمَثَانِيِّ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ
هِيَ الْفَاتِحَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ قَلْتُ: بِسْمِ
اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنَ السَّبْعِ؟ قَالَ:
نَعَمْ، هِيَ أَفْضَلُهُنَّ^(٨٥)؛ وَلَأَنَّ اللهَ تَعَالَى
قَالَ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ
الْمَثَانِي﴾^(٨٦)، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: إِنَّهَا
الْفَاتِحَةُ ثَنَىٰ فِي كُلِّ صَلَاةٍ مَرْتَينَ^(٨٧)،
وَإِنَّمَا تَكُونُ سَبْعًا بِالْتِسْمِيَّةِ؛ وَلَأَنَّهَا
ثَابَتَةٌ فِي الْمَصَاحِفِ بَخْطَ الْقُرْآنِ وَقَدْ
كَانَتِ الصَّحَابَةُ تَشَدَّدُ فِي
الْتَّعْشِيرَاتِ وَالنَّقْطِ وَأَسْمَاءِ السُّورِ،
فَكَيْفَ يَجُوزُ لَهُمْ إِثْبَاتُ مَا لَيْسَ
مِنَ الْقُرْآنِ فِيهِ؛ وَلَأَنَّ الْقَرَاءَ يَقْرُؤُنَاهَا
فِي أَوَّلِ السُّورِ كَغَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ^(٨٨).

سورة الحمد...^(٨١)، وَجَاءَ أَيْضًا فِي
(مِنْتَهِيِ الْمَطْلَبِ): (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ)، آيَةٌ مِنْ أَوَّلِ الْحَمْدِ وَمِنْ
كُلِّ سُورَةٍ إِلَّا بِرَاءَةً وَهِيَ بَعْضُ آيَةٍ
فِي سُورَةِ النَّمَلِ تَجُبُ قِرَاءَتُهَا فِي
الصَّلَاةِ مِبْدئًا بِهَا فِي أَوَّلِ الْفَاتِحَةِ،
وَهُوَ مَذْهَبُ فَقَهَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ^(٨٩)...
وَمِنْ طَرِيقِ الْخَاصَّةِ: مَا رَوَاهُ الشَّيْخُ
فِي الصَّحِيحِ: (عَنْ صَفَوَانَ قَالَ: صَلَّيْتُ
خَلْفَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَيَّامًا، فَكَانَ
يَقْرَأُ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ بِسْمِ اللهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَإِذَا كَانَتْ صَلَاةٌ
لَا يَجْهَرُ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ جَهْرًا بِسْمِ اللهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَأَخْفَى مَا سَوْى
ذَلِكِ)^(٨٢)، وَفِي الصَّحِيحِ: (عَنْ
مَعَاوِيَةَ بْنِ عُمَّارٍ قَالَ: قَلْتُ لِأَبِي
عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ: إِذَا قَمْتُ لِلصَّلَاةِ أَقْرَأْ
بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي فَاتِحَةِ
الْقُرْآنِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَلْتُ: فَإِذَا قَرَأْتَ
فَاتِحَةَ الْقُرْآنِ أَقْرَأْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ مِعَ السُّورَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ^(٨٣)، وَفِي
الصَّحِيحِ: (عَنْ يَحِيَّيِّ بْنِ عُمَرَ الْهَمَدَانِيِّ
قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ: جَعَلْتُ

المطلب الثاني:

قراءة البسمة في الصلاة:

قال المصنف (قدس سره): (بسم الله الرحمن الرحيم، آية من كل سورة، إلا براءة، فلو أخل بها في الحمد، أو في السورة، بطلت صلاته إن كان عمداً، وإنما فلا، ويجب أن يقرأها بنية أنها من سورة معينة، فلو قرأها من غير نية، تعين عليه إعادتها عند قراءة السورة، وكذلك يعيدها لو عدل عن سورة إلى أخرى).^(٩٦)

وهل تقرأ البسمة في الركعة الأولى فقط أو في كل ركعة قال المصنف (قدس سره): (والبسملة آية من الفاتحة... وكذلك باقي سور القرآن، فإن البسملة آية منها عند علمائنا أجمع إلا براءة وفي سورة النمل آية وبعض آية).^(٩٧)

أي أن البسمة من الفاتحة ومن كل سورة من القرآن الكريم فيجب قراءتها في كل ركعة مع الفاتحة ومع أول كل سورة من سور القرآن الكريم.

وفي نهاية الإحکام: قال (قدس سره): (والبسملة آية من الفاتحة؛ لأنه عالثة).^(٩٨)

قرأ فاتحة الكتاب فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) وعدها آية منها، وقال عالثة: (إذا قرأت فاتحة الكتاب فاقرؤوا (بسم الله الرحمن الرحيم) فإنها أم القرآن والسبع المثانى، وإن (بسم الله الرحمن الرحيم) آية منها).^(٩٩) وسائل معاوية بن عمار الصادق عالثة: (إذا قمت إلى الصلاة أقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) في فاتحة القرآن؟ قال: نعم، قلت: إذا قرأت فاتحة القرآن أقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) مع السورة؟ قال: نعم).^(١٠٠) وفي تذكرة الفقهاء: (البسملة آية من الحمد، ومن كل سورة عدا براءة، وفي النمل آية وبعض آية... ومن طريق الخاصة قول الصادق عالثة وقد سأله معاوية بن عمار: (إذا قمت إلى الصلاة أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة القرآن؟ قال: نعم: قلت: فإذا قرأت فاتحة القرآن أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم مع السورة؟ قال: نعم).^(١٠١)

المطلب الثالث:
الصلاوة والفاتحة والسورة بعدها:
وفيه:
المقصد الأول:

هل تجب الفاتحة أم أي قرآن في الصلاة:

هل تجب قراءة القرآن في الصلاة على من صلى إماماً أو منفرداً؟ وهل تجب الفاتحة في غير الصلاة؟ . قال المصنف(قدس سره) في نهاية الإحکام: (القراءة واجبة في كل صلاة صادرة من مكلف مفترض، إمام أو منفرد عارف أو متمن، وشرط في الصلاة عند علمائنا أجمع... فاقرؤوا ما تيسّر من القرآن)، وقوله عليهما السلام: (لا صلاة إلا بقراءة)، وليس واجبا في غير الصلاة فيجب فيها إجماعاً.

هل تجب قراءة القرآن في الصلاة على من صلى إماماً أو منفرداً؟ وهل تجب الفاتحة في غير الصلاة؟ . قال المصنف(قدس سره) في نهاية الإحکام: (القراءة واجبة في كل صلاة صادرة من مكلف مفترض، إمام أو منفرد عارف أو متمن، وشرط في الصلاة عند علمائنا أجمع؛ لقوله عليهما السلام: (لا صلاة إلا بقراءة)، وليس ركنا على الأصح؛ لعموم: رفع القلم عن أمتي الخطأ والنسيان)، والجهل ليس عذرا، وإنما تجب في الفرائض حالة القيام في كل ركعة مرة قبل الركوع. ويجب الحمد والسورة الكاملة في كل ثنائية، وفي الأولتين من غيرهما).

وفي نهج الحق وكشف الصدق: (ذهب الإمامية إلى وجوب قراءة فاتحة

الكتاب في الصلاة لقوله عليهما السلام: (لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب)، وقال: (لا صلاة لمن لم يقرأ فاتحة الكتاب).

وورد أيضاً في تذكرة الفقهاء: (القراءة واجبة في الصلاة وشرط فيها عند علمائنا أجمع... فاقرؤوا ما تيسّر من القرآن)، وقوله عليهما السلام: (لا صلاة إلا بقراءة)، وليس واجبا في غير الصلاة فيجب فيها إجماعاً.

وفي تحقيق ذلك (لا تجب القراءة في غير الصلاة) قال المصنف(قدس سره) في المختلف: (إن القراءة لا تجب في غير الصلاة وهو إجماع، إذا ثبت هذا فنقول: يجب بمقتضى هذا الأمر وجوب قراءة كل ما تيسر من القرآن في الصلاة خرج عنه ما زاد على الحمد والسورة بالإجماع، فتعين الباقى عملاً بالمقتضى السالم عن معارضة الإجماع الدال على خلافه، وما رواه منصور بن حازم قال: قال أبو عبد الله عليهما السلام: (لا تقرأ في المكتوبة بأقل من سورة ولا بأكثر)، ولأن

لم يوجبهها فلم يوجب أبعاضها، فالفرق ثالث، احتج الشيخ بما رواه علي بن رئاب في الصحيح، (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن فاتحة الكتاب يجوز وحدها في الفريضة)^(١٠)، ومثله روى الحلباني في الصحيح، عن الصادق عليه السلام^(١١)، وأعلم أن أصح ما وصل إلينا في هذا الباب هذان الحديثان؛ ولأن الأصل براءة الذمة، ولأن أجزاء بعض السورة يستلزم عدم وجوب السورة والملزوم ثابت، لما رواه عمر بن يزيد في الصحيح (قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيقرأ الرجل السورة الواحدة في الركعتين من الفريضة؟ فقال: لا بأس إذا كانت أكثر من ثلاثة آيات)^(١٢)، والجواب عن الأول: أنه محمول على الضرورة، لما رواه عبيد الله بن علي الحلباني في الصحيح، (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا بأس أن يقرأ الرجل في الفريضة بفاتحة الكتاب في الركعتين الأولتين إذا ما أعمجلت به حاجة أو تخوف شيئاً)، وجاه الاستدلال به:

وجوب الصلاة في الذمة متيقن فلا يخرج المكلف عن العهدة باليقين إلا بقراءة السورة مع الحمد؛ ولأن وجوب التسمية بعد الحمد قبل السورة يستلزم وجوب السورة والملزوم ثابت فيثبت اللازم، أما الملازمة ظاهرة، إذ لو صلى بالحمد وحدها على تقدير عدم وجوب السورة لم تجب عليه الإعادة وإن ترك التسمية بعد الحمد. وأما ثبوت الملزوم فلما رواه يحيى بن عمران الهمданى قال: (كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام) جعلت فداك ما تقول في رجل ابتدأ بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) في صلاته وحده في أم الكتاب، فلما صار إلى غير أم الكتاب من السورة تركها، فقال العباسي: ليس بذلك بأس؟ فكتب بخطه: يعيدها مرتين على رغم أنف العباسي)^(١٣)، لا يقال: يجوز اختصاص وجوب التسمية في أول السورة لمنقرأ السورة لا مطلقاً؛ لأنّ نقول: إذا لم تكن السورة واجبة لم يكن أبعاضها واجبة؛ لأن علمائنا بين قائلين أحدهما أوجب السورة، والآخر

مقامها شيء من القرآن؛ لقوله عليه السلام: (لا صلاة لمن لم يقرأ في صلاته بفاتحة الكتاب)^(١١٧)، وسئل محمد بن مسلم: (عن الذي لا يقرأ بفاتحة الكتاب في صلاته، فقال: لا صلاة له إلا أن يقرأها في جهر أو إخفات)^(١١٨)؛ ولأن القراءة جزء من الصلاة، فكانت متعمية كالركوع والسجود^(١١٩).

قال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) (قدس سره) في التهذيب: (إإن المراد به أنه متى لم يقرأها على العمدة دون النسيان فإنه لا صلاة له، فأما مع النسيان فإن صلاته جائزه)^(١٢٠).

وفي منتهى المطلب: (إذا فرغ من التعوذ قراء ولا نعلم فيه خلافا في وجوب القراءة وكونها شرطا في الصلاة بين العلماء... لنا: قوله تعالى: ﴿فَاقْرُؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(١٢١)، وقوله تعالى: ﴿فَاقْرُؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾^(١٢٢)... ومن طريق الخاصة ما رواه الشيخ في الصحيح عن محمد بن مسلم عن أحد هماع عليه السلام: (... فيمن ترك القراءة متعمداً أعاد الصلاة...)^(١٢٣)، وفي الصحيح عن محمد

أنه عليه السلام علق نفي البأس على العجلة أو الخوف فيثبت مع انتفاءهما، وأصالة براءة الذمة غير ثابتة مع العلم بشغلها بالتكليف، فلا يسقط إلا مع العلم بنفيه، وأما الحديث الآخر: فإنه لا يدل على المطلوب لاحتمال إرادة تكرير السورة الواحدة في الركعتين، إذ الأفضل قراءة (إنا أنزلناه) في الركعة الأولى، والتوحيد في الثانية، فقوله عليه السلام: لا بأس بالواحدة فيهما^(١١٤)، لما رواه علي بن جعفر، عن أخيه موسى عليهما السلام: قال: (سألته عن الرجل يقرأ سورة واحدة في الركعتين من الفريضة وهو يحسن غيرها، فإن فعل بما عليه؟، قال: إذا أحسن غيرها فلا يفعل، وإن لم يحسن غيرها فلا بأس)^{(١١٥)، (١١٦)}.

المقصد الثاني:
قراءة فاتحة الكتاب وما يقوم مقامها في الصلاة:
قال المصنف (قدس سره): (وتتعين الفاتحة في فرائض الصلوات حالة القيام، أو ما يقع بدلا عنه، ولا يقوم

الركعتين الأوليين، قراءة الحمد وسورة كاملة في كل ركعة لقوله ﷺ: (لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب)^(١٢٩)، وصلى بالحمد وسورة كاملة، وقال: ﷺ: (صلوا كمارأيتمني أصلني)^(١٣٠)، وكان عَلَيْهِ السَّلَام يصلي بالحمد وسورة كاملة في كل ركعة، والاحتياط يقتضي ذلك أيضاً، فإنه إذاقرأ في كل ركعة الحمد وسورة كاملة، صحت صلاته إجماعاً...^(١٣١).

وفي تذكرة الفقهاء: (وتتعين الفاتحة في كل فريضة ثنائية، وفي الأوليين من غيرها عند علمائنا أجمع... ومن طريق الخاصة قول محمد بن مسلم: (سألته عن الذي لا يقرأ فاتحة الكتاب في صلاته، قال: لا صلاة له إلا أن يقرأها في جهر أو إخفات)^(١٣٢); لأن القراءة جزء من الصلاة فكانت متعدنة كالركوع والسجود).^(١٣٣)

وفي منتهى المطلب: (ويتعين الحمد في كل ثنائية وفي الأوليين من الثلاثية والرباعية ذهب إليه علماؤنا أجمع ... لنا: قوله عَلَيْهِ السَّلَام: (لا صلاة لمن لم يقرأ

بن مسلم عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَام: (قال: سأله عن الذي لا يقرأ فاتحة الكتاب في صلاته، قال: لا صلاة له إلا أن يقرأ بها في جهر أو إخفات).^(١٢٤).

المقصد الثالث:
قراءة سورة الفاتحة في الركعة الأولى والركعة الثانية:
قال المصنف (قدس سره) في إرشاد الأذهان: (القراءة، وتجب في الثنائيّة وفي الأوليين من غيرها الحمد وسورة كاملة...).^(١٢٥)

وفي تبصرة المتعلمين: (القراءة، و يجب الحمد والسورة في الثنائيّة، والأوليين من غيرها...).^(١٢٦)

وفي نهاية الإحکام: (ويجب الحمد والسورة الكاملة في كل ثنائية، وفي الأوليين من غيرهما).^(١٢٧)

وفي قواعد الأحكام: (... ويجب الحمد ثم سورة كاملة في ركعتي الثنائية والأوليين من غيرها، والبسملة آية منها ومن كل سورة).^(١٢٨)

وفي الرسالة السعدية: (أنه يجب في

الأولتين بأم الكتاب وسورتين، وفي الأخيرتين بأم الكتاب^(١٣٩)، وقال عليهما السلام: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ومعها غيرها^(١٤٠)، وأوجب الباقر عليهما السلام الإعادة لو ترك السورة بعد الحمد^(١٤١)، وقيل: لا تجب السورة بعد الحمد للخبر^(١٤٢)، وهو محمول على حال الضرورة والاستعجال؛ لقول الصادق عليهما السلام: يجوز للمربيض أن يقرأ في الفريضة فاتحة الكتاب وحدها^(١٤٣)، وسئل الصادق عليهما السلام: أيجزي عني أن أقرأ في الفريضة فاتحة الكتاب وحدها إذا كنت مستعجلًا أو أعجلني شيء؟، فقال: لا بأس^(١٤٤)، وكذا يجوز الاقتصار على بعض سورة بعد الحمد عند الضرورة أو الاستعجال؛ لأنه أولى من ترك الجميع^(١٤٥).

وفي تذكرة الفقهاء: (وفي وجوب سورة بعد الحمد في الثانية وأولي غيرها قولان: الأشهر: الوجوب... من طريق الخاصة قول الباقر عليهما السلام) وقد سُئل ما تقول فيمن قرأ أم الكتاب فلما صار إلى غير أم الكتاب من السورة

فاتحة الكتاب^(١٣٤)، رواه عبادة؛ ولأن النبي ﷺ داوم عليها، ومواظبه تدل على تعينها، ولقوله عليهما السلام: (صلوا كما رأيتموني أصلّى)^(١٣٥)، ومن طريق الخاصة: رواية محمد بن مسلم، عن الباقر عليهما السلام^(١٣٦).

المطلب الرابع:
قراءة القرآن بعد الفاتحة في الصلاة:
و فيه:

المقصد الأول:
قراءة القرآن بعد الفاتحة في الركعتين الأولى والثانية من الثلاثية، ومن الركعتين الاوليتين من الرابعة: قال المصنف في إرشاد الأذهان: (القراءة، وتجب في الشائبة وفي الأولتين من غيرها الحمد وسورة كاملة)^(١٣٧).

وفي تحرير الأحكام: (ويتعين الحمد وسورة كاملة في كل ركعة مرة في الثانية، وفي أوليي الثلاثية والرابعة)^(١٣٨).

وفي نهاية الإحكام: (وتجب سورة أخرى بعد الفاتحة في الأولين من كل فريضة؛ لأنه عليهما السلام كان يقرأ في الظهر في

صار إلى غير أُمّ الكتاب من السورة ترکها؟ فقال العباسي^(١٤٦): ليس بذلك بأس، فكتب بخطه: يعدها مرتين على فكتب عَلَيْهِ بخطه: يعدها مرتين على رغم أنفه، يعني العباسي^(١٥٣)، وترك الجميع يستلزم ترك البسمة فكان أولى بوجوب الإعادة، وعن منصور بن حازم قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ: (لا تقرأ في المكتوبة بأقل من سورة ولا بأكثر)^(١٥٤)، وفي رواية حمّاد، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ في تعليم صفة الصلاة، ثم قرأ الحمد وسورة^(١٥٥)، وكان ذلك في معرض البيان، وفي الصحيح، (عن محمد بن مسلم، عن أحد هما عَلَيْهِ)، قال: سأله عن الرجل يقرأ السورتين في الركعة؟ فقال: لا، لكل سورة ركعة)^(١٥٦)؛ ولأن الاحتياط يقتضي ذلك، إذ البراءة تحصل باليقين مع قراءتها لا مع تركها احتجَّ الشّيخ بما رواه، عن الحلبّي في الصحيح، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ: (إِنْ فاتحة الكتاب وحدها تجزئ في الفريضة)^(١٥٧)... والجواب عن الأول: أَنَّه محمول على الضرورة أو حالة الاستعجال، ويفيده:

تركها؟ فقال العباسي^(١٤٦)، ليس بذلك بأس، فكتب بخطه: يعدها مرتين على رغم أنفه)^(١٤٧).

وفي المختلف: (المشهور أنه يجب على المختار قراءة سورة بعد الحمد في الثنائيّة والأولين من الرباعيّة والثلاثيّة...)^(١٤٩).

وفي متنه المطلب: (إِذَا فرغ من الحمد في كُلّ ثنائیّة، وفي أُولٰئِي كُلّ ثلاثيّة ورباعيّة من الفرائض قرأ سورة أُخْرَى تامّة وجوباً حال الاختيار، ذهب إليه أكثر علمائنا)^(١٥٠)، وقال في النهاية: لا تجب السورة الأخرى^(١٥١)... قال الشّيخ في الخلاف والمبسوط: (الظاهر من روايات أصحابنا ومذهبهم أن قراءة سورة أخرى مع الحمد واجب في الفرائض، ولا يجزئ الاقتصار على أقل منها)^(١٥٢)، ومن طريق الخاصة: ما رواه الشّيخ في الصحيح، عن يحيى بن عمران الهمданى قال كتبت إلى أبي جعفر عَلَيْهِ: جعلت فداك ما تقول في رجل ابتدأ بِسْم اللّٰه الرّحْمٰن الرّحِيم في صلاته وحده في أُمّ الكتاب فلما

المقصود الثاني:
قراءة القرآن بعد الفاتحة في
الركعة الثالثة من الصلاة الثلاثية،
والأخيرتين من الرابعة:

قال المصنف (قدس سره) في إرشاد الأذهان: (ويتخير في الزائد بين الحمد وحدها وأربع تسبيحات، صورتها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) ^(١٦٢).

وفي تبصرة المتعلمين في أحكام الدين: (ويتخير في الثالثة والرابعة بينها وبين التسبيح أربعاً، وصورته: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) ^(١٦٣).

وفي تذكرة الفقهاء: (ولا يقرأ في الثالثة والرابعة في الثلاثية والرابعة بعد الحمد شيئاً عند علمائنا..؛ وأن علياً ^{عليه السلام} كتب إلى شريح أن: اقرأ في الركعتين الأوليين أم القرآن وسورة، وفي الآخرين بأم القرآن) ^{(١٦٤)، (١٦٥)}.

وفي قواعد الأحكام: (ولا تجوز الزيادة على الحمد في الثالثة والرابعة، ويتخير فيما بينها وبين سبحان الله،

ما رواه الشيخ في الموثق (عن الحسن الصيقل قال: قلت لأبي عبد الله ^{عليه السلام}: أيجزئ عنّي أن أقول في الفريضة فاتحة الكتاب وحدها إذا كنت مستعجلأ أو أعجلني شيء؟ فقال: لا بأس) ^(١٥٨)، وفي الصحيح، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله ^{عليه السلام} قال: (يجوز للمريض أن يقرأ في الفريضة فاتحة الكتاب وحدها، ويجوز للصحيح في قضاء الصلاة التطوع بالليل والنهر) ^(١٥٩)، وفي الصحيح، عن عبيد الله بن علي الحلبـي، عن أبي عبد الله ^{عليه السلام} قال: (لا بأس بأن يقرأ الرجل في الفريضة بفاتحة الكتاب في الركعتين الأولىتين إذا ما أوجبت به حاجة أو تخوف شيئاً) ^(١٦٠)، وهذا نص في جواز الاقتصر على الحمد مع العذر فيحمل الإطلاق عليه جمعاً بين الأدلة) ^(١٦١).

بل يتخّير المصلي فيها وفي التسبّيح
أيّهما فعل أجزاءه، ذهب إليه علماؤنا...^(١٦٦)

ومن طريق الخاصّة: ما رواه الشّيخ في
الصحيح، (عن محمد بن قيس، عن أبي
جعفر علّي عليهما السلام قال: كان أمير المؤمنين علّي عليهما السلام
إذا صلّى يقرأ في الأوّلتين من صلاته
الظّهر سرّاً، ويسبّح في الأخيرتين من
صلاته الظّهر على نحو من صلاته
العشاء، وكان يقرأ في الأوّلتين من
صلاة العصر سرّاً، ويسبّح في
الأخيرتين على نحو من صلاته العشاء،
وكان يقول: أوّل صلاة أحدكم
الرّكوع^(١٧١)، وما تقدّم في حديث عبيد
بن زرار^(١٧٢)؛ ولأنّ القراءة لو تعينت في
الأخيرتين ليس فيها الجهر
كالأوّلتين...).^(١٧٣)

وفي تذكرة الفقهاء: (ولا يقرأ في
الثالثة والرابعة في الثلاثية والرباعية بعد
الحمد شيئاً عند علمائنا... ولأنّ علياً
عليه السلام كتب إلى شريح أن: اقرأ
في الرّكعتين الأولىين أم القرآن وسورة،
وفي الآخرين بأم القرآن).^(١٧٤)

وفي الرّسالة السعدية: (أنه يجب

والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر
مرة، ويستحب ثلاثاً...).^(١٦٦)

وفي تحرير الأحكام: (... ويتخيّر
في الثالثة والرابعة بين الحمد وحدها
وأربع تسبّيات، صورتها: سبحان الله،
والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.
 وإن قال ذلك ذلك ثلاث مرات كان أفضل،
وقيل: يجب، وليس بمعتمد).^(١٦٧)

وفي منتهى المطلب: (ولا يقرأ في
الثالثة من كل فريضة والرابعة سورة
أخرى بعد الحمد ذهب إليه علماؤنا
أجمع... ومن طريق الخاصّة: ما رواه
الشّيخ، عن جميل بن دراج، عن أبي
عبد الله علّي عليهما السلام: ويقرأ الرجل في الأخيرتين
إذا صلّى وحده بفاتحة الكتاب^(١٦٨)
وروى في الصحيح: (عن عبيد بن
زراة قال: سألت أبا عبد الله علّي عليهما السلام عن
الرّكعتين الأخيرتين من الظّهر، قال:
تسّبّح وتحمد الله وتستغفر لذنبك، وإن
شتّت فاتحة الكتاب فإنّها تحميد
ودعاء).^{(١٦٩)، (١٧٠)}

وفي منتهى المطلب أيضاً: (ولا يتعين
الحمد في الثالثة والرابعة من الفرائض

وروي أفضلية التسبيح للمأمور القراءة للإمام^(١٨١)، وهل يسقط التخbir لو نسي القراءة في الأولتين؟ قيل: نعم، لثلا تخلو الصلاة عن الفاتحة.

وقيل: لا للعموم. ولا تبع القراءة في الجهر والإخفاف وختلف في كيفيته، والأقوى إجزاء مرة واحدة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر؛ ولأن زرارة سأل الباقر ع عليهما السلام (ما يجزي من القول في الركعتين الأخيرتين؟) قال: أن يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ويكرر^(١٨٢).

وقيل: يجب تكرار هذا ثلاث مرات وقيل: تجب الثلاث ويسقط التكبير إلا في الثالثة.

وقيل: وفي الثالثة أيضاً، والأقرب وجوب هذا الترتيب^(١٨٣).

في الركعتين الأخيرتين من الرباعية، وفي الثالثة من الثلاثية قراءة الفاتحة خاصة، أو التسبيح وصورته: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر^(١٧٥).

وفي تحقيق ذلك قال المصنف في في نهاية الأحكام: (ولا يقرأ في الثالثة والرابعة من الثلاثية والرباعية زيادة على الحمد، لأن عليا ع عليهما السلام كتب إلى شريح أن اقرأ في الركعتين الأولتين بأم القرآن وسورة، وفي الأخيرتين بأم القرآن^(١٧٦)، ويجب عين الفاتحة في الأولتين، فلا يجزي غيرها من قراءة أو تسبيح.

ولا يجب في الأخيرتين من الرباعية والثالثة من الثلاثية عيناً، بل مخير فيما بينها وبين التسبيح، لا بينها وبين غيرها من القرآن عند علمائنا؛ لأن عليا ع عليهما السلام قال: (اقرأ في الأولتين، وسبح في الأخيرتين)^(١٧٧)؛ ولأنها لو وجبت في باقي الركعات لسن الجهر بها في بعض الصلوات كالأوليين وروي أن التسبيح في الأخيرتين أفضل من القراءة^(١٧٨)، وروي العكس^(١٧٩)، وروي التساوي^(١٨٠)،

الخاتمة:

- ١- لقد أسس المعصومون عليهما السلام مجموعة من الأسس والقواعد التي تحفظ قدسيّة النص الديني.
 - ٢- إن أهل البيت عليهم السلام هم القيّمون على النص الديني والمبيّنون له، وهذا يقع ضمن مرجعياتهم.
 - ٣- لابد من مراعاة تلك الأسس في التعامل مع النص الديني باعتباره نصاً مقدساً.
- المصادر والمراجع:
- * القرآن الكريم.
 - * الحديث الشريف.
 - ١. إرشاد الأذهان: الشيخ جمال الدين الحسن بن يوسف العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) (قدس سره)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم، إيران، ط ١ - ١٤١٠هـ.
 - ٢. الاستبصار: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) (قدس سره)، تتح: السيد حسن الموسوي الخرسان، نشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ط ٤ - ١٣٦٣ ش.
 - ٣. الاقتصاد: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) (قدس سره)، منشورات مكتبة جامع جهلسون، طهران، إيران، (ب - ط)، ١٤٠٠هـ.
 - ٤. تبصرة المتعلمين في أحكام الدين: العلامة الحلي (قدس سره)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم، إيران، ط ٢ - ١٤١١هـ.
 - ٥. التبيان في تفسير القرآن: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)

- الأعلمي، بيروت، لبنان، ط ١ - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
١٠. تهذيب الأحكام: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) (قدس سره)، تحرير: السيد حسن الموسوي الحرسان، نشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ط ٣ - ١٣٦٤ ش.
١١. جامع الرواية: محمد علي الأردبيلي (ت ١١٠١ هـ) (قدس سره)، نشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى، قم، إيران (ب-ط)،
١٢. جمل العلم والعمل: الشريف المرتضى (قدس سره)، تحرير: السيد أحمد الحسيني، ط ١، ١٣٧٨ هـ مطبعة: الآداب في النجف الأشرف، العراق.
١٣. الجمل والعقود في العبادات: الشيخ الطوسي (قدس سره)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم، إيران، ط ١ - ١٤١٠ هـ.
١٤. الخصال: الشيخ محمد بن علي بن موسى بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٢٩ هـ) (قدس سره)، تحرير: علي أكبر الغفارى، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي (قدس سره)، تحرير: أحمد قصیر العاملی، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط ١ - ١٤٠٩ هـ.
٦. تحرير الأحكام: الشيخ جمال الدين الحسن بن يوسف العلامة الحلبي (ت ٧٢٦ هـ) (قدس سره)، تحرير: ابراهيم البهادلي، نشر: مؤسسة الإمام الصادق علیه السلام، ط ١ - ١٣٢٠ هـ.
٧. تذكرة الفقهاء: الشيخ جمال الدين الحسن بن يوسف العلامة الحلبي (ت ٧٢٦ هـ) (قدس سره)، تحرير: مؤسسة آل البيت علیهم السلام لإحياء التراث، نشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، إيران، ط ١ - ١٤١٤ هـ.
٨. ترتيب إصلاح المنطق: ابن السكينة الأهوازي (ت ٢٤٤ هـ) (رحمه الله)، تحرير: الشيخ محمد حسن بكائي، نشر: مجمع البحوث الإسلامية، إيران، مشهد، ط ١، ١٤١٢ هـ.
٩. تفسير مجمع البيان: الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) (قدس سره)، تحرير: لجنة من العلماء والمحققين والأخصائيين، نشر: مؤسسة

- التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران،
 (ب - ط)، ١٤٠٣ هـ - ١٣٦٢ ش.
١٥. خلاصة الأقوال: العلامة الحلي
 (قدس سره)، مؤسسة النشر الإسلامي
 التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران،
 (ب - ط).
١٦. الخلاف: الشيخ محمد بن الحسن
 الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) (قدس سره)، تحرير:
 جماعة من المحققين، نشر: مؤسسة النشر
 الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين،
 قم، إيران، ١٤٠٧ هـ
١٧. الرساله السعدية: العلامة الحلي
 (قدس سره)، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي
 التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران،
 ١٤٠٨ هـ
١٨. السرائر: الشيخ محمد بن منصور
 بن أحمد بن إدريس الحلبي (ت ٥٩٨ هـ)
 (قدس سره)، تحرير: لجنة التحقيق، نشر:
 مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة
 المدرسين، قم، إيران، ط ٢ - ١٤١٠ هـ
١٩. سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد
 القزويني (ت ٢٧٣ هـ)، تحرير: محمد فؤاد
 عبد الباقي، نشر: دار الفكر للطباعة
- والتوزيع، (ب - ط - و).
 ٢٠. سنن أبي داود: سليمان بن
 الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ)
 (رحمه الله)، تحرير: سعيد محمد اللحام،
 نشر: دار الفكر للطباعة والنشر
 والتوزيع، ط ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٢١. سنن الترمذى: أبو عيسى محمد
 بن عيسى بن سورة الترمذى (ت ٢٧٩
 هـ) (رحمه الله)، تحرير: عبد الوهاب عبد
 اللطيف، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر
 والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٣ هـ -
 ١٩٨٣ م.
٢٢. سنن الدارقطنى: علي بن عمر
 الدارقطنى (ت ٣٨٥ هـ) (رحمه الله)،
 تحرير: مجدي بن منصور سيد الشوري،
 نشر: دار الكتب العلمية - بيروت،
 لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٢٣. سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله
 بن الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت
 ٢٥٥ هـ) (رحمه الله)، (ب - ط)، سنة
 الطبع: ١٣٤٩ هـ مطبعة: مطبعة
 الاعتدال، دمشق، سوريا.
٢٤. السنن الكبرى: أحمد بن الحسين

- ٣٠.عيون أخبار الرضا^ع: الشيخ الصدوق(قدس سره)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم، إيران، (ب - ط - و ت).
- ٣١.قواعد الأحكام: الشيخ جمال الدين الحسن بن يوسف العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)(قدس سره)، تحر: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، نشر: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، ط ١ - ١٤٢٤هـ - ق.
- ٣٢.الكافي في الفقه: الشيخ تقى الدين بن الحلبى (المعروف بأبي الصلاح الحلبى) (ت ٤٤٧هـ)(قدس سره)، النشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علی علیه السلام، تحر: رضا أستادى، (ب - ط).
- ٣٣.الكافي: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)(قدس سره)، تحر: علي أكبر غفارى، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ط ٣ - ١٣٦٧ش.
- ٣٤.المبسوط: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)(قدس سره)، تحر: السيد محمد تقى الكشفي، نشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، قم،
- البيهقي (ت ٤٥٨هـ) (رحمه الله)، نشر: دار الفكر، (ب - ط و ت).
- ٢٥.الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهرى (ت ٣٩٣هـ)، تحر: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٩٨٧م.
٢٦. صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برذبة البخاري الجعفري (ت ٢٥٦هـ) (رحمه الله)، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (ب - ط).
٢٧. صحيح مسلم: مسلم النيسابوري (رحمه الله)، تحر: مسلم نوري، نشر: دار فاكر، (ب - ط و ت).
- ٢٨.عوالى الثنائى: الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائى، (المعروف بالمحقق ابن أبي جمهور الأحسائى) (ت ٨٨٠هـ) (قدس سره)، تحر: آقا مجتبى العراقي، ط ١ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٢٩.العين: أحمد بن خليل الفراهيدى (ت ١٧٥هـ)، تحر: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط ٢ - ١٤٠٩هـ.

علي بن موسى بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٢٩هـ) (قدس سره)، تحرير: علي أكبر الغفاري، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، ط ٢ - ١٤٠٤هـ

٤. منتهى المطلب: الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) (قدس سره)، تحرير: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، نشر: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، ط ١ - ١٤٢٤هـ - ق.

٤. المهدب: الشيخ عبد العزيز بن البراج الطراطسي (المعروف بالقاضي ابن البراج) (ت ٤٨١هـ) (قدس سره)، تحرير: مؤسسة سيد الشهداء العلمية، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، (ب - ط)، ٦ - ١٤٠٦هـ
٤. نهاية الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، تحرير: انتشارات بهمن، قم، إيران، (ب - ط - و - ت).

٤. النهاية في مجرد الفقه والفتاوی: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) (قدس سره)، نشر: انتشارات

إيران، (ب - ط)، ١٣٨٧هـ

٣٥. مختلف الشيعة: الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) (قدس سره)، تحرير: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، ط ٢ - ١٤١٣هـ

٣٦. المعتربر: الشيخ نجم الدين جعفر بن الحسن المحقق الحلي (ت ٧٦٦هـ) (قدس سره)، تحرير: عدة من الأفاضل، نشر: مؤسسة سيد الشهداء، قم، إيران، (ب - ط)، ١٣٦٤هـ

٣٧. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن ذكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحرير: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، إيران، (ب - ط)، ٦ - ١٤٠٤هـ

٣٨. المقنعة: الشيخ المفید (قدس سره)، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران، ط ٢ - ١٤١٥هـ

٣٩. من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (قدس سره)، الشيخ محمد بن

الهوامش:

- (١) العين: **الخليل الفراهيدى** (رحمه الله)، ٢ / ٢٢٩، ينظر: ترتيب إصلاح المنطق: ابن السكينة الأهوazi، ٢٧٢، ينظر: الصاحب: **الجوهرى** (رحمه الله)، ٥٦٦ / ٢.
- (٢) معجم مقاييس اللغة: **أحمد بن فارس بن زكريا** (رحمه الله)، ٤ / ١٨٤.
- (٣) سورة الأنعام: آية: ١١٢.
- (٤) الهدى فيما يحتاجه التفسير من المبادئ: **الشيخ هادي كاشف الغطاء** (ت ١٤١٤هـ) (قدس سره)، ١٧.
- (٥) ينظر: المصدر نفسه.
- (٦) نهاية الإحکام: **العلامة الحلى** (قدس سره)، ١ / ٤٥٩.
- (٧) سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت ٢٧٥هـ) (رحمه الله)، ١ / ١٧٦.
- (٨) سورة النحل: آية: ٩٨.
- (٩) ينظر: **وسائل الشيعة: الحر العاملى** (قدس سره)، ٤ / ٨٠١.
- (١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٤ / ٨٠٠.
- (١١) نهاية الإحکام: **العلامة الحلى**

قدس محمدی، قم، إیران، (ب - ط - ونشر).

٤٤.نهج الحق وكشف الصدق: العلامة الحلى (قدس سره)، نشر: مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجامعة المدرسین، قم، إیران، (ب - ط).

٤٥.الهادى فيما يحتاجه التفسير من المبادئ: **الشيخ هادي كاشف الغطاء** (ت ١٤١٤هـ) (قدس سره)، نشر: مكتبة كاشف الغطاء، ١٤٢٣هـ العراق، النجف الأشرف، ٢٠٠٢م.

٤٦.وسائل الشيعة: **الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملى** (ت ١١٠٤هـ) (قدس سره)، تحر: **الشيخ عبد الرحيم الربانى الشيرازى**، نشر: دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- الحلي (قدس سره)، ٣ / ١٢٦ - ١٢٨ . (قدس سره)، ١ / ٤٦٠ .
- (٢٤) سورة النحل: آية: ٩٨ .
- (٢٥) تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي (قدس سره)، ٣ / ١٢٨ .
- (٢٦) نهاية الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ١ / ٣٦٠ .
- (٢٧) المبسوط: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ١٠٥ .
- (٢٨) تحرير الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ١ / ٢٤١ .
- (٢٩) سورة فصلت: آية: ٣٦ .
- (٣٠) المبسوط: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ١٠٥ .
- (٣١) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٢٨٩ .
- (٣٢) متنهى المطلب: العلامة الحلي (قدس سره)، ٥ / ٤١ - ٤٢ .
- (٣٣) تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي (قدس سره)، ٣ / ١٢٨ ، نهاية الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ١ / ٤٦٠ .
- (٣٤) متنهى المطلب: العلامة الحلي (قدس سره)، ٥ / ٤٢ .
- (٣٥) متنهى المطلب: العلامة الحلي .
- (١٢) سورة النحل: آية: ٩٨ .
- (١٣) الكافي: الشيخ الكليني (قدس سره)، ٣ / ٣١٠ - ٣١١ ، تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٦٧ .
- (١٤) متنهى المطلب: العلامة الحلي (قدس سره)، ٥ / ٤٠ - ٤١ .
- (١٥) سورة النحل: آية: ٩٨ .
- (١٦) سورة المائدة: آية: ٧ .
- (١٧) تفسير مجتمع البيان: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٦ / ١٩٨ .
- (١٨) ينظر: تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي (قدس سره)، ٣ / ١٢٥ - ١٢٦ .
- (١٩) تحرير الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ١ / ٢٤١ .
- (٢٠) الكافي: الشيخ الكليني (قدس سره)، ٣ / ٣١٠ ، تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٦٧ .
- (٢١) سورة النحل: آية: ٩٨ .
- (٢٢) الخلاف: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣٢٤ - ٣٢٥ ، مسألة: ٧٦ .
- (٢٣) ينظر: تذكرة الفقهاء: العلامة

- (٤٥) تحرير الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ٤٢ / ٥.
- (٤٦) قواعد الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ٢٤٧ / ٢، مسألة: ٨٥٥.
- (٤٧) إن ما بين القوسين زيادة من الباحث.
- (٤٨) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٦٨ / ١، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٣١٠ - ٣١١.
- (٤٩) نهاية الإحکام: العلامة الحلي (قدس سره)، ٤٧٢ / ١.
- (٥٠) ينظر: الكافي في الفقه: أبو الصلاح الحلي (قدس سره)، ١١٧، ينظر: المذهب: القاضي ابن البراج (قدس سره)، ٩٢ / ١.
- (٥١) نقل هذا القول المحقق الحلي (قدس سره)، في المعتبر: ١٨٠ / ٢.
- (٥٢) ينظر: السرائر: ابن إدريس الحلي (قدس سره)، ٢١٨ / ١.
- (٥٣) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٦٨ / ٢، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٣١٠ / ١ - ٣١١.
- (٥٤) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٩٣ - ٩١ / ٥.
- (٣٦) تحرير الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ٢٤١ / ١.
- (٣٧) المصدر نفسه: ٤٢ / ٥.
- (٣٨) تحرير الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ٢٤٧ / ١، ينظر: تبصرة المتعلمين في أحكام الدين: العلامة الحلي (قدس سره)، ٤٦.
- (٣٩) ينظر: تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٦٨ / ٢، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٣١٠ / ١ - ٣١١.
- (٤٠) تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي (قدس سره)، ١٥٢ / ٣، قواعد الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ٢٧٤ / ١.
- (٤١) الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٣١٠ - ٣١١ / ١.
- (٤٢) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢٨٨ / ٢.
- (٤٣) الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٣١١ / ١.
- (٤٤) منتهى المطلب: علامه الحلي (قدس سره)، ٩١ - ٩٣ / ٥.



- (٦٤) ينظر: المبسوط: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢٩٠ / ٢.
- (٦٥) الخلاف: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣٣١، مسألة: ٨٣.
- (٦٦) النهاية في مجرد الفقه والفتاوی: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٧٦.
- (٦٧) الاقتصاد: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢٦١.
- (٦٨) جمل العلم والعمل: الشري夫 المرتضى (قدس سره)، ٥٩.
- (٦٩) الجمل والعقود في العبادات: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٧١ - ٧٢.
- (٧٠) ينظر: السرائر: ابن إدريس الحلبي (قدس سره)، ٢١٨ / ١.
- (٧١) من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (قدس سره)، ١ / ٣٩٢، وسائل الشيعة: الحر العاملي (قدس سره) ٤ / ٧٩٤.
- (٧٢) مختلف الشيعة: العلامة الحلبي (قدس سره)، ١٥٧ - ١٥٤ / ٢.
- (٧٣) نهاية الأحكام: العلامة الحلبي (قدس سره)، ٤٧١ / ١.
- (٧٤) تذكرة الفقهاء: العلامة الحلبي (قدس سره)، ٣١٠ / ٣.
- (٥٥) الجمل والعقود في العبادات: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٧١.
- (٥٦) منتهي المطلب: العلامة الحلبي (قدس سره)، ٩٣ / ٥ - ٩٤.
- (٥٧) ينظر: المذهب: القاضي ابن البراج (قدس سره)، ٩٢ / ١.
- (٥٨) ينظر: الكافي في الفقه: أبو الصلاح الحلبي (قدس سره)، ١١٧.
- (٥٩) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٦٨، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣١٠ - ٣١١.
- (٦٠) ينظر: السرائر: ابن إدريس الحلبي (قدس سره)، ٢١٨ / ١.
- (٦١) لم نثر على (كتاب الأحمدى)، لابن الجنيد (قدس سره)، ونقل العلامة الحلبي (قدس سره) رأياً لابن الجنيد (قدس سره) في كتابه (مختلف الشيعة).
- (٦٢) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٦٨، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣١٠ - ٣١١.
- (٦٣) من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (قدس سره)، ١ / ٣٠٨.

- (٨٥) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢٨٩ / ٢.
- (٨٦) سورة الحجر: آية: ٧٨.
- (٨٧) البيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٣٥٣ / ٣.
- (٨٨) منتهى المطلب: العلامة الحلي (قدس سره)، ٤٨ / ٥ - ٥١.
- (٨٩) في بعض الموارد تأتي عائشة للرسول ﷺ، وهنا أتت عن أمير المؤمنين ع، وفي بيان ذلك أكثر قال الشيخ الصدوقي (قدس سره) في كتابه (عيون أخبار الرضا) ع: (وقيل لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن (بسم الله الرحمن الرحيم) أهي من فاتحة الكتاب؟ فقال: نعم: كان رسول الله ﷺ يقرأها ويعدها آية منها ويقول: فاتحة الكتاب هي السبع المثاني)، عيون أخبار الرضا ع:
- الشيخ الصدوقي (قدس سره)، ٢٦٩ - ٢٧٠.
- (٩٠) المصدر نفسه: ٢٦٩ - ٢٧٠.
- (٩١) المصدر نفسه: ٢٦٩ - ٢٧٠.
- (٩٢) الكافي: الشيخ الكليني (قدس
- (٧٥) منتهى المطلب: العلامة الحلي (قدس سره)، ٨٩ / ٥.
- (٧٦) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٦٨ / ٢، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٣١٢ / ١.
- (٧٧) منتهى المطلب: العلامة الحلي (قدس سره)، ٩٤ / ٥.
- (٧٨) تحرير الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ٢٤٧ / ٢، مسألة: ٨٥٥.
- (٧٩) الرسالة السعدية: العلامة الحلي (قدس سره)، ١٠٣.
- (٨٠) قواعد الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ١ / ٢٧٢.
- (٨١) ينظر: منتهى المطلب: العلامة الحلي (قدس سره)، ٥٧ / ٥.
- (٨٢) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٦٨ / ٢.
- (٨٣) الكافي: الشيخ الكليني (قدس سره)، ٣١٣ - ٣١٢، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٣١١ / ١.
- (٨٤) الكافي: الشيخ الكليني (قدس سره)، ٣١٣ / ٣، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٣١١ / ١.

- الأحسائي (قدس سره)، ١ / ١٦٩، سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت ٢٥٥هـ) (رحمه الله)، ٢٨٣ / ١، سنن الترمذى: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى (ت ٢٧٩هـ) (رحمه الله)، ١ / ١٥٦.
- (١٠٣) ينظر: سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني (رحمه الله)، ١ / ٢٧٣، صحيح البخارى: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برذبة البخارى الجعفى (رحمه الله)، (ت ٢٥٦هـ)، ١ / ١٨٤.
- (١٠٤) نهج الحق وكشف الصدق: العلامة الحلى (قدس سره)، ٤٢٤.
- (١٠٥) سورة المزمل: آية: ٢٠.
- (١٠٦) صحيح مسلم: مسلم النيسابورى (رحمه الله)، ٢ / ١٠.
- (١٠٧) تذكرة الفقهاء: العلامة الحلى (قدس سره)، ٣ / ١٢٨.
- (١٠٨) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٦٩ - ٧٠، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣١٤.
- (١٠٩) الكافي: الشيخ الكليني (قدس سره)، ٣ / ٣١٣ - ٣١٢، الاستبصار:
- الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣١١.
- (٩٣) نهاية الأحكام: العلامة الحلى (قدس سره)، ١ / ٤٦٢.
- (٩٤) الكافي: الشيخ الكليني (قدس سره)، ٣ / ٣١٣ - ٣١٢، تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٦٩.
- (٩٥) تذكرة الفقهاء: العلامة الحلى (قدس سره)، ٣ / ١٣٣ - ١٣٢.
- (٩٦) تحرير الأحكام: العلامة الحلى (قدس سره)، ١ / ٢٤٣.
- (٩٧) نهاية الأحكام: العلامة الحلى (قدس سره)، ١ / ٤٦٢.
- (٩٨) صحيح مسلم: مسلم النيسابورى (رحمه الله)، ٢ / ١٠.
- (٩٩) ينظر: الخصال: الشيخ الصدوق (قدس سره)، ٤١٧.
- (١٠٠) نهاية الأحكام: العلامة الحلى (قدس سره)، ١ / ٤٦٨ - ٤٦٩، تحرير الأحكام: العلامة الحلى (قدس سره)، ١ / ٢٤٢.
- (١٠١) إن ما بين القوسين من الباحث.
- (١٠٢) عوالى الثنائى: ابن أبي جمهور

- سره)، ٣ / ٣١٧، تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ١٤٦.
- (١١٩) نهاية الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ١ / ٤٦١.
- (١٢٠) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ١٤٧.
- (١٢١) سورة المزمل: آية: ٢٠.
- (١٢٢) السورة نفسها والأية نفسها.
- (١٢٣) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ١٤٦.
- الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣٥٣.
- (١٢٤) منتهي المطلب: العلامة الحلي (قدس سره)، ١ / ٢٧٠.
- (١٢٥) إرشاد الأذهان: العلامة الحلي (قدس سره)، ١ / ٢٥٣.
- (١٢٦) تبصرة المتعلمين: العلامة الحلي (قدس سره)، ٤٦.
- (١٢٧) نهاية الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ١ / ٤٦٩.
- (١٢٨) قواعد الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ١ / ٢٧٢.
- (١٢٩) عوالى الثالى: ابن أبي جمهور سره)، ٣ / ٣١٣، تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٦٩، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣١١.
- (١١٠) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٧١، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣١٤.
- (١١١) المصدر نفسه: ٧١ / ٢، وسائل الشيعة: الحر العاملي (قدس سره)، ٤ / ٧٣٤.
- (١١٢) المصدر نفسه: ٧١ / ٢، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣١٥.
- (١١٣) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٧١.
- (١١٤) ينظر: تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٢٩٠.
- (١١٥) المصدر نفسه: ٧١ / ٢، حديث رقم: ٣١.
- (١١٦) مختلف الشيعة: العلامة الحلي (قدس سره)، ٢ / ١٤٣ - ١٤٥.
- (١١٧) سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني (رحمه الله)، ١ / ٢٧٣.
- (١١٨) الكافي: الشيخ الكليني (قدس

- (١٣٦) والرواية: (عن محمد بن مسلم قال: سأله عن الذي لا يقرأ بفاتحة الكتاب في صلاته، قال: لا صلاة له إلا أن يبدأ بها في جهر أو إخفاف قلت: أيهما أحب إليك إذا كان خائفاً أو مستعجلاً يقرأ بسوره أو بفاتحة الكتاب؟ قال: بفاتحة الكتاب). تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ١٤٧، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣١٠، منهي المطلب، الحلبي: ٤٦/٥.
- (١٣٧) إرشاد الأذهان: العلامة الحلبي (قدس سره)، ١ / ٢٥٣.
- (١٣٨) تحرير الأحكام: العلامة الحلبي (قدس سره)، ١ / ٢٤٢.
- (١٣٩) ينظر: صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برذبة البخاري الجعفي (رحمه الله)، ١ / ١٨٩، باب يقرأ في الآخرين بفاتحة الكتاب.
- (١٤٠) ينظر: سنن الترمذى: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى (ت ٢٧٩ھ)، (رحمه الله)، ١ / ١٥١.

- الأحسائي (قدس سره)، ١ / ١٩٦.
- (١٣٠) المصدر نفسه: ١ / ١٩٦.
- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ھ) (رحمه الله)، ٢ / ٣٤٥.
- (١٣١) الرساله السعدية: العلامة الحلبي (قدس سره)، ١٠١ - ١٠٢.
- تحرير الأحكام: العلامة الحلبي (قدس سره)، ١ / ٢٤٢.
- (١٣٢) الكافي: الشيخ الكليني (قدس سره)، ٣ / ٣١٧، تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ١٤٦، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣٥٤.
- (١٣٣) تذكرة الفقهاء: العلامة الحلبي (قدس سره)، ٣ / ١٢٨ - ١٢٩.
- (١٣٤) صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برذبة البخاري الجعفي (رحمه الله) (ت ٢٥٦ھ)، ١ / ١٨٤.
- (١٣٥) سنن الدارقطني: علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥ھ) (رحمه الله)، ١ / ٢٨٠.

- (١٤١) ينظر: الكافي: الشيخ الكليني (قدس سره)، ٣١٣ / ٣، ينظر: تهذيب الأحكام الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٦٩، ينظر: الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٣١١ / ١.
- (١٤٢) ينظر: وسائل الشيعة: الحر العاملي (قدس سره)، ٤ / ٧٣٥.
- (١٤٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤ / ٧٣٤، حديث رقم: ٥.
- (١٤٤) ينظر: المصدر نفسه: ٤ / ٧٣٤، حديث رقم: ٤.
- (١٤٥) نهاية الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ٤٦١ / ١.
- (١٤٦) وهو هشام بن إبراهيم العباسى نسبة إلى كتابه الذي ألفه وأنفذه إلى هارون الرشيد في إمامية العباس عم النبي ﷺ، وهذا الرجل من أعداء الإمامين الرضا والجواد عليةما يرضي وقد وردت في ذمه روايات جمة، ينظر: رجال ابن الغضائري: أحمد بن الحسين الغضائري الواسطي البغدادي (ق ٥) (قدس سره)، تحرير السيد محمد رضا الجلالى، نشر: دار الحديث، قم،
- إيران، ط ١٤٢٢ هـ - ١٣٨٠ ش، ١١٦، ينظر: خلاصة الأقوال: العلامة الحلي (قدس سره)، ٤١٥، ينظر: جامع الرواية: محمد علي الأردبيلي (ت ١١٠١ هـ) (قدس سره)، ٣١٢ / ٢.
- (١٤٧) ينظر: الكافي: الشيخ الكليني (قدس سره)، ٣١٣ / ٣، تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٦٩، ينظر: الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٣١١ / ١.
- (١٤٨) تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي (قدس سره)، ٣ / ١٣٠ - ١٣١.
- (١٤٩) مختلف الشيعة: العلامة الحلي (قدس سره)، ٢ / ١٤٢، ينظر: قواعد الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ١ / ٢٧٢.
- (١٥٠) ينظر: المقنعة: الشيخ المفيد (قدس سره)، ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧، ينظر: الخلاف: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣٣٥ مسألة: ٨٦ السرائر: ابن إدريس (قدس سره)، ٢١٧.
- (١٥١) النهاية: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٧٥.



- سره)، ٣١٣ / ٣، تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٧٠، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١٥ / ٣١٥.
- (١٥٩) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٧٠، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣١٥.
- (١٦٠) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٧٢.
- (١٦١) متهى المطلب: العلامة الحلي (قدس سره)، ٥ / ٥٤ - ٥٧.
- (١٦٢) إرشاد الأذهان: العلامة الحلي (قدس سره)، ١ / ٢٥٣.
- (١٦٣) تبصرة المتعلمين في أحكام الدين: العلامة الحلي (قدس سره)، ٤٦.
- (١٦٤) وسائل الشيعة: الحر العاملی (قدس سره)، ٤ / ٧٩٤.
- (١٦٥) تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي (قدس سره)، ٣ / ١٣٢.
- (١٦٦) قواعد الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ١ / ٢٧٣.
- (١٦٧) تحرير الأحكام: العلامة الحلي (قدس سره)، ١ / ٢٤٢.
- (١٦٨) ينظر: تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣١٣، مسألة: ٨٦، المسوبط: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ١٠٦ - ١٠٧.
- (١٥٢) الخلاف: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣٣٥، مسألة: ٦٩، ينظر: الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣١١.
- (١٥٣) الكافي: الشيخ الكليني (قدس سره)، ٣ / ٣١٣، تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٦٩، ينظر: الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٦٩ - ٧٠.
- (١٥٤) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣١٤.
- (١٥٥) من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (قدس سره)، ١ / ٣٠٠ - ٣٠٢، تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٨١ - ٨٢.
- (١٥٦) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ٢ / ٧٠، الاستبصار: الشيخ الطوسي (قدس سره)، ١ / ٣١٤.
- (١٥٧) المصدر نفسه: ٢ / ٧١، حديث رقم: ٢٨.
- (١٥٨) الكافي: الشيخ الكليني (قدس سره)، ١ / ٣١٣.

- (١٧٧) وسائل الشيعة: الحر العاملي .٢٩٥ / ٢ الطوسي (قدس سره)،
 (قدس سره)، ٤ / ٧٩٢ .٩٨ / ٢ المصدر نفسه: (١٦٩).
- (١٧٨) المصدر نفسه: (٤ / ٧٩٢) .٧٢ - ٧١ / ٥ الحلبي (قدس سره)،
 حديث رقم: ٣.
- (١٧٩) والحديث: (عن محمد بن الحسن بن علان عن محمد بن حكيم قال سألت أبا الحسن عليه السلام أيما أفضل القراءة في الركعتين الأخيرتين أو التسبيح؟، فقال القراءة أفضل)، المصدر نفسه: (٤ / ٧٩٤)، حديث رقم: ١٠، قال: الحر العاملي (قدس سره) بهذا الحديث: (هذا محمول على التقية على السائل لاختلاطه بالعامة وإنكارهم التسبيح والله أعلم)، المصدر نفسه: (٤ / ٧٩٤).
- (١٨٠) والحديث: (عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كنت إماما فاقرأ في الركعتين الأخيرتين بفاتحة الكتاب وإن كنت وحدك فيسعلك فعلت أو لم تفعل)، المصدر نفسه: (٤ / ٧٩٤).
- (١٨١) والحديث: (عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن كنت خلف الإمام في صلاة لا يجهر فيها .٧٩٤ / ٤) ينظر: وسائل الشيعة: الحر العاملي (قدس سره)،
- (١٧٠) منتهى المطلب: العلامة الطوسي (قدس سره)، (٢ / ٩٨) .٩٧ / ٢ .٧٢ - ٧١ / ٥ الحلبي (قدس سره)،
 (١٧١) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، (٢ / ٩٧) .٩٧ / ٢ .٧٢ - ٧١ / ٥ والحديث: (عن عبيد بن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الركعتين الأخيرتين من الظهر، قال: تسبح وتحمد الله وتستغفر لذنبك، وإن شئت فاتحة الكتاب فإنها تحميد ودعاة)، تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (قدس سره)، (٢ / ٩٨) .٩٨ / ٢ .٧٣ - ٧٢ / ٥ .٧٣ - ٧٢ / ٥ منتهى المطلب: العلامة الحلبي (قدس سره)،
 (١٧٤) في الوسائل ما يدل على ذلك: وسائل الشيعة: الحر العاملي (قدس سره)، (٤ / ٧٩٤)، و بتذكرة الفقهاء، الحلبي: ١٢٣/٣.
- (١٧٥) الرسالة السعدية: العلامة الحلبي (قدس سره)، (٦ / ١٠٦).
 (١٧٦) في الوسائل ما يدل على ذلك: ينظر: وسائل الشيعة: الحر العاملي (قدس سره)، (٤ / ٧٩٤).

بالقراءة حتى يفرغ، وكان الرجل
مأمونا على القرآن فلا تقرأ خلفه في
الأولتين وقال: يجزيك التسبيح في
الأخيرتين قلت: أي شيء

(١٨٢) تقول أنت؟، قال: أقرأ فاتحة
الكتاب)، المصدر نفسه: ٤ / ٧٩٤

حديث رقم: ١٢، قال الحر العاملي
(قدس سره)، بهذا الحديث: (الظاهر
أنه مخصوص بالمؤمن ويعتمد التقىة)،
المصدر نفسه: ٤ / ٧٩٤.

(١٨٣) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي
(قدس سره)، ٩٨ / ٢، وسائل الشيعة:

الحر العاملي (قدس سره) ٤ / ٧٨٢.

(١٨٤) نهاية الأحكام: العلامة الحلبي
(قدس سره)، ٤٦٩ / ١، ٤٧٠.

١٠

مرجعية أهل البيت
في تأسيس قواعد
فهم النص القرآني

م. م. ساجد صباح ميس العسكري
تربيبة ذي قار

مقدمة:

بعض القواعد التفسيرية مصدرها
اجتهادي ناتجة عن تصورات أو
استقراءات أو فهم جزئي أو ناقص
من قبل المفسر للنص، أو من تصورات
خارجة عن النص متحصلة من الذوق
والعرف اللغوي وغيرها من الاتجاهات^(١).

فربما يأتي مختص في مجال معرفة معين ويحاول فهم النص القرآن على وفق الأسس التي عنده، أو يأتي المهندس ويقرأ القرآن على وفق الأسس التي عنده، وكل ينطلق بحسبه.

فرضية البحث وشكليته:

لكي نفهم الكلام الإلهي بصورة صحيحة لابد من الرجوع إلى مجموعة من الأسس والمنطلقات التي توفر إمكانية هذا الفهم، إذ يمكن لأي شخص أن يفسر القرآن الكريم من دون وجود آليات وقواعد وأسس ومقسمات منهجهة.

وما هذا البحث إلا محاولة للكشف
عن بعض الأسس التي تولدت في
ضوء مرويات أهل البيت عليهما السلام

خلاصة البحث:

أسس المعصومون مجموعة من القواعد التفسيرية، بعض تلك القواعد عائد لقارئ النص، ومنها ما هو عائد للنص نفسه، ومنها ما هو عائد لمنشئ النص، ومعرفة تلك القواعد تساعد القارئ في فهم مراد المولى.

وبعض تلك القواعد نصوا عليها صراحة، وبعضها فهمت من تفسيرهم لنصوص القرآن الكريم.

ومن أهم القواعد التي أست
في ضوء مرويات المخصوصين عليهما
قاعدة الجري والانطباق، وقاعدة
تفسير القرآن بالقرآن، وقاعدة البطون
القرآنية، وقاعدة تعدد الوجوه القرآنية،
وقاعدة تفاوت مستويات الفهم، وقاعدة
من التفسير بالرأي... الخ.

وتناول البحث القواعد المتعلقة بقارئ النص التي لم تُحضر بنصيب وافر من البحث في كتب الأعلام، وهذه الدراسة لبعض القواعد وليس استقراءً تاماً لجميعها.

الكلمات الـ ئسة:

المعصوم، قواعد التفسير، النص.

ظاهراً، فالخطاب وإن كان موجهاً للنبي بوصفه المتلقى الأول للنص، ولكن قد يكون المقصود به غيره؛ لأن فهم بعض لا يستقيم مع مبدأ العصمة، وعليه لابد من البحث عن المقصود بالخطاب فعلاً.

قاعدة البحث عن قصدية المولى سبحانه، فقد أكد الأئمة عليهما السلام ضرورة البحث عن قصدية المولى، فالنص القرآني ليس كالنصوص الأدبية التي لا يراعى فيها قصد المتكلم، فلا يصح التفسير من دون مراعاة قصد المولى تعالى.

وقاعدة منع التفسير بالرأي، فعند مراجعة نصوص الأئمة عليهما السلام في ما يخص التفسير بالرأي نجدها تنهى عنها شديداً عن ذلك؛ لأن ذلك يعني الابتعاد عن قصدية المولى وتفسير القرآن بالذوق الشخصي، وهذا لا يعني منع التفسير الاجتهادي بإعمال العقل والتدبر في آيات الله سبحانه، بل المقصود النهي عن فرض الرأي الشخصي على النص القرآني.

الأسس التي يفهم بها القرآن بصورة صحيحة، وهذه الأسس والقواعد تؤخذ من المعصومين عليهما السلام؛ لأنهم أعلم الناس بكتاب الله (عز وجل).
أهم المباحث الرئيسية:

قاعدة مرجعية الإنسان في فهم النص القرآني، وهذه القاعدة تبين تأكيد المعصومين عليهما السلام دور الإنسان في الكشف عن مضامين القرآن، وهذا لا يعني أن يكون الإنسان منتجاً لها بل دوره الكشف والتبيين.

قاعدة تفاوت مستويات الفهم وضرورة اتباع الأفضل، ففي ضوء مرويات أهل البيت عليهما السلام يتضح أن فهم النص القرآني ليس بمستوى واحد، بل هناك مستويات متفاوتة بحسب الاستعدادات والقابليات، وعليه لابد من الرجوع إلى أفضل تلك المستويات في مقام الترجيح.

قاعدة من المخاطب؟، وهذه القاعدة تأسست لدفع التوهם الذي قد يحصل عند بعضهم في خصوص آيات عتاب الأنبياء ونسبة الذنب لهم

ضوء مرويات المعصومين عليهما السلام لابد من التنبية على جملة من الملاحظات التأسيسية التي تحقق شرعية أحقيه المعصوم في تأسيس قواعد الفهم وهي:
الملاحظة الأولى: إن التعاطي مع النص القرآني على مستوى العبارة وما يفرزه من تفاوت في الفهم إما أن يكون نابعاً من اختلاف في مستوى الإدراك بحسب المقدمات المعرفية للمفسر والمؤهلات الشخصية له، أو بحسب عمق المضمون القرآني، وهذا التفاوت وإن كان يعطي من الناحية العملية والشرعية أيضاً أولوية لتقديم من كان أجود فهماً مما هو أقل، إلا أنه لا يعطي أحقيه شرعية لذلك المفسر لتأسيس قواعد الفهم؛ لأنَّ القواعد أمورٌ تأسيسية لابد أن تتبع من المصدر نفسه الذي أنزل القرآن إنشاءً وإقراراً، حتى يتميز الكتاب العزيز عن غيره من الكلام البشري^(٢).

الملاحظة الثانية: إن علاقة المعصوم بالنص علاقة وجودية، بمعنى أن

أهم المصادر:

كتب الحديث ككتاب الكافي للكليني، وبحار الأنوار للمجلسي، وبعض كتب علوم القرآن والتفسير.

توطئة:

هناك آليات وقواعد كثيرة ذكرها أئمة أهل البيت عليهم السلام منها ما هو عائد إلى قارئ النص أو المفسر كقاعدة (مراعات تعدد مستويات الفهم)، وقاعدة (من المخاطب)... إلخ، ومنها ما هو عائد إلى طبيعة النص نفسه، كقاعدة (تعدد السياق)، وقاعدة (الجري والانطباق)... إلخ.

فيجب على قارئ النص أن يراعي ما هو خاص به، وما هو خاص بالنص، فإن قراءة النص في ضوء تلك القواعد قد تمكنا من مقاربة مراد المولى، وعلى أقل تقدير يدخلنا ضمن دائرة الأوسع، ويكون هذا التفسير مقبولاً عند الشارع المقدس، وقبل الخوض في تفاصيل بعض القواعد التي تأسست في

ولكل واحد ما يقتضيه، فاقتضاءات
البعد الوجودي هو بيان حقيقة
القرآن في بعده الظاهر والباطن،
ويبيان مصاديق القرآن وبيان تأويل
القرآن وبيان الأسس التي ينبغي
للمفسر أو المرشد للقرآن أن يسلكها
ليكون على الجادة الصحيحة.

الملاحظة الرابعة: إن تأسيس
البحث يعتمد على مرويات أهل
البيت عليهما السلام بقطع النظر عن صحة
السند وعدمه؛ إذ هي قواعد لفهمه،
ولها ما يصدقها في سلوك العقلاء.

الملاحظة الخامسة: هذه الدراسة
هي لبعض القواعد وليس استقراءً
تمامًا لجميعها، وسيقتصر الحديث
في هذا البحث على أهم القواعد
المتعلقة بالمتلقي التي أسست في
ضوء مرويات أهل البيت عليهما السلام، ومن
تلك القواعد:

أولاً: مرجعية الإنسان في فهم
القرآن الكريم:

وهذه القاعدة من ضمن القواعد
المتعلقة بقارئ النص، فمما أكدته أهل

الارتباط بالنص لا يأتي من مقام العبارة،
بل يأتي من العلاقة الوجودية مع
المتمثل للحقيقة القرآنية، وعلى
هذا فإن من كان علة للقرآن أو إن
ارتباطه بالقرآن علياً ليس كمن كان
ارتباطه بالقرآن معرفياً، فالنبي في
عقائدهنا هو الصادر الأول^(٣)، ومن ثم
فإن له الأولوية الوجودية عن
مضمون القرآن وبيان حقيقته،
ويبيان القواعد التي توفر إمكانية
فهمه أو الوصول إلى مبتغاه، خلافاً
للقاري الصاعد في القرآن فإنه -
وإن كان قد يتحقق في بعض الأحيان
بالقرآن - إلا أن تتحققه متوقف على
فهمه؛ إذ العلاقة سعودية، خلافاً لعلاقة
النبي بالقرآن فإن علاقته نزولية^(٤)، قال
تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ
وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٥).

الملاحظة الثالثة: مما تقدم يتبيّن
أن تفاوت إدراك القرآن لا ينشأ من
أساس واحد، فقد تنشأ من بعد
الوجودي، وقد تنشأ من بعد المعرفي،

ليس مستغلقاً ولا مبهماً على الإنسان، وقد صرخ القرآن الكريم في آيات عديدة بأنه واضح ولا غموض فيه، وبأنه نور وبيان للناس ويدعو إلى التدبر في آياته، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مَّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَان﴾^(٨)، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا﴾^(٩)، وقال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾^(١٠)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا﴾^(١١)، وكونه بيان لا يلغى احتياجه إلى مبين، فسبب اختلاف مستويات الفهم عند الناس وقصورهم أو تقصيرهم في تفصيل الأدوات التي تعين على فهم المراد الإلهي كاللغة والأحاديث وأسباب النزول ... تفاوت استظهارهم من النص القرآني.

فكثيراً ما نجد أن الأئمة عليهم السلام يؤكدون هذه المرجعية في روايات كثيرة وبالسن مختلفة ويكررون السؤال في مقام الاحتجاج: أما قرأت القرآن؟ أما قرأت كتاب الله؟ أما تدبرت كتاب الله؟.

البيت عليه السلام هو دور القارئ والمتلقي في استنباط المعنى واستظهار الدلالة القرآنية .

ففي نهج البلاغة يؤكّد الإمام علي عليه السلام هذه الحقيقة بقوله: «... وهذا القرآن إنما هو خط مسّتور بين الدفتين، لا يُنطّق بلسان، ولا بد له من ترجمان، وإنما يُنطّق عنه الرجال»^(٦).

فلا تتحقق الغاية التي نزل من أجلها القرآن إلا أن ينطق به الرجال وهذا النطق معناه التفسير والفهم. فلابد من ناطق عن القرآن ومثير لمعاني القرآن الكريم وهذه الرواية تبين لنا أهمية هذه القاعدة، وتأكيد أهل البيت عليها؛ لأن مرجعية الإنسان عنصر مهم في الكشف عن مضامين القرآن الكريم، ويتحدد دور الإنسان بوصفه مبرزاً وكاشفاً ومبيناً للمضامين القرآنية، لا بوصفه منتجأ لها كما أسس له في نظريات التلقي والتأويلية الحديثة^(٧).

وبناءً على ما تقدم فالقرآن الكريم

فحن أولئك الذين أمر الله (عز وجل) نبيه ﷺ أن يؤتىهم حقهم فقال الشامي: إنكم لأنتم هم؟، فقال علي عليه السلام: نعم، فهل قرأت هذه الآية ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن الله خمسه ولرسول ولذى القربى﴾؟، فقال له الشامي: بلـى، فقال علي: فحن ذوو القربى، فهل تجد لنا في سورة الأحزاب حـقاً خاصة دون المسلمين؟ فقال: لا، قال علي: أما قرأت هذه الآية ﴿إنما ي يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم طهرا﴾؟، قال: فرفع الشامي يده إلى السماء ثم قال: اللهم إني أتوب إليك ثلاث مرات، اللهم إني أتوب إليك من عداوة آل محمد، ومن قتل أهل بيـت محمد، ولقد قرأت القرآن منذ دهرـ ما شعرت بها قبل اليوم﴾^(١٢). وعن الكليني بسنده عن أبي هشام الجعفري عن الإمام الرضا عـلـيـهـ السـلامـ: (قال: سـأـلـهـ عـنـ اللـهـ هـلـ يـوـصـفـ؟ـ فـقـالـ:ـ أـمـاـ قـرـأـ الـقـرـآنـ؟ـ قـلـتـ:ـ بـلـىـ،ـ قـالـ:ـ أـمـاـ تـقـرـأـ

فـقـيـ الروـاـيـةـ عـنـ دـيـلـمـ بـنـ عـمـرـ قالـ:ـ كـنـتـ بـالـشـامـ حـتـىـ أـتـيـ بـسـبـاـيـاـ آلـ مـحـمـدـ فـأـقـيمـواـ عـلـىـ بـابـ المسـجـدـ حـيـثـ تـقـامـ السـبـاـيـاـ،ـ وـفـيـهـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـيـنـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ فـأـتـاهـمـ شـيـخـ مـنـ أـشـيـاخـ أـهـلـ الشـامـ فـقـالـ:ـ الـحـمـدـ لـلـهـ الـذـيـ قـتـلـكـمـ،ـ وـأـهـلـكـمـ،ـ وـقـطـعـ قـرـنـ الـفـتـنـةـ -ـ وـلـمـ يـأـلـ عـنـ شـتـمـهـ -ـ فـلـمـ اـنـضـمـ كـلـامـهـ قـالـ لـهـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـيـنـ:ـ إـنـيـ قـدـ أـنـصـتـ لـكـ حـتـىـ فـرـغـتـ مـنـ مـنـطـقـكـ،ـ وـأـظـهـرـتـ مـاـ فـيـ نـفـسـكـ مـنـ عـدـاـوـةـ وـبـغـضـاءـ فـأـنـصـتـ لـيـ كـمـاـ أـنـصـتـ لـكـ،ـ فـقـالـ لـهـ:ـ هـاتـ،ـ قـالـ عـلـيـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ:ـ أـمـاـ قـرـأـتـ كـتـابـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ؟ـ فـقـالـ:ـ نـعـمـ،ـ قـالـ:ـ أـمـاـ قـرـأـتـ هـذـهـ آـيـةـ ﴿قـلـ لـأـسـتـلـكـمـ عـلـيـهـ أـجـرـاـ إـلـاـ مـوـدـةـ فـيـ الـقـرـبـىـ﴾؟ـ،ـ قـالـ:ـ بـلـىـ،ـ فـقـالـ لـهـ عـلـيـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ:ـ فـحنـ أولـئـكـ،ـ فـهلـ تـجـدـ لـنـاـ فـيـ سـوـرـةـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ حـقـاـ خـاصـةـ دـوـنـ الـمـسـلـمـيـنـ؟ـ فـقـالـ:ـ لـاـ،ـ قـالـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـيـنـ:ـ أـمـاـ قـرـأـتـ هـذـهـ آـيـةـ ﴿وـآـتـ ذـاـ قـرـبـىـ حـقـهـ﴾؟ـ،ـ قـالـ:ـ نـعـمـ،ـ قـالـ عـلـيـ عـلـيـهـ السـلـاـمـ:

ثانياً: تفاوت مستويات الفهم
وضرورة اتباع الأفضل:

التفاوت في مستويات الفهم سببه اختلاف القابلities والاستعدادات عند المتلقى، فقد يفهم المعصوم معنى غير المعنى الذي يفهمه غيره مع عدم وجود تعارض بين المعنيين؛ لأن كل منهما فهم في مرتبة معينة من الفهم، ولا تعارض بينهما؛ لأن العلاقة بين المعاني علاقة طولية وكأنها طبقات، الواحدة فوق الأخرى.

وإذا كانت المعاني متعارضة فلا بد من الترجيح فيما بينها والأخذ بال الصحيح منها. وهذه القاعدة تقنن القاعدة الأولى فبعدما ثبت أن للإنسان مرجعية في فهم النص القرآني، فوضع المعصوم هذه القاعدة، لكي لا ترك على عواهلهما بل هناك مستويات من الفهم ومراتب متعددة ولا بد من ترجيح الأفضل منها.

فالإنسان غير المعصوم قد يفهم بحدود فهمه، ولكن هذا الفهم قد لا يكون حجة على غيره^(١٥).

قوله تعالى: ﴿لَا تدر كه الأ بصار وهو يدر كه الأ بصار﴾؟ قلت: بلى قال: فتعرفون الأ بصار؟ قلت: بلى قال: ما هي؟ قلت: أ بصار العيون فقال: إن أوهام القلوب أكبر من أ بصار العيون فهو لا تدر كه الأوهام﴾^(١٣). وهذا يعني توجيه الإنسان بإمكانية تواصله مع القرآن تواصلاً مباشراً إذا كانت لديه إمكانيات هذا التواصل؛ لأن الإمام ليس في مقام الإشارة إلى القراءة اللغظية، وإنما يقصد التدبر وفهم مضامين القرآن الكريم.

وتوضح قيمة هذه القاعدة من الناحية المعرفية إذا نظرنا إلى الواقع فإننا نجد أن هناك اتجاهات معرفية تمنع تواصل الإنسان تواصلاً مباشراً مع القرآن، وتعتبر أن القرآن الكريم عبارة عن الغاز أو شفرات خاصة لا سبيل لمعرفتها، إذ ترى أن في القرآن آيات متشابهة لا سبيل لمعرفة المقصود منها، ويجب إيصال علمها إلى الله سبحانه، فهم يرون أنها من الأمور التي اختص بها الله سبحانه^(١٤).

وفي حديث طويل للإمام الصادق عليه السلام مع قتادة قال له: «إنما يعرف القرآن من خطب به»^(١٨).

وحينما يختلف المسلمون ويتنازعون في فهم النص القرآني فلا بد من الرجوع إلى المعصوم بوصفه يمتلك أعلى مراتب الفهم، وهذا ما أكدته كثير من الروايات، ومن تلك الروايات ما رواه الكليني بسنده عن أبي عبد الله المؤمن عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «والله إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، قال الله عزوجل: «فيه تبيان كل شيء»^(١٩).

وعن المعلى بن خنيس عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ما من أمر يختلف فيه إلا وله أصل في كتاب الله ولكنه لا تبلغه عقول الرجال»^(٢٠).

وبسبب الرجوع إلى المعصومين عليهما السلام كونهم بلغوا القمة في معرفة القرآن

وهناك روايات كثيرة في هذا المضمون، ومن تلك الروايات ما روی عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «ذلك القرآن فاستنبطوه ولكن لا ينطق ولكن أخبركم عنه»^(٢١).

وفي رواية طويلة الذيل عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «...إن الله قسم كلامه ثلاثة أقسام: فجعل قسما منه يعرفه العالم والجاهل، وقسما لا يعرفه إلا من صفا ذهنه، ولطف حسه، وصح تميزه، ممن شرح الله صدره للإسلام، وقسما لا يعلمه إلا الله وملائكته والراسخون في العلم.

وإنما فعل ذلك لئلا يدعى أهل الباطل المستولين على ميراث رسول الله عليه السلام من علم الكتاب، مالم يجعله الله لهم، ولقد هم الاضطرار إلى الاتمام بمن ولـي أمرهم، فاستكروا عن طاعته»^(٢٢).

فالرواية المتقدمة تشير إلى أن هناك مستويات متعددة للفهم وأعلى تلك المستويات ما يكون عند المعصوم عليهما السلام.

يا أبا حنيفة ! لقد أدعى علماءً،
ويلك ما جعل الله ذلك إلا عند
أهل الكتاب الذين أنزل عليهم،
ويلك ولا هو إلا عند الخاص من
ذرية نبينا محمد ﷺ، وما ورثك
الله من كتابه حرفاً - وذكر الاحتجاج
عليه إلى أن قال: يا أبا حنيفة ! إذا
ورد عليك شيء ليس في كتاب
الله، ولم تأت به الآثار والسنن
كيف تصنع ؟ فقال: أصلحك الله
أقيس وأعمل فيه برأيي ، فقال: يا
أبا حنيفة ! إن أول من قاس إبليس
الملعون، قاس على ربنا تبارك
وتعالى ، فقال: (أنا خير منه خلقتني
من نار وخلقته من طين) قال: فسكت
أبو حنيفة ، فقال: يا أبا حنيفة ! أيما
أرجس ؟ البول ، أو الجنابة ؟ فقال: البول ،
قال: مما بال الناس يغسلون من
الجنابة ، ولا يغسلون من البول ؟ فسكت ،
قال: يا أبا حنيفة أيما أفضل ؟
الصلاوة ، أم الصوم ؟ قال: الصلاة ، قال: مما
بال الحائض تقضى صومها ، ولا
تقضى صلاتها ؟ فسكت »^(٢١).

الكريم وتحذروا عنه بحديث العارف
بكل حدوده كما تقدم في رواية
المعلى عن الإمام الصادق، فهناك مراتب
في القرآن الكريم لا تدركها عقول
الناس العاديين، وإنما هو خاص
بمن اصطفاه الله، وهذا النموذج
يمثل المرجع الأعلى لتحديد المراد
الإلهي.

ومما يؤكّد هذه المرجعية التي
امتلكها أهل البيت ما نجده في
كلام الإمام الصادق علیه السلام في حواره
مع أبي حنيفة وبيان أن من له
الأهلية لفهم القرآن هو المعصوم ،
وغير المعصوم لا يملك الفهم الكامل
للقرآن الكريم ، ففي الرواية عن محمد
بن الحسن ، بسنده عن شبيب بن أنس ،
عن بعض أصحاب أبي عبدالله علیه السلام : إن
أبا عبدالله علیه السلام قال لأبي حنيفة :
أنت فقيه العراق ؟ قال: نعم ، قال:
فيم تفتئهم ؟ قال: بكتاب الله وسنة
نبيه ﷺ ، قال: يا أبا حنيفة !
تعرف كتاب الله حق معرفته ؟ وترى
الناسخ والمنسوخ ؟ قال: نعم ، قال:

علي والأوصياء من بعده، فإن فيهم سنتك وسنة الأنبياء من قبلك، وهم خزانى على علمي من بعده، ثم قال رسول الله ﷺ: لقد أنبأني جبريل عليه السلام بأسمائهم وأسماء آبائهم»^(٢٣).

وممّا تقدم يتبيّن أن الإنسان غير المعصوم، إنما يدرك من القرآن بمقدار طاقته واستعداده، وهذا الفهم لا يوصله إلى الحقيقة الكاملة، وما نجده عند المعصومين عليهما السلام يمثل أعلى مستويات الفهم، وعليه فلا بد من ترجيح قولهم على غيرهم مع مراعاة المنهج العلمي للتعامل مع الروايات.

ثالثاً: قاعدة من المخاطب: من القواعد المهمة في التفسير هي قاعدة من المخاطب؟ أي: معرفة المقصود بالخطاب الذي وجه له الخطاب، وليس الحديث هنا عن من يفهم الخطاب.

فالقرآن الكريم بوصفه شاملاً وفيه مستويات متعددة من الخطاب، فلا بد من معرفة المعنى بالخطاب، فبعض

وهناك رواية تشير إلى أن الله فوض إليهم فهم القرآن الكريم، وتفهيمه للناس بحسب استعدادهم وقابلياتهم، ففي الرواية عن الكليني بسنده عن أبي إسحاق النحوي قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسمعته يقول: إن الله عز وجل أدب نبيه على محبه فقال: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ ثُمَّ فوض إليه فقال عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ وقال عز وجل: ﴿مِنْ يَطِعُ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ﴾ قال: ثُمَّ قال وإن نبي الله فوض إلى علي وائتمنه فسلمتم وجحد الناس فهو الله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا وأن تصمتوا إذا صمتنا ونحن فيما بينكم وبين الله عز وجل، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا»^(٢٤).

وبسنده عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى استكمال حجتي على الأشقياء من أمتك من ترك ولاية

تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتَحًا مُبِينًا * لِيغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتَمَّ نَعْمَةُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^(٢٥)، فقد اجتهد المفسرون في تأويل دلالة الآية الكريمة لكي تنسجم مع مبدأ العصمة فطرحت آراء كثيرة في ذلك منها^(٢٦).

أن الذنب المذكور في الآية ليس ذنب النبي، وإنما هو ذنب أمنته، وأضيف إليه تجوزاً، من باب إقامة المضاف إليه مقام المضاف المحذوف والتقدير (ليغفر الله ذنب أمتك)^(٢٧)، على وفق قاعدة (إياك أعني واسمعي يا جارة) التي تستخدم كثيراً في أساليب الكلام العربي.

فمن خلال هذه القاعدة يمكن دفع الإشكال دون الخوض في تأويل دلالة الآية والآيات الأخرى التي ظاهرها نسبة الذنب للنبي محمد ﷺ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتَاكَ لَقَدْ كَدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾^(٢٨)، فتلك النصوص بدون تصرف في الدلالة أو عدم فهمها في

خطابات القرآن الكريم قد توجه إلى شخص ويراد منها شخص آخر أو مجموعة من الناس، وهذا يفهم في ضوء ما أسسته مدرسة أهل البيت في قاعدة «إياك أعني واسمعي يا جارة»، فالقاعدة من حيث معناها واضح ففي كثير من استعمالاتها نستعمل القاعدة في حياتنا اليومية لأغراض التأدب ومراعات البعد النفسي والأخلاقي، وفي مقام التعامل مع القرآن في ضوء هذه القاعدة ستتض�ح كثير من الإشكاليات التفسيرية ولا سيما ما يتعلق بعصمة النبي محمد ﷺ، فقد ورد في الرواية أن الإمام الرضا علیه السلام سأله المأمون عن المقصود بآيات عتاب النبي ﷺ، قال علیه السلام: «هذا مما نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة، خاطب الله (عز وجل) بذلك نبيه ﷺ وأراد به أمنته»^(٢٤).

فقد يكون الخطاب موجهاً إلى النبي بوصفه المتلقى الأول للنص، ولكن ليس هو المقصود به، ففي قوله

وظروفه الزمانية، لذا يأخذ النص مداه عبر الأزمنة والأمكنة، فيأخذ النص والمتلقي على عاتقهما مسؤولية الدلالة.

فلو كان النص الأدبي مما تتعلق دلالته بمراد المتكلم، لكان النص ميت بموموت مؤلفه؛ لأنَّه يتحدث عن جزئية حدثت في زمان ومكان معينين ومن ثم انتهت فينتهي النص.

ولكن يمكن للنص الأدبي أن تولد منه دلالات ومعانٍ كثيرة تبعاً لطبيعة التركيبة اللغوية، وتبعاً لمستوى المتلقي من خلال تصوراته الذهنية وانطباعاته النفسية فكل نص يقوم على ثلاثة عناصر هي: المرسل (المتكلم)، والنص نفسه، والمتلقي (القارئ). ويمكن للمتلقي (النَّاقدُ الأدبي) أن يتقول على الكاتب أو الأديب من خلال الإيحاءات اللغوية فيحمل النص على غير ما يقصده المتكلم.

ففي الدراسات الأدبية عادةً ما يكون التركيز على الشفرة لا على الدلالة، وبذلك يمكن التحرر من قيد

ضوء قاعدة «من المخاطب؟» لا يستقيم مع مقام النبوة، فمن خلال هذه القاعدة يمكن أن يكون الخطاب يُقصد به أمة النبي بقاعدة (إياك أعني وأسمعي يا جارة).

رابعاً: قاعدة البحث عن قصدية المولى سبحانه:

قبل الخوض في البحث عن ماهية هذه القاعدة وتأسيساتها في ضوء مرويات أهل البيت عليهما السلام لابد من معرفة تقسيمات الكلام عند علماء الأدب، فهم يقسمونه على قسمين هما^(٢٩):

القسم الأول: الكلام التداولي: وهو الكلام الذي نتداوله في حياتنا اليومية كالبيع والشراء ومختلف التعاملات الأخرى، وفي هذا القسم تكون الدلالة في قلب الحدث اللساني، وعليه لابد للرجوع إلى المتكلم لمعرفة قصده ومراده.

القسم الثاني: الخطاب الأدبي: وهو الخطاب الخاص بالنصوص الأدبية، وفيه لابد من التحرر من قيد المتكلم

فليسوف العراق في زمانه، أخذ في تأليف تناقض القرآن، وشغل نفسه بذلك وتفرد به في منزله، وأن بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري، فقال له أبو محمد بن علي: أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله القرآن؟، فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟، فقال له أبو محمد: أتؤدي إليه ما أقيه إليك؟ قال: نعم، قال: فصر إليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسنة في ذلك فقل: قد حضرتني مسألة أسألك عنها؟، فإنه يستدعي ذلك منك، فقال له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظنتها أنك ذهبت إليها؟، فإنه سيقول لك: إنه من الجائز؛ لأنَّه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك

المؤلف ويبقى عنصراً النص والمتلقي مما من ينتجان دلالة النص.

وقد يتتسائل بعض المهتمين بالشأن القرآني والأدبي: هل النص القرآني كالنص الأدبي؟، وهل المعنى في النص القرآني معنى نصي؟، أم يمكن اكتشافه من خلال انطباعات المتلقي وتصوراته؟، أم من خلال معرفة منشئ النص؟، وهو المولى سبحانه وتعالى، ومقصد المولى يعني الغاية، والمعنى النهائي، أو المراد الجدي كما يعبر عنه في علم الأصول.

وعند الرجوع لنصوص أهل البيت عليهم السلام نجد أنهم يؤكدون قاعدة قصدية المولى سبحانه، فالنص القرآني ليس كالنص الأدبي، فلا يمكن استعمال نظريات النقد الأدبي للبحث عن قصدية النص القرآني. ومن النصوص التي أسلست لهذه القاعدة محاورة الإمام الحسن العسكري مع الفيلسوف الكندي، فقد نقل ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب: «أن إسحاق الكندي كان

يمكن للناقد أن يُلقي بضلاله على النص القرآني، فمفسر النص القرآني ليس كناقد النص الأدبي، فالمفسر للنص القرآني لا يتعدى دوره الكشف عن المعنى، بينما الناقد الأدبي يمكن له إنتاج معنى غير الذي قصده المتكلم، وما يؤكّد ذلك معنى مفردة (فسر) التي تعني الكشف والبيان^(٣١).

ومن الروايات التي أكدت أهمية قاعدة قصيدة المولى سبحانه ما روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نهج البلاغة في حديث طويل كجواب لسائل قال: «وقد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان: فكلام خاص وكلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما يعني الله به ولا ما يعني رسول الله ﷺ، فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من أجله»^(٣٢).

فالرواية المتقدمة تُشير صراحةً إلى شرط بحث المفسر عن المقصد الإلهي؛ حتى تكون النتائج التي يتحصل عليها

فقيل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فيكون واضعاً لغير معانيه. فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة، فقال له: أعد علىي، فأعاد عليه، فتفكر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائعاً في النظر، فقال: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟، فقال: إنه شيء عرض بقلبي فأورده عليك، فقال: كلا، ما مثلك من اهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة فعرفني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمد، فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت، ثم إنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه»^(٣٣).

فالإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يريد أن ينبه على أمر مهم وهو عدم جواز تفسير القرآن بالذوق الشخصي، وحسب الخلفيات الفكرية، بل لابد من البحث عن مراد المولى حتى يتحرر النص من تصورات الأدباء والنقاد، ولا

عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب»^(٣٤) وعنه ﷺ: «من تكلم بالقرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»^(٣٥).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق ع عليهما السلام قال: «من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ خرّ أبعد من السماء»^(٣٦).

بعد أن تبين شدة نهي المعصومين ع عليهم السلام عن التفسير بالرأي والتحذير منه، كان لزاماً على الباحث توضيح المقصود بالتفسير بالرأي، وتميزه عن التفسير الاجتهادي، فعند الرجوع للقرآن الكريم نجد في آياته دعوة للتفكير والتدبر وإعمال الفكر للوصول إلى حقائق القرآن كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا﴾^(٣٧)، وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ بِارْكٌ لِيَدْبِرُوا آيَاتِهِ وَلِيَذَكِّرَ أُولُو الْأَلْبَاب﴾^(٣٨). وعليه لابد أن يكون المقصود بالتفسير بالرأي المنهي عنه غير التفسير الاجتهادي.

صححه ومقبولة من قبل الشارع، ولا يمكن القبول بكل ما ينقدح في الذهن من تصورات، فهي أحياناً تكون تقول على الله خلافاً لما يريد سبحانه.

يبقى أن نشير إلى أمر مهم وهو أن المقصد الإلهي يمكن أن يحصل من خلال النص نفسه أو من خلال ضم آية إلى أخرى، ويمكن أن يحصل من خارج النص كالعقل والنقل أو غيرهما من خلال استعمال القواعد التفسيرية الأخرى. إذن، فمدرسة أهل البيت ع عليهم السلام تؤكد أهمية البحث عن قصد المولى سبحانه، كما أنها ترى شمولية القواعد التفسيرية وتدخلها للحصول على القصد الإلهي أو على أقل تقدير مقاربته.

خامساً: قاعدة منع التفسير بالرأي (الفهم الشخصي):

ورد كثير من الأحاديث التي قد تصل إلى حد التواتر^(٣٩) من الفريقيين عن النبي والأئمة ع عليهم السلام تمنع التفسير بالرأي، فعن سعيد بن المسيب عن

التفسير بالرأي الممنوع لا التفسير الاجتهادي، وهذا ما يفهم من روایات الأئمة المعصومين في النهي عن التفسير بالرأي، فهم يشرون إلى التفسير بالرأي الممنوع ليؤسسوها لقاعدة منع التفسير بالرأي؛ لأن التفسير بالرأي لا يمكن أن يكشف عن المراد الإلهي؛ لأنه محض اجتهاد غير قائم على دليل، وهو تقول على الله، وابتعاد عن المراد الإلهي.

والتفسير بالرأي موجود في كثير من التفاسير سواء أشعر المفسر بذلك أم لا، وسواء أكان ذلك عن قصد أم لا، وللتفسير بالرأي تطبيقات كثيرة منها:

١- إجراء المصطلح غير القرآني على القرآن، مع أن استعماله في القرآن غير ذلك، فمثلاً مفهوم النسخ فإن استعماله في اللغة وعلم أصول الفقه، يختلف عن الاستعمال القرآني، فلا يمكن إجراء الاستعمال القرآني أو الأصولي على القرآن في هذه الحالة.

وقد قسم العلماء التفسير بالرأي على وفق ما تقدم من آيات وروايات إلى:

١. التفسير الجائز: وهو ما يسمى بالتفسير الاجتهادي، ونقصد به (بذل الجهد واستخدام قوة العقل في فهم آيات القرآن وم مقاصده) ^(٣٩) من خلال تتبع ظواهر القرآن أو حكم العقل الفطري مع موافقة القرآن والسنة و مراعاة سائر الشروط ^(٤٠).

٢. التفسير الممنوع: وهو الذي حذرت منه النصوص المتقدمة، وليس هو ما يقابل المنهج النقلي - كما يرى بعضهم - مما دعاهم إلى رفض المنهج الاجتهادي في التفسير ^(٤١)، بل المقصود بالتفسير بالرأي المحرم: هو محاولة تفسير الكتاب الكريم مع جهل المفسر بقواعد اللغة، وأصول الشرع، وأصول التفسير الأخرى، أو هو تفسير الكتاب مع الجزم بأن مراد الله تعالى هو كذا من غير برهان قطعي ^(٤٢).

فالروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام النافية عن التفسير بالرأي إنما تقصد

ولم يختلف تعريف النسخ عند المفسرين المتقدمين عما جاء في تعريف علماء الأصول، إلا أن الملاحظ أن بعض المفسرين المتأخرین توسعوا بما لم يتسع به الأصوليون، فلم يقتصروا النسخ على الحكم الشرعي كما هو الحال عند أغلب الأصوليين، فوسعوا الدائرة لتشمل التكوينات؛ لذلك نجدهم قد أدخلوا البداء في النسخ، ويمكن أن نلمس تلك القضية عند السيد الطاطبائي والسيد الخوئي، فقد عرف السيد الطاطبائي النسخ بقوله: «المراد بالنسخ هو إذهب أثر الآية، من حيث أنها آية، أعني إذهب كون الشيء آية وعلامة مع حفظ أصله، فالنسخ يزول أثره من تكليف أو غيره معبقاء أصله»^(٤٦)، ثم يقول العلامة: إن كون الشيء آية يختلف باختلاف الأشياء والحيثيات والجهات، فالبعض من القرآن آية لله سبحانه باعتبار عجز البشر عن إتيان مثله، والأحكام والتکاليف الإلهية آيات له تعالى

فمما جاء في معاجم اللغة أن: «النسخ والاستنساخ: اكتتابك في كتاب عن معارضه، والننسخ إزالتك أمراً كان يُعمل به، ثم ينسخ بحادث غيره: كالآية تنزل في أمر، ثم يخفف، فتننسخ بأخرى، فالأولى منسوبة، والثانية ناسخة»^(٤٣). ولا يمكن حمل معنى النسخ في القرآن على الإزالة؛ لأن ذلك يستلزم وجود نقص في القرآن الكريم، ومن ثم القول بتحريف القرآن الكريم بالنقيصة، وهذا خلاف إجماع علماء المسلمين على عدم تحريف القرآن لفظياً.
أما تعريف النسخ في علم الأصول، فقد عرفه الغزالى (ت ٥٥٠ هـ) بقوله: «الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً مع تراخيه عنه»^(٤٤). وأما المحقق الحلبي (ت ٦٧٦ هـ) فقد عرّفه بأنه: «عبارة عن الإعلام بزوال مثل الحكم الثابت بالدليل الشرعي بدلليل شرعي متراخ عنده على وجه لولاه لكان الحكم ثابتاً»^(٤٥).

المراد الإلهي، وقد نجد التنبية على هذا الأمر، ففي الرواية عن الإمام علي عليه السلام عندما حاور زنديقاً يدعى تنافق القرآن الكريم، قال عليه السلام: «إياك أن تفسر القرآن برأيك، حتى تفهمه عن العلماء، فإنه رب تنزيل يشبه بكلام البشر، وهو كلام الله، وتأويله لا يشبه كلام البشر، كما ليس شيء من خلقه يشبهه، كذلك لا يشبه فعله تعالى شيئاً من أفعال البشر، ولا يشبه شيء من كلامه بكلام البشر، فكلام الله تبارك وتعالى صفتة وكلام البشر أفعالهم فلا تشبه كلام الله بكلام البشر، فتهلك وتضل».^(٤٨)

وفي حديث الإمام الباقر عليه السلام مع قتادة عندما قال له: «يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: هكذا يزعمون فقال أبو جعفر عليه السلام: بلغني أنك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: بعلم تفسره أم بجهل؟ قال: لا، بعلم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: فإن كنت تفسره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك؟

باعتبار حصول التقوى والقرب بها منه تعالى، والموجودات العينية آيات له تعالى باعتبار كشفها بوجودها عن وجود صانعها، وبخصوصيات وجودها عن خصوصيات صفاته وأسمائه سبحانه، وأنبياء الله وأوليائه تعالى آيات له تعالى باعتبار دعوتهم إليه بالقول والفعل وهكذا»^(٤٧).

وعليه لابد من التفريق بين مصطلح النسخ عند الأصوليين وعند المفسرين، فلكل اصطلاحٍ خاص به، يتقيان في شمول النسخ للتشرعيات ويختلفان في إمكانية توسيعة الدائرة لتشمل التكوينات فيدخل البداء في النسخ، وهذه أهم نقطة للاختلاف بين الاصطلاحين.

٢- تفسير القرآن من دون الرجوع لقواعد فهم النص القرآني، ولا سيما القواعد التي أرسّها أهل البيت؛ لأنّ لهم مقام القيمة على كتاب الله سبحانه، فمن لا يسير على وفق تلك القواعد سيقع حتماً في التفسير بالرأي، أو على أقل تقدير سوف يتبع عن

ولابد من إجراء التأويل فيها، كما في آيات الصفات وغيرها من الآية المشابهة.

٣- ومن تطبيقات التفسير بالرأي هو فرض القبليات الفكرية والعقدية للمفسر على نصوص القرآن الكريم، فيفسر القرآن الكريم بحسب قبلياته الفكرية والعقدية. وتتمثل القبليات العقدية بوصفها مجموعة المعتقدات التي ترجع إلى المكون الثقافي، والتي توجه مسار البحث لاختيار المعنى المنسجم مع المرتكزات الفكرية^(٥٠). وللقبليات العقدية أثرٌ واضحٌ في تكوين المنظومة المعرفية بشكل عام، وفي مجال التفسير وعلوم القرآن بشكل خاص، فيكون المفسر أسيراً لتلك القبليات و تكون هي الحاكمة على النص، مما يولد رؤية خاطئة يتأسس في ضوئها منهجه خاطئ مما يصعب رد الإشكالات التي تشارفه. ضوء ذلك المنهج.

والإشكالية الكبرى في مجال التفسير هو الاعتماد على الآخيار الضعيفة

قال قتادة: سل، قال: أخبرني
عن قول الله عز وجل في سبأ:
﴿وَقَدْرَنَا فِيهَا السَّيْرُ سِيرُوا فِيهَا
لِيَالِيٍّ وَأَيَامًاً آمِنِينَ﴾، فقال قتادة:
ذلك من خرج من بيته بزاد حلال
وراحلة وكراء حلال يريد هذا
البيت كان آمنا حتى يرجع إلى
أهله، فقال أبو جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ نَشَدْتُكَ
الله يا قتادة هل تعلم أنه قد يخرج
الرجل من بيته بزاد حلال وراحلة
وكراء حلال يريد هذا البيت
فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقة
ويضرب مع ذلك ضربة فيها
اجتياحه؟، قال قتادة: اللهم نعم،
فقال أبو جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ: ويحك يا
قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن
من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت
 وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد
هلكت وأهلكت...»^(٤٩).

فالتركيز وإن كان لغوياً، ولكن ليس بالضرورة أن يفهم معناه من اللغة فقط، فمتشابهات القرآن الكريم لا يمكن فهمها على وفق ظاهر اللغة،

أكدها الأئمة المعصومون في روايات بلغت حد التواتر المعنوي^(٥١)، من خلال الأمر بعرض الرواية على القرآن الكريم، لما أمكن للمستشرقين وغيرهم من الطعن على القرآن الكريم.

٤- فرض النظرية العلمية على القرآن الكريم والاستدلال بالآيات القرآنية لتأييد تلك النظرية، مع أن كل نظرية علمية يمكن أن تتبدل وتتغير، الأمر الذي يجعل الآخرين يشككون في صحة القرآن الكريم وإعجازه العلمي؛ لأن من استدل على النظرية افترض أنها من آيات الإعجاز العلمي .

وال موضوعة في تشكييل منظومة معرفية، وإضفاء طابع القدسية على تلك النصوص؛ لكونها وردت في كتب حُكم بصحتها مسبقاً، وهذا ما نراه عند بعض علماء مدرسة الجمhour وبعض الإخباريين من الشيعة الإمامية، وبسبب القبليات العقدية التي افترضت صحة بعض كتب الحديث مع وجود التعارض والتناقض بين رواياتها، مما فتح الباب واسعاً للمستشرقين للطعن بالقرآن الكريم ومصدريته، ثم أكدوا ذلك اعتماداً على نصوص روائية وردت في كتب الحديث تنسب التحريف للقرآن الكريم صراحةً، أو من خلال اللوازם التي تتبع القول بعض قضايا علوم القرآن كنسخ التلاوة أو الأحرف السبعة، وافتراضوا صحة كل تلك الروايات؛ لكونها وردت في كتب الصاحب .

ولو أسس المنهج على وفق رؤية محورية القرآن الكريم التي

الخاتمة:

المعصومين، فقواعد التفسير بمجموعها توصل المفسر لمقاربة مراد المولى تعالى.

وفي ختام البحث لابد من رصد بعض النقاط المهمة من نتائج البحث وهي:

١- أسس المعصومون عليهم السلام مجموعة من القواعد التي تساعده على فهم النص القرآني ومقاربة مراد المولى تعالى، وإن ذلك يقع ضمن مرجعياتهم في التعامل مع القرآن كقيمين على النص القرآني ومبينين له.

٢- إن على كل مفسر اتباع قواعد التفسير التي أسسها أهل البيت عليهم السلام، إذا ما أراد المفسر مقاربة مراد المولى تعالى.

٣- إن للإنسان مرجعية في فهم النص القرآني، وإن كان لتلك المرجعية مستويات من الفهم، وعليه لابد من ترجيح الأفضل منها، ومعرفة المقصود بالخطاب فقد يوجه الخطاب لشخص ويراد به غيره.

٤- لابد من مراعاة شروط التفسير وقواعده؛ كي لا يقع المفسر في التفسير بالرأي المنهي عنه في روایات

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

١. الأنصاري، مرتضى بن محمد (ت ١٢١٤هـ)، *فرائد الأصول*، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ط ١، ١٤١٩هـ
 ٢. الحر العاملي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ١١٠٤هـ)، *وسائل الشيعة*، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهما السلام لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت عليهما السلام لإحياء التراث بقم المشرفة، ط ٢، ١٤١٤هـ
 ٣. جوادي آملی، عبد الله، *تسنیم في تفسیر القرآن*، دار الإسراء للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
 ٤. خطب الإمام علي، نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، دار الذخائر - قم - إيران، ط ١، ١٤١٢هـ
 ٥. الخوئي، أبو القاسم (ت ١٤١٣هـ)، *البيان في تفسير القرآن*، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي (قدس)، ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
 ٦. الراغب الأصفهاني، حسين (٥٠٢هـ)، *مقدمة جامع التفاسير*، دار
- ٢٧٢

٧. رضائي الأصفهاني، علي، *دروس في المناهج والاتجاهات*، منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤٢٦هـ.
٨. الشريف المرتضى، أبو القاسم علي الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ)، *تنزيه الأنبياء*، انتشارات الشريف بن الرضي، ط ١، ١٣٧٦هـ.
٩. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨هـ)، *الملل والنحل*، تحقيق أمير علي مهنا، علي حسن فاعور، دار المعرفة - بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١٠. الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط ٢٦، ٢٠٠٥م.
١١. الطباطبائي، محمد حسين (ت ١٤٠٢هـ)، *الميزان في تفسير القرآن*، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، (د. ط)، (د. ت).
١٢. الطبری، محمد بن جریر (ت ٣١٠هـ)، *جامع البيان عن تأویل آی*

١٧. الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، تصحیح وتعليق: علي أكبر الغفاری، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٥، ١٣٦٣ش.
١٨. المازندراني، أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، مناق آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، مطبعة الجيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.
١٩. المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار لجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٣م.
٢٠. المحقق الحلبي، أبو القاسم جعفر بن الحسن، (ت ٦٧٦هـ)، معارج الأصول إلى علم الأصول، إعداد: محمد حسين رضوي، ط ١، ١٤٠٣هـ.
٢١. الميدی، محمد فاکر، قواعد التفسیر لدى الشیعہ والسنّة، مرکز التحقیقات والدراسات العلمیة، ایران، ط ١، ٢٠٠٧م.
- المجلات والبحوث:
٢٢. الدخيلي، حیدر مصطفی هجر القرآن (تفسير الطبری)، تقديم: الشيخ خليل المیس، ضبط وتوثيق وتحریج: صدقی جميل العطار، دار الفکر للطباعة والنشر والتوزیع - بیروت - لبنان، (د) ط، ١٩٩٥م.
١٣. علوش، سعید، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني - بیروت، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٤. الغزالی، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، المستصفی، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافی، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٥. الفخر الرازی، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦هـ)، عصمة الأنبياء، تقديم ومراجعة: محمد حجازی، مکتبة الثقافة الدينیة، القاهرة، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٦. الفراهیدی، أبو عبد الرحمن الخلیل بن احمد (ت ١٧٥هـ)، کتاب العین، تحقيق: الدكتور مهدی المخزومنی، والدكتور إبراهیم السامرائی، مؤسسة دار الهجرة، ایران، قم، ط ٢، ١٤٠٩هـ

الهوامش:

١. الاتجاهات جمع اتجاه والمقصود به هنا تأثير الاعتقادات الدينية، الكلامية، الاتجاهات العصرية وأساليب كتابة التفسير والتي تكون على أساس عقائد واحتياجات ذوق وتحصص المفسر (الأصفهاني، علي رضائي، دروس في المناهج والاتجاهات :١٩).

٢. وضع البشر لتحاورهم قواعد عرقية لفهم قد تتغير بحسب الزمان والمكان، وبحسب أهمية النص والمبتغى منه؛ لذا تولدت مناهج وقواعد قراءية تعتمد على نسبة التلقى وتفكيكية النص.

٣. إن الحديث عن النبي ﷺ على وفق عقائد الإمامية هو حديث عن العترة، كونهم حقيقة وجودية واحدة.

٤. جوادي آملي، عبد الله، تفسير تسنيم: ١٢٤-١٢٥.

٥. سورة النحل: ٦٤.

٦. خطب الإمام علي، نهج البلاغة،

شرح: محمد عبده: ٢/٥.

٧. ينظر: فوزي، دونقه، التأويل وتعدد المعنى، مجلة الآداب والعلوم

القبليات وأثرها في التفسير - الفخر الرازبي - مثلاً، مجلة مآب القرآنية، العدد ٥، ص ٢٩.

٢٣. فوزي، دونقه، التأويل وتعدد المعنى، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٤، ٢٠٠٥-٢٠٠٦ م.

- الانسانية والاجتماعية، العدد ٤، ٢٠٠٥-٢٠٠٦م: ٧.
٨. سورة البقرة: ١٨٥.
٩. سورة النساء: ١٧٤.
١٠. سورة محمد: ٢٤.
١١. سورة آل عمران: ١٣٨.
١٢. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعية للدرر أخبار الأئمة الأطهار: ٤٥/١٦٦.
١٣. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ١/٩٩.
١٤. ينظر: الشهري، الملل والنحل: ٩٢.
١٥. ينظر: الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن: ١٨.
١٦. نهج البلاغة: ٢/٥٤.
١٧. الحر العاملي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي، وسائل الشيعة: ٢٧/١٩٤.
١٨. الكافي: ٨/٣١٢.
١٩. المصدر نفسه: ١/٢٢٩.
٢٠. المصدر نفسه: ١/٦٠.
٢١. وسائل الشيعة: ٢٧/٤٨.
٢٢. الكافي: ١/٢٦٥.
٢٣. الكافي: ١/١٩٣.
٢٤. بحار الأنوار: ١٧/٩٠.
٢٥. سورة الفتح: ١-٢.
٢٦. ذكرت توجيهات كثيرة لآلية بما ينسجم مع الاعتقاد بعصمة النبي ﷺ منها:
٢٧. إن صيغة اللفظ تفيد الدعاء، وقد خرج للتعظيم كما في قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ...﴾ فالملفوعة هنا جرت مجرى الجزاء.
٢٨. أول بعضهم الذنب في الآية بأنه مخالفة الأولى، فيمكن أن تشمل المغفرة من ترك الأولى الذي يتربط عليه فوات مصلحة أو حصول مضرة.
٢٩. يمكن تأويل الآية على وفق نظرية الظهر والباطن، فظاهر الآية يراد به ذنب أمهاته كما تقدم، وباطنهما يراد به النبي ﷺ ولكن بتجريد الذنب عن خصوصياته وعد كل قصور عن بلوغ شكر الله ذنباً، فالمقصود بالذنب الذي غفره الله في الآية، هو القصور عن إدراك حقيقة شكر الله، والتي مهما حاول العبد لا يدركها، وليس المقصود

٣٥. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين: ٢٤٨ / ٧.
٣٦. نهج البلاغة: ١٩٠ / ٢ - ١٩١.
٣٧. الخوئي، البيان: ٢٦٩.
٣٨. وسائل الشيعة: ١٩٠ / ٢٧.
٣٩. الطبرى، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آى القرآن: ٥٥ / ١.
٤٠. وسائل الشيعة: ٢٠٢ / ٢٧.
٤١. سورة محمد: ٢٤.
٤٢. سورة ص: ٢٩.
٤٣. دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: ١١٣.
٤٤. ينظر: المبیدی، محمد فاکر، قواعد التفسیر لدی الشیعہ والسنۃ: ٣٥٨.
٤٥. الأصفهانی، حسین الراغب (٩٥٠ھ)، مقدمة جامع التفاسیر: ٩٣.
٤٦. ينظر: الصالح، صبحی، مباحث في علوم القرآن: ٢٩١.
٤٧. الفراهيدي، كتاب العين: ٢٠١ / ٤.
٤٨. الغزالی، أبو حامد، محمد، المستصفی: ٦٨.
٤٩. المحقق الحلی، جعفر بن الحسن، معارج الأصول: ١٦١.
٥٠. يمكن تأويل الآية في ضوء الاستفادة من السياق وأسباب النزول، واللذين من خلالهما يمكن معرفة العلاقة بين مغفرة الذنب وصلاح الحديبية الذي نزلت فيه الآية، مما يجعل الآية أكثر وضوحاً، فالمعنى المقصود بالذنب في الآية هو الانهادات والإشاعات والأباطيل التي أطلقها مشركون مكة ضد النبي ﷺ وتوصيره بصورة الشخص الطالب للقتال وسفك الدماء. (ينظر: الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء: ١٦٣ - ١٦٤).
٥١. ينظر: الشريف المرتضى، أبو القاسم علي الحسين الموسوي، تنزيه الأنبياء، ١٦٣، وينظر: الفخر الرازى عصمة الأنبياء: ١٠٩.
٥٢. سورة الإسراء: ٧٤.
٥٣. ينظر: علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: ٨٣ - ٨٥.
٥٤. المازندراني، أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب، مناق آل أبي طالب: ٥٢٦.
٥٥. بالذنب التقصير - حاشاه.

٥٠. الطباطبائي، محمد حسين،
الميزان: ١ / ٢٥٠

٥١. المصدر نفسه.

٥٢. بحار الأنوار: ٨٩ / ١٠٧

٥٣. الكافي: ٨ / ٣١١

٥٤. ينظر: الدخيلي، حيدر مصطفى:
هجر القبليات وأثرها في التفسير - الفخر
الرازي - مثلاً، مجلة مآب القرآنية،
العدد ٥، ص ٢٩

٥٥. ينظر: الأنصاري، مرتضى بن
محمد، فرائد الأصول: ١ / ٢٤٧